توفيق الحكيم

شاهد مَرحلة و نهاية عصر

د. صبرى حافظ

لا نستطيع ، ولم يجف الثرى على مثواه الأخير بعد ، ولم نتخلص من صدمة الموت القاسية ، أو من لوعة الخسارة الفادحة بفقدان أحد رموز الثقافة المصرية الكبيرة والمؤثرة ، أو نحيط بهدوء وموضوعية بكل أبعاد الدور ، بل الأدوار المتباينة والمتناقضة أحيانا ، التى لعبها توفيق الحكيم فى حياتنا ووجداننا الثقافى والقومى على السواء ، ولا يمكننا فى ظل مناخ الفقدان ذاك أن نتجاوز الجانب الوصفى فى تناولنا لإنجاز توفيق الحكيم ومكانته إلى الجانب التقييمى والمعيارى . ولذلك سنكتفى هنا بالتعرف على أبعاد إنجاز الرجل وإدواره المختلفة فى تاريخنا الثقافى ، وأن نتلمس بعض ملامح ما يمكن أن يتبقى منه فى حياتنا الأدبية . فقد كان الرجل مؤسسة ثقافية كاملة ، تمتد على صعيد الزمان منذ البدايات الأولى لنهضتنا الأدبية ، ومنذ المحاولات الجنينية لصياغة ملامح هويتنا القومية الحديثة ، وتأصيل ثقافتنا المعاصرة ، والبحث عن محددات شخصيتنا القومية إبان ثورة ١٩١٩ ، وتصل إلى مرحلة الاستقلال والنشوة القومية ، ثم تناقضات ما بعد الهزيمة ، وزلزال مرحلة إعادة النظر فى كل الصياغات السابقة لهويتنا الثقافية والقومية على السواء ، بما أعقبه من صعود للتيارات الدينية ، وطرح للكثير من الرؤى المناقضة لكل التصورات التى أرساها الحكيم فى أعماله ، فقد خاض الرجل فى بواكير الشباب قضايا الاستقلال ، وواجه فى خريف العمر أزمة الهزيمة ، وعودة الوعى الغائب ، وفصول التصالح مع عدو الأمة العربية الصهيون وأسئلة البحث عن الهوية الاسلامية التى يطرحها شباب مصر على شيوخها كل يوم .

أما على الصعيد الأدبى فقد شملت مغامرة الحكيم الأدبية كل المساحة الثقافية التى خامرت فيها الكتابة العربية الحديثة ، بدءا من المسرحية حتى الرواية والقصة القصيرة ، وامتدادا من السيرة الذاتية حتى مشارف التنظير الأدبى والجمالى ، مغطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل المساحة الكامنة بين الكتاب الكامل والمقالات الخافلة بالشذرات السياسية والاجتماعية المتفرقة . كما تناول عبر تلك الفترة الزمنية الكبيرة ، وخلال شتى الأشكال الأدبية المختلفة معظم الأشكاليات المطروحة على العقل المصرى والعربى طوال هذه الفترة ، وأدلى بدلوه فيها . وإذا كان عطاؤه الأدبى الكبير ذاك قد توجه إلى القارىء الجاد الذى يهتم بتلقى مختلف الاستقصاءات الأدبية التى تتعامل مع واقعة وتطمح إلى طرح تصوراتها عنه . فقد أثر الرجل كذلك من خلال لزماته السلوكية الرشيقة من العصا والخمار والبيرية ، وكل ما شاع عنه من بخل ، أو عداء للمرأة ، أو ولع بالثرثرة ، أو عزوف عن المقابلات الصحفية أو الإذاعية ، أن يكون له حضوره الكبير لدى قارىء الصحف العام الذى يسمع عن الحكيم وينشغل بنوادره الشخصية دون أن يقرأ له حرفا ، وكأنما أراد وقد توحد شخصة مع فكرة الأدب ذاتها أن يجعل للأدب حضورا فى ذهن كل قراء مصر ، حتى من لا يقرأون الأدب منهم . وقد أصبح هذا السلوك نمطا يحتذى لدى عدد كبير من الأدباء الذين ظهروا بعده .

فقد كان الرجل مؤسسة ثقافية وأدبية كاملة ، لأنه كان التجسيد الحى لرحلة الثقافة المصرية مع الزمن فى التطور ، ولسعيها على شتى جبهات الكتابة لتأصيل الأجناس الأدبية الجديدة ، ولمد جذورها فى أغوار الوجدان والمجتمع المصرى والعربى ، ولتغيير صورة الكاتب المبدع فى ذهن القراء . كان نجوم الثقافة المصرية منذ بدايات عصر النهضة من الشعراء أو « المفكرين » . من أحمد شوقى وحافظ ابراهيم حتى لطفى السيد وطه حسين وعباس العقاد ، وكان الكاتب « المحترم » يخشى أن يعرف الناس أن حرفة الأدب قد أدركته ، ومن هنا خجل الدكتور محمد حسين هيكل من أن يضع اسمه على روايته الأولى (زينب) فى بدايات هذا القرن ووقعها باسم « مصرى فلاح » فجعل توفيق الحكيم الكاتب الناثر المبدع نجم الحياة الثقافية الذى يشغل العامة والخاصة على السواء . واستطاع بحق أن يكون حلقة الوصل بين الناثر التقليدى والكاتب المبدع ، ومن هنا كان انطلاقه من الفكرة فى أعماله ، واهتمامه بالعناصر الفكرية والذهنية فى كتاباته من السمات التى تركتها عملية التحول تلك على أعماله . وكأنما كان يريد أن يؤكد على سطح أعماله أن العمل الابداعى لا يقل ذهنية عن الكتابة النثرية والمقالات الفكرية . ولذلك فإن المكانة والتقدير اللذين يحظى بهما كتاب الأدب العربى المبدعين فى وجدان القراء ، على امتداد ساحة الوطن العربى الشاسعة ، من يحيى حقى ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وحتى أحدث كتاب الأدب العربى المعاصر ترجع فى جزء منها إلى الدور الكبير الذى لعبه توفيق الحكيم فى هذا المجال . وحتى يحقق توفيق الحكيم هذا الانجاز الكبير على صعيد تغيير الرؤية وتعديل التصورات وأحكام القيمة كان عليه أن يبرهن عبر مغامراته الفنية المختلفة على أن النص الابداعى قادر على تعميق رؤية المتلقى لقضايا واقعه ، وإرهاف حسه بهموم مجتمعه ، وتشخيص ما ألم بالوطن من الأدواء ، وطرح بعض التصورات الجديرة بالتأمل عن سبل الخلاص من أزمته . وقد استطاع الحكيم أن يقترب من كل هذه المهام وأن يحقق بعضها باقتدار وتمكن .

فقد استطاع مسرحه الذى بدأ بـ (الضيف الثقيل) عام ١٩١٩ واستمر على امتداد أكثر من نصف قرن وعبر أكثر من سبعين نصا حتى مسرحية (الحمير) عام ١٩٧٥ ، أن يغطى المساحة المسرحية كلها بدءا من الملاهى الخفيفة والمسرح المنوع وحتى المسرح الاجتماعى ومسرح القضية الفكرية والسياسية ، ومن المسرح الذهنى حتى مشارف المسرح العبثى . ومع أن مسرحيات الحكيم اللامعة والقادرة على تجاوز مواضعات الريادة والحرث فى الأفاق البكر قليلة للغاية ، إلا أن الكم المسرحى الكبير والتنوع الخصيب لانتاجه المسرحى ، ومحاولة الحكيم الشائقة لأن يطرح عبر هذه الأعمال جميعا استقصاءاته لشتى هموم الحياة الاجتماعية المصرية ومعظم قضايا الواقع القومى بدءا من قضية « الاستقلال » و « مشكلة الحكم » حتى أطروحة « الطعام لكل فم » ومسألة « الأيدى الناعمة » أو « الرباط المقدس » أو « مصير » هذا الصرصار البشرى فى عالم ملىء بـ « أشواك السلام » تتهدده « لعبة الموت » هو الذى يكسب مغامرته المسرحية هذا الاتساع العريض . فقد اتسعت اهتمامات الحكيم لتشمل الابعاد السياسية والاجتماعية والدولية لقضايا مجتمعه ،

ولتنشغل بأسئلة المصير الجوهرية التى تتهدد الانسان فى عالمنا المحفوف بأخطار الفناء ، ولتمتد إلى آفاق « الرحلة إلى الغد » بكل ما يكتنف هذا الغد من غموض وإبهام .

وقد طرح الحكيم فى مسرحه قضايا الوطن السياسية كذلك بدءا من قضية الاحتلال الانجليزى لمصر فى (الضيف الثقيل) عام ١٩١٩ وحتى قضية فلسطين التى كتب عنها مسرحيته (ميلاد بطل) عام ١٩٤٨ ثم مسرحيته (مجلس العدل) عام ١٩٧٠ التى عرّض فيها بموقف الولايات المتحدة والمجتمع الدولى الجائر من حق الشعب الفلسطينى المهضوم . صحيح أنه وقع فى أواخر حياته فى شرك التصورات الخاطئة ، أو بالأحرى الأوهام الزائفة ، حول قضية الصلح مع العدو الصهيونى البغيض ، وشارك فى بعض فصول التطبيع المخفقة ، ولكنه لم يدخل أيا من تلك الآراء إلى ساحة نصه الابداعى ، وأبقاها محصورة فى نطاق التصريحات أو الشذرات السياسية المباشرة . لكن أهم القضايا السياسية التى شغلته على امتداد نصوصه المسرحية العديدة هى مشكلة الحكم التى تناولها فى (نهر الجنون) ١٩٣٥ ثم عاد إليها فى (براكسا ومشكلة الحكم) ١٩٣٩ و (السلطان الحائر) ١٩٦٠ و (شمس النهار) ١٩٦٤ وغيرها من المسرحيات . فقد كانت تلك القضية من القضايا التى شغلته على أكثر من مستوى ، وكان من هذه المستويات مسألة شرعية السلطة الفردية التى يمكننا أن نتلمس بعض انعكاساتها على موقف الحكيم نفسه من الحركة المسرحية التالية له . ذلك لأن مشاركته فى اجراء حوار درامى مع انجاز حركة المسرح الاجتماعى المزدهرة فى الخمسينات والستينات ، منذ نعمان عاشور وألفريد فرج ويوسف إدريس حتى سعد الدين وهبه ومحمود دياب ، تنطوى فى بعد من أبعادها على ممارسة الحكيم لتصوره فى هذا المجال بالنسبة لعلاقة النص المسيطر والسائد - وهو فى هذه الحاله نصه المسرحى - بالمفردات النصية الباحثة عن شرعيتها . لأن تلك المشاركة هى التى أعطت كلا من مسرحه وحركة التجديد المسرحى شرعيتها المطلوبة . بل لقد شارك بكتابه (قالبنا المسرحى) فى الحوار الدائر وقتها حول البحث عن المسرح المصرى والذى طرحه يوسف إدريس فى مقدمته النظرية لمسرحيته (الفرافير) .

والواقع أن الحكيم كان واعيا من البداية ، وخاصة منذ بدايات مسيرته الأدبية الجادة بعد عودته من فرنسا ، بضرورة أن يكتسب النص الأدبى الجديد شرعيته ، وبالتالى سلطته ، من خلال الحوار الخلاق مع النصوص السابقة عليه . وإذا ما نظرنا إلى أعمال الحكيم الخمسة الأولى (عودة الروح) ١٩٣٣ و (أهل الكهف) ١٩٣٣ و (محمد) ١٩٣٦ و (يوميات نائب فى الأرياف) ١٩٣٧ و (عصفور من الشرق) ١٩٣٨ ، سنجد أنها تنطوى على طرح متعدد الأبعاد لقضية علاقة النص الجديد الحوارية بالنصوص السابقة عليه بغية تأسيس شرعية هذا النص وبالتالى سلطته فى الواقع الذى صدر عنه والذى يطمح إلى الفاعلية فيه . فقد كانت (عودة الروح) حوارا نصيا ناضجا مع بنية الحكاية الشعبية وبنية الأسطورة المصرية القديمة . فالبنية الأساسية فى هذه الرواية الرائدة ليست هى بنية المقامة كما

هو الحال فى (حديث عيسى بن هشام) للمويلحى ، ولا هى بنيةلا الرواية الغربية التى تبناها المازنى فى (ابراهيم الكاتب) ، وإنما هى بنية الحكاية الشعبية بست حسنها وجمالها « سنية » التى يتقدم خطاب ودها واحدا بعد الآخر فترفضهم ، وبعد رفضها للثالث يجيىء من أصطفاه قبلها « مصطفى » فتقبله ، وهى البنية التى تنطوى على نقيض البطلة أو شريرة الحكاية فى صورة« زنوبة » العانس التى تريد أن تفوز بالفارس الذى اختارته بطلة حكايتنا خدينا لقلبها . ودائما ما يؤدى رفض الخطاب فى الحكاية إلى وحدتهم ، وهذا أيضا هو ما حدث فى رواية الحكيم التى توحد فيها جميع المرفوضين فى أتون الثورة التى تؤكد حبهم لست الحسن والجمال الكبرى « مصر » . وفى الرواية بالاضافة إلى هذا المستوى الشعبى مستويات أخرى أهمها المستوى الرمزى ، الذى يستخدم فيه الحكيم اسطورة أوزوريس الممزق الأوصال وأيزيس التى تجمع شتات هذا الكل الممزق فى واحد . وربما كان تضافر البنيتين الشعبية والأسطورية فى بناء عودة الروح هو الذى أكسبها أهميتها النصية الفائقة برغم كل ما بها من هنات فنية وفكرية على السواء .

وإذا كانت المكونات الشعبية والمصرية القديمة من مكونات الشخصية المصرية عند توفيق الحكيم ، فإن حاضر هذه الشخصية مرهون عنده ، وعند الكثيرين من أبناء جيله الذين بلور طه حسين مشروعهم الحضارى الكبير فى كتابه الهام (مستقبل الثقافة فى مصر) ، بحوار هذه الشخصية مع الجانب المتوسطى فيها أو بالأحرى مع أوروبا . ومن هنا كانت (أهل الكهف) فى جوهرها حوارا نصيا مع أهم أقدم عناصر تلك الثقافة المتوسطية وهو المسرح الأغريقى . وكانت (عصفور من الشرق) جدلا مباشرا مع واقع هذه الحضارة الأوروبية الراهن وفكرها الاجتماعى والسياسى المتمثل فى شخصية « إيڤان » . لكن هناك إلى جانب هذا كله رافدا آخر من روافد إجابة الحكيم على اسئلة الهوية القومية المصرية ، وهو الرافد التراثى العربى الذى بلوره الحكيم من خلال كتابه (محمد) ومن الملاحظ أن وعى الحكيم بصياغة كل تلك الروافد المتعددة هو الذى جعلكل هذهالنصوص جميعا من

النصوص التى تنطلق من الفكرة المصاغة سلفا عن الواقع ، أكثر من انطلاقها من الواقع الذى يرغب فى طرح أفكاره عبر المعالجة الحسية لجزئياته . لأن مثل ذلك الطرح الواقعى الحساس لم يتحقق فى تصورى إلا فى (يوميات نائب فى الأرياف) التى أعتبرها أعمق أعمال الحكيم وأجلها . ففى هذا النص الجميل يتخلى الحكيم عن معظم أفكاره المسبقة ، أو يطرحها وراء ظهره ، ليعرى لنا بسخرية شفيفة تناقضات واقعة ، ويكشف لنا عن نبض عصب الحياة فيه . فيتألق هذا الكشف بالكثير من الاضاءات التى تتناقض معأطروحات الحكيم الفكرية فى أعماله السابقة ، ويكشف لنا عن بنية فكرية وفنية جديدة جديرة بالتأمل والدرس . وهى بنية واقعية جميلة فى أصالتها وتفردها وقدرتها على الإضاءة والكشف . ذلك لأن بنية هذا النص الأدبى الجميل تكشف لنا عن أن القشرة الغربية التى تتمثل فى هذا القانون النابليونى الذى استلهمه المشرع المصرى ، لا يمكن لها أن تتفاعل مع الواقع ، أو تجيب على أسئلته الأساسية . إنها لحدة المفارقة لا تخفق فحسب فى

الكشف عن مرتكب الجريمة التى أستُدعى ممثلو القانون لإماطة اللثام عن غوامضها ، ولكنها تساهم فى ارتكاب جريمة جديدة أكثر غموضا وأشد بشاعة هى جريمة مقتل « ريم » . كما تفصح لنا تناقضات وقائع هذا النص الأدبى المتراكبة عن الهوة الشاسعة التى تفصل بين المثقف المصرى وأبناء شعبه الذين ينعم بخيراتهم ، ويشارك بوعى منه أو بدون وعى فى احكام أنشوطة القهر والسلطة من حول رقابهم .

ومنذ تلك البداية القوية فى الثلاثينات واصل الحكيم الكتابة على هذه المحاور الفكرية والأدبية المتداخلة والمتناقضة فى بعض الأحيان . وتمكنت نصوصه الأدبية ، والتى أود هنا أن أميز بينها وبين نصوصه النظرية أو السياسية ، من أن تقيم حوارا ثريا مع الواقع الثقافى المصرى والعربى ، وأن تساهم فى تاكيد فاعلية الكلمة فى الواقع الحضارى الذى تصدر عنه وتسعى إلى التوجه إليه . ألم يقل جمال عبد الناصر أن (عودة الروح) هى التى ألهمت حركته الثورة ؟ وهى التى انتجت هذا الشعور الملح بضرورة أن ينهض من أبناء مصر من يوقظها من سباتها الذى طال ؟ صحيح أن الحكيم عبر فى (عودة الوعى) الغائب أو المفقود عن خيبة أمله فى تلك الثورة التى قامت على أساس مشروعه الروائى ، لكن احساس هذا النظام المصرى بأنه خرج من بين صفحات (عودة الروح) ، هى التى ساهمت فى إزدهار الأدب والثقافة المصرية فى الستينات بصورة لم تعرفها الثقافة المصريةبعد ذلك حتى الآن . وقد استطاع الحكيم حتى فى تسجيله لوقائع (زهرة العمر) وهى تتشابك مع رحلة الوعى وفصول الصراع بين الشرق والغرب حتى تبلغ (سجن العمر) و (عودة الوعى) من إقامة هذا التوازى الدال بين الذات المبدعة وهموم الوعى القومى نفسه . كما قدمت استقصاءاته فى مجال التنظير الأدبى « من البرج العاجى » « تحت شمس الفكر » أو « تحت المصباح الأخضر » محاولة متفردة للوصول إلى تلك « التعادلية » الصعبة والمستحيلة فى الأدب والحياة . فهل حقق الحكيم فعلا هذه التعادلية ، أم تراه سقط باسمها فى إسار الرؤى المحافظة ؟ هذا هو ما يجب أن تكشف عنه الدراسات المتقصية لإنجاز الحكيم ، ولمعرفة حقيقة دوره ، وما سيتبقى منه للتاريخ ، والتى نرجو ألا تتأخر كثيرا بعد أن ينفض مولد الرثاء التقليدى .

د. صبرى حافظ

الحكيم .. ومعنى الريادة

محمد جبريل

الجديد إضافة ، وإلا لما استحق هذه التسمية ـ أو الصفة ـ فعلا . كل جيل ينبغى ان يضيف ـ بإبداعاته إلى ابداعات الأجيال السابقة . ولقد راجعت نفسى ، وشملنى إحساس عميق بالاعتذارية ـ مرضنا المزمن ! ـ فى اللحظة التالية لمصارحتى استاذنا نجيب محفوظ : إن من حق الأجيال التالية ـ وواجبها أيضاً ـ إن تضيف إلى معطياتك ، وتجاوزها ما أمكن . . لكن الرجل ـ بفهمه الذكى وأبوته الحانية ـ وافقنى على ملاحظتى بلا تردد . وقال : تلك طبيعة الامور . . عدم الاضافة يعنى السكون ، فالجمود ، فالموت ! . .

وبالطبع ، فإنه ليس كل « الكبار » يشاركون نجيب محفوظ ذلك الرأى . أذكرك بعبقرى القصة القصيرة يوسف ادريس ، شغلته مقالات الصحف ، حتى تنبه ـ أو نبهه الآخرون ـ إلى غيابه عن حركة الإبداع فى القصة القصيرة والمسرحية والرواية ـ وهى الأجناس الأدبية الثلاثة التى أضاف بها يوسف ادريس إلى ادبنا المعاصر ، بدءاً بارخص ليالى إلى البهلوان ، مرورا بالحرام والفرافير وبيت من لحم والنداهة والعيب ولغة الآى آى وغيرها . .

ومع ان مياها كثيرة قد جرت تحت الجسر ، فان يوسف ادريس عاب على أدباء الاجيال التالية محاولاتهم للإضافة ، بأن ينهلوا ـ مثلاً ـ من التراث الاسلامى أو العربى أو العالمى فى اطلاقه ، أو يحاولوا الاضافة التكنيكية او الاسلوبية . وبالتحديد : فقد طالب يوسف ادريس كتاب القصة القصيرة أن يبداوا وينتهوا فى اعماله ، لا معنى لكل المحاولات التالية ، لأن القصة القصيرة ـ فى صورتها المتفوقة ـ هى ما أبدعه يوسف ادريس . .

الطريف أن يوسف ادريس نفى أن يكون ما كتبه فى الصحف مجرد مقالات تناقش هموم مجتمعنا . انه فن قد لا يكون قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية ، ولكنه جنس أدبى يفوق ذلك ، ويتفوق عليه . .

ولقد غلبنى شعور بالضيق ، لما تكررت أسئلتى حول الريادة فى هذا الجنس الادبى أو ذاك ، وتوفيق الحكيم يكرر أجوبته حول ريادته هو شخصيا فى كل تلك الاجناس . يقول فى ثقة : لقد كنت أول من كتب فى هذا اللون . رواية الاجيال ، مثلا . . او رواية الاسقاط السياسى . . او المسرحية التى تستلهم التراث . . او القصة القصيرة التى تعنى بهموم الواقع . . او الدراسة الفلسفية والفكرية الخ . .

ويلتفت الى ثروت اباظة ، الذى كان يتابع حوارنا فى بهو فندق سمير اميس : مش كده يا ثروت ؟ . أليست عودة الروح هى رواية الأجيال الأولى فى أدبنا المعاصر ؟ . . أليست « يا طالع الشجرة » هى اولى مسرحيات اللامعقول ؟ . . و « أشعب » هى بداية استلهام التراث فى تضفير عمل ادبى ؟ . .

غلبنى الضيق ـ كما قلت لك ـ وأيقنت أن الرجل يريد نسبة بدايات كل ابداعاتنا الى نفسه ، فليس ثم جيل سابق

ولا جيل معاصر ولا أجيال تالية . انه هو الرائد دوما فى كل مجالات الادب . .

وظل حوارى مع الحكيم يشغلنى لفترة . اربط النتائج بالأسباب ، والنهايات بالبدايات ، الاعمال المعاصرة بما كتبه الحكيم وجيله ، وتأكد لى ــ بمداومة الملاحظة والتفكير والنقاش ــ ان الحكيم هو الرائد الفعلى لمعظم الاسهامات الابداعية فى ثقافتنا المعاصرة ، لا لمجرد أن محاولاته فى مجالات الادب كانت غير مسبوقة ، وانما لأنه كان مهموما ــ فى الوقت نفسه ــ بتمهيد الارض ، وتسويتها ، لأجيال تالية من بعده ، مسئوليتها ــ على حد تعبير رائد آخر ، هو المازنى ــ إقامة الفيللات والبنايات بما يشكل حياة ادبية . وكما يقول الحكيم ، فإن « محاولات التجديد هى دائما دليل الحيوية » (ملامح داخلية ص ١١٨)

●●●

القيمة الاولى لاعمال توفيق الحكيم هى الريادة . قد نختلف فى مدى غلبة الفكر على الفن فى بعض مسرحياته ، وفى اقتراب قصصه القصيرة من ذلك الفن ، وفى تناقض مواقفه الاجتماعية السياسية . . قد نختلف فى ذلك كله ، وحوله ، ومعه . . ولكن الاتفاق وارد وحتمى فى قيمة الحكيم رائداً مؤصلاً فى ثقافتنا المعاصرة . أفاد من تراثنا القديم ، ومن أحدث ما أفرزته الثقافة العالمية ، وعنى بتضفير ذلك فى اعمال حققت التفوق احيانا ، ولم تجاوز نقطة الصفر فى أحيان أخرى ، ولكنها ارتادت دروبا لم يتعرفها اليها من قبل أدبنا المعاصر ، فى اجناسه المختلفة . . إن الريادة ــ كهدف ومسئولية والتزام ــ لم تشغل بال الحكيم ، وتصبح هما أساسياً فى طموحاته الشخصية والعامة ، إلا بعد تعرفه المباشر الى المدنية الاوربية ، والثقافة الاوربية على وجه التحديد . .

كان ــ قبل سفره الى باريس ــ فنانا للفرجة ــ والتعبير لاستاذنا الدكتور على الراعى ــ كتب ما يريده اصحاب الفرق ومخرجيها ، لاما يريده هو . بل ان أراده هو ــ فى الأغلب ــ كان هلاميا ومشوشا . كان المسرح شاغله كفكرة ، كحب امتلك قلبه وذهنه وخياله ، ولكنه أهمل وضع ذلك الحب فى أطر محددة . فلما سافر الى باريس ، وارتاد المسرح الفرنسى ، وناقش الادباء والمثقفين ، وتابع الاصدارات والحركات الفنية الجديدة ، أصبح لكلمات الثقافة ، الادب ، المسرح ، الرواية ، القصة ، وغيرها ، مدلولاتها التى تختلف تماما عن المدلولات التى كانت لها قبل سفره ، واستأذنك فى نقل هذه الفقرات من كتاب الدكتور الراعى « توفيق الحكيم فنان الفرجة ، وفنان الفكر » . فكرت فى تلخيصها ، أو إعادة صياغتها بما لا يبعدها عن المعنى الذى يستهدفه كاتبها ، ثم آثرت أن أنقلها كما هى . . إنها التعبير الابلغ عن بداية رحلة الريادة فى حياة الحكيم :

« ذهبت أيام عكاشة وفرقته ، وجعل الكاتب البادئ هدفه أن يرفع عن المسرحية المصرية تهمة التشخيص ، التى عرضته للاهانة فى بدء حياته الادبية ، ويجعل لها قيمة أدبية بحتة ، كيما تقرأ على أنها أدب وفكر . .

فعل هذا إثراء للادب العربى ، واحتجاجا على المسرحية الفارغة العقل التى سادت مسارح مصر قبل سفره وبعد عودته ، والتى تقوم على مجرد الحوادث المثيرة والحركات والمفاجآت ، ولا تعرف الحوار القائم على دعائم الفكر والادب والفلسفة . .

ولكنه فعله ايضا دفاعا عن نفسه ، فإنه لم يشأ أن يعود الى الوضع الاجتماعى المهين ، الذى تمثله صورة كامل الخلعى يجلس مع توفيق الحكيم المحامى على قارعة الطريق . يدندن والملحن عارى القدمين الا من قبقاب خشبى ! . .

أى ان الفنان الشاب قد اسدل ــ دفاعا عن وضعه كفنان ــ ستاراً من الإحترام الفنى على أعماله ، بوصلها بأعمال المحترمين من الفنانين الكبار ، وكأنما يريد أن يصبح من خلال أعماله : ان يكن الفنان محتقرا فى بلادى ، فقد جئتكم يا اهل بلدى بفن لا يجرؤ على احتقاره احد » (توفيق الحكيم ــ فنان الفرجة وفنان الفكر ص ٣١) .

لقد حدثت ــ إبان اقامة الحكيم فى فرنسا ــ متغيرات كثيرة فى حياتنا الثقافية . حين أصدر الدكتور هيكل روايته الرائدة « زينب » (١٩١٤) فإنه لجأ الى حذف اسمه ، ووضع بدلا منه « مصرى فلاح » وفقاً للآراء التى كانت تضع القصة ــ آنذاك ــ فى باب الطرائف ! . الأمر نفسه ــ تقريبا ــ فعله الحكيم ، عندما حذف اسم اسرته من اعلانات مسرحيتى « العريس » و « خاتم سليمان » حتى لا يقترن اسم الأسرة بأسماء الصعاليك والمتشردين والمهرجين والساقطين ، وهى الصفات التى كان والد الحكيم يضع فى اطارها كل المشتغلين بفن المسرح ، كلهم بلا استثناء ! . وكما يقول الحكيم فان « الادب والاشتغال به وحده ، لم يكن من الامور التى تؤخذ على سبيل الجد فى مجتمع لم يكن يمنح الاحترام والجاه والمال الا للباشوات او لاصحاب السلطان والمناصب فى الحكم والادارة والقضاء . ولولا أن شوقى الشاعر كان له منصب هام فى السراى ، وكانت له ثروة ، لنظر اليه المجتمع وقتئذ نظرته الى

زميله حافظ ابراهيم : لا أكثر من صعلوك او مهرج فى أعين كبار رجال الدولة ، يتعطفون عليه بوظيفة يلقون بها اليه فى منّ وترفع . لم تكن هناك أمثلة مشجعة فى الأدب . . (سجن العمر ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨) . ثم تغيرت ظروف الصحافة ، بتغير ظروف الحياة السياسية . علا نجم الكتاب بعامة ، وكتاب الصحافة على نحو خاص ، وبرزت اسماء : طه حسين والعقاد وهيكل والمازنى وغيرهم . . ولأن هؤلاء الكتاب كانوا أدباء فى الاساس ، فقد عنوا بمحاولات التجديد والريادة فى مجالات الادب المختلفة . ولقد كان العديد من الكتب التى صدرت فى العشرينات والثلاثينات ، فصولاً سبق نشرها فى صحف تلك الفترة . .

* * *

ارتاد الحكيم ــ عقب عودته من اوروبا ــ نفس الدروب التى ارتادها من قبله المازنى والعقاد وهيكل وشكرى وغيرهم ممن عنوا بتسوية الارض ، واقامة البنايات الاولى بمسميات عدة . . فثمة قصة قصيرة ، ومسرحية ذات فصل واحد ، ورواية ، ومسرحية ذات ثلاثة فصول ، ودراسات فى الادب ، واخرى فى الفن ، وثالثة فى الدين الخ . .

كان المسرح ــ قبل سفر الحكيم شاغله الوحيد ــ ولكن شعور الريادة فرض عليه الدور نفسه الذى كان ينهض به الرواد . . فمارس كتابة الرواية والقصة القصيرة والمقالة الحوارية والسيرة الذاتية والمقالة النقدية والتأملات . . فضلا عن المسرحية التى ظلت محورا اساسياً فى اهتماماته الفنية . .

ولعل إحساس الحكيم بمسئولية الريادة ، هو الذى يملى عليه تقديم العديد من الاعمال ، تأثراً باعمال غربية أتيح له مشاهدتها ، أو قراءتها . لا أعنى التأثر بمعنى النقل ، فقد حرص الحكيم على ان يحقق التفرد فى كل أعماله ، وان يكون ــ دوما ــ نسيج ذاته . بل ان الريادة اقترنت بالتفرد فى مرحلة تالية ، فهو يحرص على ان يكون غير مسبوق ، أقول : لعل احساس الحكيم بمسئولية الريادة هو الذى احيا فى نفسه رغبة قديمة بكتابة مسرحية بجماليون عقب مشاهدته لمسرحية برناردشو الشهيرة بنفس الاسم . . وهو الذى حفزه لكتابة يا طالع الشجرة بعد ان شكل تقديم مسرحيتى الكراسى ليونيسكو و لعبة النهاية لبيكيت حدثا ثقافيا لا تخطئه العين . .

واحساس الريادة هو الذى أملى على الحكيم تخوفه من جهل الناشرين ، فهم لن يرضوا ــ مثلا ــ باسم عودة الروح بعد ان ألفوا اسماء من مثل آلام العشاق و حياة المحبين و ضحايا الغرام . . الإحساس نفسه هو الذى أملى على الحكيم هذه الكلمات التى خاطب بها أحد اصدقائه : انى أراك تجهد نفسك كثيرا لتخفف عنى بعض النفقات فى الطبع بالبحث عن الناشرين المهاودين ، ولكنى أرى أن لابد من التضحية فى هذا البلد حتى أنشر شيئا فيه بعض العمق ، فلا تنس ذلك ! (وثائق من كواليس الادباء ص ٣٨) . الاحساس نفسه ايضا ، هو الذى دفعه للكتابة فى مقدمة المسرح المنوع : فأنا أحاول فى قلق جنونى أن أسارع الى ملء بعض الفجوة على قدر امكانى وجهدى ، فأنا أقوم فى ثلاثين سنة ، برحلة قطعها الادب المسرحى فى اللغات الاخرى فى نحو الفى سنة . نحن اذن جيل مطالب بحمل مسئولية كاملة إزاء الأدب المسرحى ، لم تلتفت اليها الأجيال السابقة على مدى قرون

كتب الحكيم ، بعد عودته من باريس :

« إن هدفى اليوم هو ان اجعل للحوار قيمة ادبية بحتة ، ليقرأ على أنه أدب وفكر » . .

ولقد كان الحوار هو وسيلة الحكيم المفضلة لصياغة أفكاره وخواطره وانطباعاته . وكان رايه أن الحوار ينبغى ألا يقتصر على الدراما ، وأنه من المفروض ان يمتد ، فيشمل كل الاجناس الادبية التى عنى بكتابتها . .

وظل الحوار ــ بالفعل ــ سمة اساسية فى ادب الحكيم . لا يقتصر على الاعمال المسرحية وحدها ، ولكنه يشمل اعماله الروائية مثل « عودة الروح » والدينية مثل « محمد » والعديد من قصصه القصيرة فضلا عن حواراته السياسية والاجتماعية التى حاول فيها تأصيل افكاره من خلال حوارات بين المؤلف وحماره ، أو بين المؤلف وآخرين . .

الحوار ــ فى كل الأحوال ــ وسيلة فنية ، لا يشترط ان يكون دراميا ، بحيث يشكل صورا صالحة ــ بعضها او مجموعها ــ للعرض . انه مجرد وسيلة فنية ، مطلقة ، للتعبير . .

* * *

الحكيم يدرك دوره جيدا ، وما يتطلبه المسرح المصرى منه . يقول فى مقدمة المسرح المنوع « انها مسرحيات منوعة فى اسلوبها وفى اهدافها ، ففيها الجدى ، والفكاهى . وفيها ما كتب بالفصحى أو بالعامية ، وفيها النفسى ، والاجتماعى ، والريفى ، والسياسى ، ونحو ذلك . . إن أى مؤلف مسرحى معاصر لنا ، وينتمى الى أى أدب أوروبى ، يعمل اليوم وقدمه مستقرة فوق تجارب الفين من السنين ــ تجارب راسخة فى أدب بلاده ، منذ العهد الاغريقى ، فإن أى أديب مسرحى اوروبى انما يقوم على آثار ، امتدت على الاجيال منذ نحو الفى سنة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبوعة منشورة فى لغة بلاده ، ينقلها جيل الى جيل مع ما ينتجه وما يبدعه ، كأنها سلسلة فكرية طويلة متصلة ، تحمل كل الانواع والاتجاهات والابتكارات ، وتحاول حل كل العقد وكل المشكلات الفكرية والفنية واللغوية والادبية . اما فى بلادنا ولغتنا وأدبنا ، فميدان التجربة فى التأليف المسرحى ضيق محدود ، لأن أدبنا العربى لم يعترف بالأدب المسرحى ، قالبا أدبيا الى جانب المقامة والمقالة ، الا منذ سنوات قلائل ، كما أننا لم ننقل الى لغتنا من ادب المسرح ، قديمه وحديثه ، الا منذ سنوات قلائل ايضا . . فمؤلفنا المسرحى المعاصر اذن ينهض على فراغ أو على شبه فراغ ، من تجارب قليلة ضئيلة ، لم ترسخ بعد فى لغته وادبه ، ويعمل وخلفه فجوة هائلة لم تملأها جهود السابقين على مدى الاجيال » .

انها رؤية فنان يتطلع امامه ، فلا يجد سوى الخلاء ، أو بعض البيوت القزمة المتساندة التى يصعب ان تشى بمستقبل ، فضلا عن الأرض التى تفتقد التسوية . . وأدرك الحكيم ان ريادته تبدأ من فراغ ـ كانت كذلك فعلا ـ فلم يقصر مسرحياته على لون بذاته ـ وانما حاول الكتابة فى كل فنون المسرح ، فاستلهم اساطير الاغريق فى «أوديب ملكا» و بحماليون» و «براكسا أو مشكلة الحكم» ، ولجأ إلى التراث الاسطورى العربى كما فعل فى «شهر زاد» ، أو التراث الدينى كما فى «أهل الكهف» و «سليمان الحكيم» ، أو التراث الفرعونى كما فى «ايزيس» . .

وحين كتب الحكيم «أهل الكهف» فقد كان ـ والكلام له يستهدف «كتابة مأساة مصرية على أساس مصرى» . . فالمأساة الاغريقية تعنى بالصراع بين الانسان والقدر . أما المأساة المصرية ـ فى تصور الحكيم ـ فهى الصراع بين الانسان والزمن . .

لقد وصف طه حسين «أهل الكهف» (١٩٣٣) بأنها فتحت بابا جديدا فى الأدب العربى . وأكد المعنى نفسه ، أو اقترب منه ، مصطفى عبد الرازق ، والعقاد ، وأحمد الصاوى محمد ، وغيرهم . .

ومع أن الحكم ـ اتساقا مع طبيعته التى تهوى الدعابة والمشاغبة وتحريك الساكن واثارة الانتباه ـ قد حاول أن ينفى عن مسرحيته صفة الريادة ، ودخل فى ذلك مساجلات مع طه حسين ، يجد فى أهل الكهف اتصالا بما سبق ، وأن هناك روادا سبقوه فى الدرب الذى تصور طه حسين أن الحكيم كان أول من ارتاده . . مع ذلك فإن «أهل الكهف» مسرحية رائدة بلا جدال ، وهى تكتسب تلك الريادة من فهمها الواعى لطبيعة الدراما المسرحية . .

* * *

كان المسرح هو اتجاه الحكيم منذ البداية . لم تستهوه القصة ، أو يقبل على كتابتها إلا بعد أن نشر مسرحيته الأولى «الضيف الثقيل» بسنوات .

«عودة الروح» هى المعلم الأول فى الرواية الواقعية ، تلك التى تستوحى هموم الناس ومشكلات المجتمع ، وقدم لنا بشر عاديين من هؤلاء الذين نلتقى بهم فى أماكن الدراسة والعمل والبيت والشارع والسوق : سنية ومحسن وسليم وعبده وزنوبة وحنفى ومبروك وغيرهم من شخصيات «عودة الروح» هى البداية الحقيقية لأبطال الرواية المعاصرة ، التى تتنفس الواقع ، وتعبر عنه . وإذا اختلفنا فى نسبة البداية الروائية لحديث عيسى ابن هشام أو زينب أو عذراء دنشواى ، فإننا نتفق على أن «عودة الروح» تكتسب ريادتها من أنها أول رواية عربية تطالع القارىء على أسس فنية راسخة .

ويحدثنا الحكيم أنه كتب «عودة الروح» بالفرنسية أولاً ، ثم طرح المسودة الفرنسية جانباً ، وأعاد كتابة الرواية من جديد باللغة العربية . يقول : «كنت قد شرعت أكتب فى باريس فى أوائل ١٩٢٧ ، الرواية التى سميتها بعد ذلك «عودة الروح» . كتبتها أول الأمر بالفرنسية ، لأن شعورى وقتئذ هو أن الفن القصصى كالفن التمثيل لم يزل فى مصر محتاجا إلى الاحترام الذى يظفر به فن المقالة الأدبية . ولابد للأديب فى مصر وقتئذ من أن يكون قبل كل شىء صاحب مقام راسخ فى ميدان المقال الأدبى . أما المتخصص فى الكتابة القصصية أو المسرحية وحدها دون أن يكون إلى جانب ذلك كاتب مقال ، فإن عالم الأدب عندنا لا يعترف بجدية عمله» (وثائق من كواليس الأدباء ص ٣٠ - ٣١) .

* * *

ولم تكن القصة القصيرة مما يشغل توفيق الحكيم : «كان اهتمامى كله مركزا فى المسرح والكتابة المسرحية» . وبرغم صداقته لأعضاء المدرسة الحديثة ـ أحمد خيرى سعيد ويحيى حقى وحسن محمود وطاهر لاشين ـ فإنه لم يجاوز فى علاقته بهم حد الصداقة العادية التى لا صلة لها بقضايا الأدب والفن ، فقد كانت القصة القصيرة هى انشغالهم الأهم . وظلت أعمالهم ـ حتى بعد أن حاول الحكيم الكتابة فى ذلك المجال ـ أكثر استواء ونضجا وإلماما بفنية القصة القصيرة . . ولكن الرجل

أقدم على كتابة الرواية والقصة «تطوعا قوميا وفنيا ، أقوم به كلما شعرت أن هناك حاجة إلى الإسهام بجهد» .

• • •

يقول الحكيم فى تقديمه لمسرحية «يا طالع الشجرة» : « . . ظهرت بعد الحرب الثانية - وعلى الأخص فى السنوات الخمسين لهذا القرن ، بوادر مدرسة جديدة فى المسرح . ظهرت متفرقة أول الأمر ، برخت فى ناحية اونيسكو وبيكيت وفوتييه وآداموف فى ناحية أخرى . . ولكن سرعان ما بدا على هذه الحركة علامات التمسك والاصرار ، وإذا هى تصمد بقوة أمام هجمات المعارضين من أغلبية النقاد والمشاهدين إلى الحد الذى لم يصبح فى الامكان تجاهلها . وقد حاولت تجاهلها فعلا على الرغم من مطالعتى وتتبعى لانتاجها . ولم أفكر أثناء اقامتى فى باريس عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ أن اقترب منها . . ما الذى تغير

اذن ؟ . . هنا بعد عودتى إلى بلادى أخذت أتأمل فنون شعبنا ، وإذا بى أجد الأرض الحقيقية التى احتوت معدن هذا الفن الحديث كله . . إذا كانت السمة الظاهرة فى الفن الحديث من تصوير ونحت ومسرح الخ هى التعبير عن الواقع بغير الواقع ، والالتجاء إلى اللا معقول واللا منطقى فى كل تعبير فنى ، وابتداع التجريد فى الوصول إلى إيقاعات ومؤثرات جديدة ، فإن كل ذلك قد عرفه فننا القديم والشعبى على أرض بلادنا منذ القدم . . هذا هو السبب الذى دعانى اليوم إلى كتابة هذه المسرحية . فنحن أولى من غيرنا باستلهام أساليبنا الشعبية فى الاتجاهات الفنية المختلفة (يا طالع الشجرة ـ المقدمة) .

ومع ذلك ، ولأن الحكيم قد كتب «يا طالع الشجرة» تأثرا بما كتبه آخرون فى الغرب ، ففيما عدا مشهد الزوجين المتحاورين بينما كل منهما يحدث نفسه فى الموضوع الذى همه ، فإن المسرحية يسهل متابعة أحداثها وفهمها ، فى اطار المسرح الذهنى الذى شغل به الحكيم ، وشغلنا به ، منذ «أهل الكهف» ، لا يغير من ذلك تغير الزمان والمكان ، وتداخل الأحداث ، وتكرار الحدث الرئيسى ، وغير ذلك مما أوهم به الحكيم نفسه ـ وحاول إيهامنا ـ أنه هو مسرح اللا معقول ، مثلما قدمه بيكيت ويونيسكو واشباههما . .

ولكن المسرحية بعد ـ كما يصفها استاذنا الدكتور لويس عوض بحق ـ «عمل عظيم ، عميق الأغوار ، توج به الحكيم مفرق الأدب العربى الحديث ، وجدد فينا الأمل أن نجدد الكرمة الوارفة ونفيء بها على العالمين (مقالات فى النقد والأدب ص ٢٥٦) .

والحكيم هنا ـ رائد جاوز الستين بأعوام ! . .

حاول الحكيم فى «بنك القلق» كتابة المسرواية ، تضفير الأسلوب المسرحى والأسلوب الروائى فى عمل فنى واحد ، بحيث يكتمل العمل بالتحام الاسلوبين . بل لقد حاول أن يجمع بين عنصرى الرواية والقصة القصيرة . يقول فى مقدمة «أشعب أمير الطفيليين» : «انى اريد الجمع بين اسلوب الايجاز والتركيز عند العرب ، وهو سمة القصة القصيرة . . وأسلوب التحليل والاطناب وهو سمة الرواية الحديثة» .

وأيا كان الرأى فى المحتوى الفلسفى لتعادلية الحكيم ، فإن قيمة هذا الكتاب الهام فى ريادته ، ومحاولة تقديم فكر فلسفى عربى معاصر ، لا يعتمد على النقل ، وإنما يستلهم التراث والبيئة والذات . .

وكتب الحكيم المقال الدينى والسياسى والاجتماعى والفنى ، والسيرة الذاتية ، والنظرية الأدبية . . وكان فى كل ما كتب رائداً ، بمعنى أنه كان غير مسبوق ، ولم يشغله التقليب فى آراء الآخرين ، بقدر ما عنى بالتفكير فى آراء الآخرين ، وتسجيلها ، فى العديد من المقالات والكتب .

• •

حتى اللغة ، حاول الحكيم أن يطوعها بما يخدم قضية الفن . يقول فى تقديمه لمسرحية «الصفقة» : «كانت ولم تزل مسألة اللغة التى يجب استخدامها فى المسرحية المحلية موضع جدل وخلاف . وقد كثر الكلام حول العامية والفصحى . . فاستخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة فى القراءة ، ولكنها عند التمثيل تستلزم الترجمة إلى اللغة التى يمكن أن ينطق بها الأشخاص ، فالفصحى إذن ليست هنا لغة نهائية فى كل الأحوال . كما أن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه ، هوان هذه اللغة ليست مفهومه فى كل زمن ولا فى كل قطر بل ولا فى كل اقليم . فالعامية اذن ليست هى الأخرى لغة نهائية فى كل مكان أو زمان . كان لابد لى من تجربة ثالثة لايجاد لغة صحيحة لا تجافى قواعد الفصحى وهى ـ فى نفس الوقت ـ مما يمكن أن ينطق الاشخاص ولا ينافى طبيعتهم ولا جو حياتهم . . لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل أقليم يمكن أن تجرى على الألسنة فى محيطها . تلك هى لغة هذه المسرحية» .

ومع أن تلك الدعوة لم يقدر لها النجاح ، لأن اللغة الثالثة التى دعا إليها الحكيم ـ لا تنفذ بقرار ، ولا باجتهاد فردى ـ أو جماعى ـ وإنما يأتى تطوير اللغة ، والتقليل من ازدواجيتها ، بإنتشار التعليم ، واستخدامنا بالتالى لمفردات ومصطلحات وتركيبات غير تلك التى ألفنا استخدامها . . مع ذلك فإنه يمكن أن ننسب دعوة الحكيم ، وإقدامه على تطبيقها ، إلى محاولاته الريادية فى ثقافتنا . .

وإذا كان الحكيم قد ظل يكتب إلى غيبوبة الموت ، فالحق أنه توقف عن الكتابة الإبداعية قبل ذلك بسنوات . ولم يكن توقفه اعتباطا ولا مصادفة ، بل ولا لضرورة فرضتها اعتبارات السن ، فهو ـ كما قال فى حوار صحفى (الاسبوع العربى/٣ اكتوبر ١٩٦٦) قد ترك الرواية فى رعاية نجيب محفوظ «وهو بدون شك سيقودها إلى بر الأمان» .. «أما كتابة المسرحية فسأتركها أيضا وأنا مطمئن إلى أن جيلا جديدا قد ظهر فى سعد الدين وهبة والفريد فرج ويوسف ادريس ولطفى الخولى ورشاد رشدى ونعمان عاشور وميخائيل رومان ، وهم كتاب المسرح القومى إلى جانب الناشئة التى تبرز فى مسرح الحكيم» .

لقد أخذت كل من المسرحية تألقها على أيدى نعمان عاشور وسعد وهبة ومحمود دياب والفريد فرج وعلى سالم وغيرهم .. والقصة القصيرة على يد نجيب محفوظ ، ومن بعده جيل الستينات كذلك .. ولكن هؤلاء جميعا مسبوقون بريادة الحكيم . أنه هو الذى تعرف إلى طبيعة الطريق ، وبذل الجهد ـ بمعطياته ـ فى إزالة وعورته ، وتمهيده ..

كان أشد ما يثير الروائى الراحل محمد عبد الحليم عبد الله ، تلك الدراسات النقدية التى كانت تجد فى أعماله امتدادا ـ ولو من الناحية الاسلوبية ـ لأعمال المنفلوطى . يقول لى : ربما أشعر بالسعادة لو أنى كنت أحيا فى عصر المنفلوطى .. ولكننى أحيا بعده بعشرات السنين ! ..

والحق أن المعطيات الأدبية يجب أن تناقش فى ضوء عصرها . من الصعب قراءة عبد الحليم عبد الله فى ضوء المفهومات الفنية والاجتماعية التى نقرأ بها المنفلوطى ، ومن الصعب أن نقرأ مجيد طوبيا وعبد الله خيرت ومحمد الراوى وابراهيم أصلان ومحمد البساطى وغيرهم فى ضوء المفهومات الفنية والاجتماعية لبدايات يوسف ادريس ونجيب محفوظ ونعمان عاشور وعبد الصبور . بل انه من الصعب أن نناقش هؤلاء «الكبار» إلى معطياتنا الثقافية فى غير الاطار الفنى والاجتماعى الذى صدرت فيه . وكما يقول حكيم مصر ، فإن المقارنة يجب أن تكون بين أدب الأمس فى عصره ، وأدب اليوم فى عصره .

القاهرة : محمد جبريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توفيق الحكيم والرحلة إلى الطعام العام

دراسة

محمد محمود عبد الرازق

فى : « الطعام لكل فم » تقف أمام أسرتين : حقيقة . . وخيال ، واقع . . ومثال . أما الواقع فعادى وتافه . وأما المثال فهو معطاء . وقد نستطيع أن نقول أن توفيق الحكيم استغنى عن « الحلم » بـ « النشع » . فهو يعرف أن مسألة الأعلام التى يراها النائم بعد استلقائه على أريكة مثلا . مسألة إدارة القصة أو المسرحية فى الحلم ، حتى إذا ما قاربت النهاية استيقظ الحالم من نومه أو غفوته وقد نال درساً قاسياً ، أو استفاد بتجربة واعية . . يعرف أن هذه الحيلة ونظائرها قد أضحت من العقم بحيث لم تعد تقنع القارىء المعاصر ، أو تشبع نهمه إلى سبر أغوار الواقع ، حتى أهلنا عليها التراب وحفظناها فى متحف التاريخ الأدبى . أو حاولنا أن ننتج عجينة جديدة من امتزاج الحلم بالواقع ، والوهم بالحقيقة .

لما كان المؤلف على دراية ووعى بكل هذا ، استعان بـ « النشع على الحائط » كوسيلة جديدة ، وحيلة طريفه . وهو لم يقم بأكثر من وضع « تليفزيون » داخل المسرح . تليفزيون يعرض مشاغل أسرة مفكرة داخل بيت عادى . أو راديو من داخل الراديو . ولا نشعر أبدا بأنها « عفاريت » دخلت من الحائط . . هذا العالم غير المرئى الذى يحير توفيق الحكيم . ولا نصدق ذلك ، لأن للعفاريت حرية الانتقال داخل البيت المسكون ، والوقوف على رؤوس أصحابه . أما الأسرة التى اسفر عنها النشع فكانت محدودة الحركة بالحيز الذى تشغله بقعة النشع ذاتها . أى أن الفاصل بين الحقيقة والخيال مازال قائماً ، لم يذب ، ولم يهتز . فلكل مكانه الذى يدل عليه : الواقع المعيش يتحرك على خشبة المسرح . . والخيال معلق على الحائط . تماماً كما حدث بالنسبة لتجربة الزمن لا المكان فى مسرحية : « أهل الكهف » . فالزمان لم يتداخل فى هذه المسرحية ، بل كان لكل زمان حدوده وعلاماته فأهل الكهف يمثلون الزمان القديم . . حتى بعد أن دخلوا وسط الناس لم يذوبوا فيهم . . لم تطمس سيماهم .

ولكننا نظلم توفيق الحيكم ، إذا قلنا أنه أراد تصوير عاملين منفصلين لا يلتقيان : واقع ومثال . فلو أراد ذلك لأختار الطريق المطروق ، وقام بتصوير شخصيتين أو أكثر من لحم ودم : شخصية عادية ، وأخرى مثالية . من يديرا الصراع بينهما ، لتؤثر أحداهما على الأخرى ، أو تنفر إحداهما من الأخرى ، كما حدث مع أبسن فى مسرحيته الشعرية : « براند » (١٨٦٥) فبراند رجل دين مثالى يعيش وسط قوم يمثلون البشرية بكل ما فيها من ضعف وأنانية وانغماس فى الملذات . براند بتطرفه المثالى يتلقى الضربات بعزيمة وصبر . وأفراد كنيسته بواقعهم المر يلاحقونه بوابل من الحجارة ، وهو فى طريقه إلى كنيسته الجديدة بأعلى الجبل ، حتى إذا ما وصل إلى القمة أصابته الأحجار المنهمرة وأودت بحياته . توفيق الحكيم لم يقصد تصوير عالمين منفصلين يتصارعان ولا يلتقيان . وإنما صور عالماً واحداً بواقعه وغيبياته . تقول الزوجة : « بين الحقيقة والخيال قطرة . . وربما لا يوجد شىء بينهما على الاطلاق . . والانتقال بينهما عادى جداً . . وربما كان

شيئاً واحداً . . » . التبرير الصحيح لما نراه أمامنا على الحائط نجده فى بسائط علم النفس . بقعة من البقع . . بقعة حبر مثلا ، سقطت عفوا ، أو ألقيت بإهمال على قطعة من الورق أو القماش . لابد أن كلامنا سوف يراها من زاوية معينة بعين معينة . فيجد فيها أشكالاً غريبة تختلف عما يراه الآخر حسب ما يدور فى ذهنه .

ولكن . . كيف يحدث أن يجتمع اثنان على رؤيا واحدة ، بكل تفاصيلها ودقائقها ؟ ومن صاحب هذه الأفكار ؟ . . من الذى أدار دفة المناقشات الراقية على لسان « أسرة الحائط » ؟ . . وعهدنا بسميرة وحمدى التفاهة والسطحية ، أو كما قال حمدى لزوجته عند اختفاء الأسرة الجديدة بتساقط « البياض » نفياً لفكرة خلقها لهذه الأسرة : « رؤ وسنا ؟ ! . . وهل رؤ وسنا كان فيها شىء ؟ . . فى ذلك الوقت ؟ إنهم كانوا أرقى منا ؟! . . أتفكرين ؟ . . أنت التى قلت ذلك يومئذ . . فيما أذكر . . » .

والحقيقة أن الرؤ وس لم تكن خالية . وأنها ـ فعلاً ـ من صنع رأسيهما . أما سبب هذه الصناعة الجيدة ، والمناقشات الفكرية التى تعلو ـ فى اعتقادهما ـ على مستواهما ، فهو أسرة ثالثة لم يشأ لها الحكيم أن تظهر على خشبة المسرح ، وكان لها فضل تحريك الكوامن ، وإدارة الأحداث : أسرة أخت الزوجة ، وزوجها المحاسب الشاب . كان حمدى ـ فى نظر هذه الأسرة المثالية ـ مجرد « مفتاح صفيح » لصندوق الوزارة ، لا يعرف ما بداخل الصندوق . أما المحاسب فرغم أنه فى مقتبل العمر ، ولم يصل إلى مركز رئاسى بعد ، إلا أنه ـ على الأقل ـ يعرف ما فى ملفاته . يبحث موضوعاتها ويناقشها مع نفسه وأقرانه ورؤ ساته . وكانت سميرة تنقل هذه الآراء لزوجها وتحث على العلو بنفسه ، والسمو بأفكاره . . على أن يترك المقهى وينظر إلى الحياة نظرة جادة . وعلى أثر مناقشة من هذه المناقشات بين الزوجين ، وأخرى بين الزوج والجارة التى تقطن الدور العلوى انتصر فيها الزوج وأرهب الجارة وأثار اعجاب زوجته . . على أثر هاتين المناقشتين ، جلس يتأمل « النشع على الحائط » فكان ما رأى . . وكان أن أشرك زوجه فى الرؤيا فصدقتها .

المحرك الأول لهذه الرؤيا إذن هو الغيرة . . الغيرة من الأسرة الثالثة التى كانت تعريها وتكشف سوآتها . وليس بغريب على امرأة وثابة كانت تعشق الفن ، وتجيد العزف على البيان قبل الزواج ، أن تستجيب لهذا الدافع ، حتى تصل إلى مستوى أختها ، أو إلى خير منه . وكذلك الزوج ، فإن كانت الوظيفة والظروف المحيطة بها قد طوقاه بالتفاهة والسطحية ، فقد كان رغم هذا يتمتع بشخصية قوية بناءة تؤثر فى محدثيها ، وتدل على خلفية ثقافية ليست هينة ، أو ـ على الأقل ـ ليست « تافهة » كما فى الظاهر .

التفاهة والسطحية هما الصدأ الذى علا معدنهما مع تراكم الأيام الرتيبة وانعدام الهدف . وعندما استطاعا أن يجلوا هذا الصدأ أدهشنا المعدن النفيس ببريقه وقيمته . ثم إن المشكلة التى خاضا غمارها لم تكن بعيدة عنهما . . إنها مشكلة كل يوم . . وكل بيت . . إنها لقمة العيش ، التى تحير العالم وتستعصى على الحل المعقول . . إن بإمكانها أن يثيرا اهتمامات العالم بأسره إذا توصلا إلى توصيل الطعام لكل بيت . . لكل فم .

عندما توصلا إلى هذه الفكرة لم تعد تهمها أسرة الحائط التى اختفت . . وهل هى حقيقة أم خيال ؟ . . لم يعد يحيرهما « الشبح » كما حير هاملت ، فلا يوجد فاصل واضح بين الحقيقة والخيال . ربما كانا هما أيضا مجرد خيال . . من يدرى ؟! . . كل ذلك لا يهم . المهم هو العمل . العمل المثمر البناء . .

ـ إذا كانت نادية وأمها وطارق مجرد خيال . . فلماذا لا نكون نحن أيضا كذلك ؟ . .

ـ ماذا تقولين ؟ . .

ـ لماذا لا نكون نحن أيضا مثلهم ؟

ـ فليكن . . المهم هى الحياة . . الحياة المثمرة . . الحياة فى كل صورها ! . .

* * *

ونلحظ تقديس توفيق الحكيم للعمل فى أعمال كثيرة له ، لعل أهمها رائعته : « رحلة إلى الغد » فحتى الخلوه بلاعمل أمر تافه . . كسل وخمول خير منه الموت : « يجب أن نعمل . . لا يمكن أن نقضى هذا الخلود دون عمل شىء ! . . » . والحرية . . الحرية ذاتها . . بالدماء ، التى أريقت فى سبيلها ، بالأمال العراض المعلقة على نوالها ، بتاريخها الاسبارتاكوسى الطويل المرير ، تكمن فى الاحتياج ثم العمل : « الحرية أن نحتاج ونعمل ، ونحدث شيئا ، وننتج جديداً . . هى أن نصنع حاضراً ومستقبلاً . . هى أن نؤثر فى الغير وفى الحياة التى حولنا . . » . العقل يختل إذا لم يعمل . . إذا توقف فقد انتهينا . . « انتهى الإنسان فينا . . ودخلنا فى عداد الأشياء ، لا فى عداد الأشخاص ! . . » . وتحمل هذه الفقرة تأكيدا أعمق لتفاهة الحياة دون العمل الفكرى . . دون الفكر . . صلب الحياة وعصبها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى : « رحلة إلى الغد » تقابلنا ركائز عدة قامت عليها : « الطعام لكل فم » ومنها تجربة المؤلف الأولى مع تعليق الأفكار على « الحائط » . بل إن الأفكار هنا تقف فى الفضاء على هيئة صورة لا يعترضها حائط . . تقف وتسير وتتكلم وتعمل . ما على المرء إلا أن يتذكر حادثة حتى يراها نصب عينيه ، هناك فى ركن من الفضاء ، واضحة جلية إن وعت ذاكرته كل دقائقها ، مطموسة الملامح مبتورة إن لم تقو الذاكرة على حفظ التفاصيل . صور المخيلة تنتقل إلى الخارج إذن كما لو كانت ترسل بالراديو من وراء البحار . إذا تذكر الشخص زوجه فستمثل أمامه وسيراها غيره أيضا فى الفضاء القريب ، جميلة ، أنيقة ، وادعة ، تجلس على مقعدها المعتاد بجوار الراديو ، وفى يدها إبرة « التريكو » تخاطب زوجها : « ما أحلى هذه اللحظات . . وأنت إلى جانبى . . يازوجى العزيز » . ومادامت الصورة فى الرؤوس فستظل معلقة فى الفضاء . فإذا انتقل الشخص إلى موضوع آخر اختفت الصورة ، وحل محلها خاطر جديد .

لم تثر هذه الطريقة حولها مناوشات أدبية ، أو مناقشات نقدية ، لأن الفصل الثالث الذى نحن بصدده من : « رحلة إلى الغد » يصور الحياة على كوكب آخر ، كوكب مشحون بالكهرباء ، وله فى هذا المجال أن يتصور ما شاءت له الصورة أو ماشاء لها ، دون ضابط أو زاجر إلا الموضوع نفسه كما تخيله المؤلف وأحس به . أما « الطعام لكل فم » فإنها تحدث هنا . . على أرضنا . وهنا يرفع القلم سنانه للمناقشة والتحليل .

ولكن . . لماذا تساقط البياض على الأرض ، رمزا لاختفاء أشخاص الحائط ، ولزوال الحياة ؟ . . ثم لماذا أصر الحكيم على احضا ميكروسكوب ووضع القشور المهشمة تحت عدساته المكبرة ، ليرى إنها مجرد قشور ، مجرد ذرات من تراب . . متماسكة الآن . . تذروها الرياح بعد آن ؟ . . ماذا يعنى هذا الرمز ؟! . . هل يعنى أن الحياة مجرد قشور هشة هزيلة . . مجرد ذرات تراب واهنة هاوية ؟ نرى أن مادة الحياة فقط هى القشور الهشة . الجسم هو ذرات التراب المتطاير ، أما الفكرة فباقية خالدة ، تنتقل من رأس إلى رأس ، ومن بلد إلى بلد ، تعبر البحار ، وتمتطى صهوة الأثير ، ولا تعرف الفناء . بل تنمو وتتطور وتثرى الحياة . فالفكرة لم تمت بتساقط القشور ، بل ظلت حية فى رأس الزوجين ، وستنتقل حتما من رأسيهما إلى رؤوس أخرى كثيرة . . وبيوت أخرى كبيرة . . أكبر وأشمل من عش اثنين . . وأبقى وأخلد من رأس زوجين .

أما لماذا أطال المؤلف البحث عن طريق لإعادة الصورة إلى الحائط بعد تساقط القشور ؟ . . لماذا أضنى الزوجين فى محاولات شتى باءت كلها بالفشل ، حتى فلّتَ الفصل الثالث والأخير من يده ، وطال بمقدار النصف أكثر مما يجب . فهذا ما لم نجد له تبريراً . إن كان لتأكيد ثبوت الصورة فى المخيلة ، ورسوخ الفكرة فى العقل ، دون الجدران أو القشور . فالأجدى ــ من الناحية الفنية ــ ألا نعرض كل هذه المحاولات على خشبة المسرح . . يكفى أن نحاط علما بحدوثها دون مشاهدتها ، درأ للملل ، وحدا للإطالة فى موضوع لا يطور الفكرة أو يخدمها . يكفى أن نشعر أنها تمت فعلا كما حدث بالنسبة لإغراق الشقة العليا بالمياة عدة مرات .

* * *

أما الفكرة الأساسية التى قامت عليها المسرحية فهى البحث عن طريق لإلغاء الجوع . ونجد هذه الفكرة أيضاً فى : « رحلة إلى الغد » . بل ونفاجأ بنفس التعبيرات ، ونفس العقبات التى قد تعترضنا عند التنفيذ . ففى الفصل الرابع والأخير من : « رحلة إلى الغد » نشاهد صورة للأرض بعد قرنين من الزمان . . صورة للعالم المتعطش للأمن والسلام والخبز . . وفى هذا العالم المستقبل يستخرج الناس الطعام بكميات غير محدودة بالطرق الكيمائية :

ــ إلغاء الجوع !! . .

ــ كادت تلك الاكتشافات فى أول الأمر تعرض العالم لحرب جديدة . . فالدولة التى اكتشفت أولاً أرادت الاحتكار . . . ولكن سر الاكتشاف لم يلبث أن تسرب وعرفته كل الدول . . واستطاعت كل أمم الأرض أن تنتج الطعام بغير تكاليف . . وبهذا عم السلام . . .

ــ كل شخص يجد القهوة واللبن فى الأنابيب !! . .

ــ نعم . . وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ . .

هذه محاورة من المحاورات التى دارت بين فتاة من فتيات المستقبل ، ورجل من رجالات الحاضر ، عاد إلى الأرض بعد قرنين من الزمان ، أو بتعبير أصح ــ سيعود إليها .

ويلاحظ هنا بعض أوجه الشبه بأهل الكهف . أهل الكهف يخرجون من أغوار الماضى إلى حاضر زمان ما . ورجل الغد يصعد من الحاضر إلى أمام القرون . . رحلات زمنية متكاملة ، يتقهقر فيها الماضى ويعود إلى كهفه . . إلى سجلات التاريخ ، ويسعد بها الحاضر ويصعد إلى المستقبل متمنيا ما يراه حاضرا . متمنياً أن يرى المواد الغذائية الضرورية تستخرج من البحار والمحيطات والرمال والهواء ، لا تدفع من أجلها نقود . . بل وتلغى النقود بالضرورة .

وفكرة : « إلغاء الجوع » التى احتوتها : « رحلة إلى الغد » ضمن ما احتوته من أفكار ، وعرضته من عوالم ، هى الفكرة الرئيسية التى قامت عليها : « الطعام لكل فم » . والخوف من احتكار الدولة للاكتشاف يؤرق المؤلف هنا أيضا ، لكنه يجد الحل المقبول بإقامة مشروعه على فرض هو فى حد ذاته خيال . . حلم . . أمل . على فرض أن يتكون العالم من وحدة سياسية واحدة . . وأن يكون محلا متكاملا لا يقبل التجزئة . على فرض إلغاء الحدود السياسية والحواجز الجمركية . على فرض إقامة عالم جديد بلا أطماع ، وبلا حروب .

ولا يخفى على المؤلف ما للجوع من أهمية تاريخية وعملية بالنسبة للطغاة . فالجوع هو سلاح السيطرة والاستعباد هو المدفع الذى يقوض به المستعمر دعائم حضارات قديمة ، وأركان قيم قويمة . ولن يتخلى المستبدون عن سلاحهم : « ولهذا بالذات يجب ايقاظ الشعوب . . لتتجه بكل خيالها وشوقها إلى ذلك الهدف البعيد : « الرحلة إلى الطعام العام . . » .

وحكيمنا لا يقدم لنا هذا المشروع الخيالى المبنى على أسس علمية . إنه يدعو إليه فقط . يدعو إلى الإيمان ــ ولو فى الخيال ــ بإمكان إلغاء الجوع . فالمسرحية دعوة صادقة للكتاب لبث الفكرة فى الشعور الجمعى . فلقد كانت الرحلة إلى الكواكب البعيدة . . بعيدة . ثم تحققت فى الخيال أولا . . بدأت بالحلم فى الطيران عند اليونان والعرب . . فى أن يكون للإنسان جناحا نسر يحلق بهما فى الفضاء ، كما أصبح له قدرة حوت يشق بها عباب البحار ومتاهاتها . بدأت بالحلم بالصواريخ وسفن الفضاء وأطباقه الطائرة . ووجدت البشرية من يحلم لها . فكانت القصص الرائعة التى كتبها ويلزوجول فيرن وزيولكوفسكى عن الصواريخ وسفن الفضاء . فإذا ما تم غمر الدنيا بالأحلام ، كان من السهل الانتقال إلى الواقع . إذا ما حلم الناس بإلغاء الجوع بالقوة التى حملوا بها للوصول إلى القمر . . بنفس القوة والإصرار والعزم ، فلا بد أن يستجيب العلم ، ويصبح الحلم حقيقة واقعة ملموسة فى يوم ما . . مهما كان بعيدا ، فلن يبعد بعد الجوزاء . ومهما كان شاقا فلن يشق على النفوس الآملة الطامحة .

سؤال آخر : لماذا فكر الناس فى الصواريخ ، ولم يحملوا بإلغاء الجوع ؟! . . « أترى الإنسانية كالطفل الذى يفكر فى لعبته قبل لقمته ؟ . . » لا . . بل لأن الذين يفكرون للإنسانية .

ــ هكذا قال الحكيم ــ ويحملون لها ، لم يجوعوا . . ولم يشعروا بجوع الآخرين . وإذا كان للحكيم فضل هذه الدعوة . . فإننا فى انتظار كاتب آخر . . عبقرى كجول فيرن أو ويلز ، يمهد لنا الطريق . . يحلم لنا أحلاماً سعيدة . . يحملنا معه فى سبحات الغفوات إلى عوالم بعيدة . . لنصنع الجنة بأيدينا . . لنخلق جنة حقيقية ، دون انتظارها فى عالم آخر . نصنعها هنا . . على أرضنا ، بسواعدنا وعزمنا نحيل الأنهار إلى عسل وخمر . والبنات اللاتى يلطخهن طين الحقول وعادم المصانع إلى حورعين . أمهاتنا وبناتنا من الحور العين بحسب المآل والآمال .

* * *

موضوع آخر . . فكرة زجت بنفسها فى المسرحية ، وعرضها الحكيم فى حواره على الحائط ، مضمونها أنه يجب على الفنان أو العالم ألا يشغل ذهنه إلا بفنه وعلمه . . عليه أن يخلف وراءه كل مشاكل الحياة ، لأن القيم تتغير . . والأخلاق تتطور . فإذا ما قتلت أم الفنان أباه لتتزوج بعشيقها ، فليس له أن يثور لدم أبيه ، أو يفكر فى الانتقام ويترك العلم والفن الذى بهما يحيا الانسان . . تسعد البشرية . إن هاملت وإليكترا وأورست ، كانوا يعيشون فى زمن مضى . . فى عالم فارغ بعقلية طفلة . . وكان عليهم أن يشغلوا هذا الفراغ ، وفى حدود اهتماماتهم الساذجة ، شغلوا بالتفكير فى الانتقام . . فى المغامرات والمناورات ، وإلا لما وجدوا ما يعملوه . . لما تبوا بطالة وملالاً . . أما اليوم فالعالم أكثر تعقيداً ، وأدعى للعمل الجاد المثمر ، من هذه الأفكار السقيمة !! .

فكرة جديدة . . نرجو أن نتابعها فى أعمال الحكيم الكاملة . . رحمه الله .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

شعر

وهران

حسن فتح الباب

هاهو البحرُ . . وهرانُ وردتُهُ
والمحارُ الصُّخورُ المويجاتُ
فوق الغمائِم . . نحنُ الطيورُ الغريبةُ
نرتدُّ للرملِ ؟ أمْ نتملّى
عَذابَ البداياتِ
أمْ نَركُزُ الرمحَ حتى القَرار ؟
وبين الطريقين جسرٌ تهاوَى
ووهرانُ تقرُبُ . . تَنشقُ عطرَ الجراح
وتَرْوِى بساتينَها تحت غيمِ الضحايا
الدُّخانُ يحاصرنا
والدَّمُ لا تموت
ووهرانُ تدنو
ونهبطُ . . نهبطُ . . نَصعدُ
إنَّ المطاراتِ ضاقت
وترْمقنى تحت لوح السَّواد
العيونُ المضيفاتُ

عيناىَ فى الأحْرُفِ القاتلات :
« مَن الراحلونَ لتلِّ الأفاعى ؟ »
تُعاوِدُنى الغُصَّةُ المستبدةُ
والصوتُ يجْلِدُ صدرى :
مَن الراحلون إلى جنّتى الضائعه ؟
من القادمونَ ؟ »
المحارُ الصخورُ المويجاتُ نحنُ
ولكنَّ وهرانَ أقربُ
هذا السوادُ المضىءُ
ألا أيُّها القلبُ أيتها الغُصَّةُ المستبدَّةُ
كلُّ المنافى تهونُ
وكلُّ الطيورِ الغريبةِ
تَهْوِى إليها العيونُ المضيئةُ
تهوِى إلينا . . المنافى
تَهاوَى . . . تَهاوَى
لترتفعَ المُدنُ النائية . . .

مطار جنيف : حسن فتح الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

إنها السّابعة صَباحًا

حسن توفيق

دقت السابعه
الصباح يضج ضجيجا بهيجا وفوق الدروب الخطى مسرعه
التلاميذ فى الباص مستبشرون وهم ينظرون بأحلى العيون
باعة الصحف الآن يستعجلون اللقاء الأليف بمن يشترون

دقت السابعة
المسافات ما بين بيت وقصر تدانت .. ولكنها شاسعه
فتيات صحوْنَ . . . تجملْنَ فى غرفٍ ضيّقه
ينتظرنَ الوصول السريع إلى مبتغاهنَّ فى صور بارعه
فتيات صحوْنَ . . . تزينَّ فى غرف واسعه

يَبْتَسمنَ لمرأى النهود تشبّ وتكسو ملامحهن الثقه

دقت السابعه

رجل دائخ يشتهى بعض أغراضه المقلقة
كاد أن يصرخ البائع المستريب بوجه الرجل
رجل شامخ يشترى كل ما يشتهى دون حدّ لما يشتهيه
كاد أن يرقص البائع المستجيب لوجه الأمل
باحثا فى زحام الرؤى عن شبيه

دقت السابعة
الحياة تغنى .. تضج .. تفوح
الحياة .. نداءاتها وإشاراتها .. تستضىء بكل اللغات
اللغات التى تستجيب ـ بحب ـ لمن قد يبوح
اللغات التى تعبُر الأزمنه
اللغات التى تؤنس الروح فى وحشة الأمكنه
اللغات ـ الصلات
تربط الناس بالناس .. والشمس تفاحة ساطعه

دقت السابعه
وجهك الحلو يدنو بهيًا وقلبى يسابق وقع الخطى الآتيه
عطش الروح فى الليل تطفئه النظرة الحانيه
التقاء الأكفّ .. محاورة حلوة رائعه

دقت السابعة
الصباح الذى أشتهيه ضجيجاً بهيجاً وإشراقةُ مسكره
التلاميذ فى الباص مستبشرون ـ الصديق الصَّدُوقْ
زرقة البحر فى مهرجان الشروقْ
اخضرار الغصون ـ انبثاق الينابيع فى واحة مثمره

كلها . . . تنطق الآن فى وجهك الحلو وهْوَ يغنى لقلبى المشوق

إنها السابعه . . .
إنها السابعه . . .

هل كنت تغادرنى .. لولاى .. ؟

أحمد فضل شبلول

تسألنى الصحراءُ
هل كنت تغادر أحبابَكَ . .
بَحْرَكَ . .
شطآنكَ وسماءكَ . .
قلبَكَ . .
لولاى . . ؟
تسألنى الصحراءُ صباحاً ومساء
فأغادرها . .
وأيمّمُ وجهى شطرَ البحرِ
فتهربُ منى الأمواجُ
وتدخل فى سردابِ الرمل النائى
ـ « عمّ صباحاً ياشتائى »
ـ « عم مساءً ياضيائى »
ـ « عم ترابا يافؤادى »
ـ « عم فؤاداً ياترابى »
وأظلّ أنادى
تسقط منى حنجرتى
يهجرنى قلبى
يتسكّعُ فى « أنفاق » الغربةِ
يمرقُ بين السياراتِ الذئبيةِ
يجرى فوق « كبارى » الوحشة
وأظل أنادى .

ذات صباح
قلتُ لقلبى :
هيا نقرأ وجه المغتربينَ
ووجه المطرودين
قهقه قلبى ،
قال :
فلتقرأنى !
وأخذت أحدّقُ وهو يغادرُ جسدى
ويغنّى
فلتقرأنى
فلتقرأنى
إقرأ صمتَ الفقراءِ ،
حديثَ الصحراءِ ،
وتلك الأيام (نداولها بين الناس)
إقرأ . .

واجبْنى
فأنا قطعةُ صحْراءٍ فى صدرِكَ
قطعةُ فحمٍ فى جانبك الأيسر
تتشعبُ عندى وديانٌ
وسهولٌ
وتلالٌ
وجبالٌ
تتراكمُ فوق دمائى أسئلةٌ
ودهورٌ
وأساطيرٌ
ومُحال

لكنى أبنى مُدناً للمستقبل
وأحطِّمُ غربةَ أوردتى وشرايينى
تتفجّرُ تحتى زمزم
تهوى أفئدةٌ حولى
تأتينى أفواجٌ وقبائل
فاجبْنى . .
هل كنت تغادر أحبابَكَ . .
بحرَكَ . .
شطآنك وسماءَكَ . .
هل كنتَ تغادرنى . .
لولاى ؟

الرياض : أحمد فضل شبلول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدك

خمس قصائد قصيرة

نبيل قاسم

١ ـ سماءٌ ثانية

. . وانكشفت شمسٌ بلا سماءْ
فاجْهشت قبّرة فى التوّ بالبكاء
أوّاه ، إن هذه الغيمةَ
تخفى زوقة القبة فى العينين ، تأوى الطير فى أهدابها
فى شعرها الأشقر تطوى النار ، تحت الثوب تخفى العالم المذهوش
تخفى الليل فى حقولها البيضاء والقيثار . .
هذى المرأة الخضراء
ساحرةٌ أم نجْمَرةْ ؟
راعيةٌ للموج أم قَيْصَرة ؟
. . وصامتاً مضيتَ دون بَوْح
تبحث أين أخفت السماء

٢ ـ سقوط

ساحرة تضحك للغيم وللرياحْ
أطلّ لى من وجهها الليلك والشهابُ
أو مأت . . لها ذهبتُ ،
فى الصباحْ :
الريحُ فى إهابها ترتاح والسحابُ ،
فى الصباحْ

وجدتُنى تميمة فى شعرها
وزهرةً من الأقاح
وجدت نسراً
راقدا
محطّمَ الجناح

٣ ــ إضاءة

فى عينها النارُ وفوق وجهها الذاهلِ
للفيروز أقنعةْ
تبكى ، كأنَّ غابةً وحشيةً تبتلّ فى قبّعةْ
تضحك ، فالخناجر المُشْهَرةْ
تمضى . .
رويداً تسطع الأشرعةْ
عرفتَ سر القبّرةْ ؟

٤ ــ احتراق

أراكِ فى أرجوحة الضياء والظلمة ، بين الشك واليقينْ
أراكِ فى استدارة الدوامة الحمراءْ
عصفورةً تذبل فى تدفق العراء
ووردة تموت فى مشارف المساء
أقول يا شيرين
يا ليتنى ما كنت قد نهلت من خمّارة الجنون !

٥ ــ من جديد

النهر للمنبع هل يعود ؟
قيصرةً ؟
الدود فى الأخدود
ساحرةً ؟
تنحلّ كل غيمةٍ
المطر الأزرق شحَّ ، احترقت حديقة النجوم
طلاسمٌ تفتحت . .
أُشْقُرةً فى لازَوَرْدِ غابة الكروم !

أدائماً
سفائنٌ للشمسِ والعنقاءِ ؟
(هل رأيتِ)
ينهضون والسماء من جديد
وطائرٌ يأخذ فى التغريد

القاهرة : نبيل قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ربيعيّة

مصطفى عبد المجيد سليم

(١)

على فَرس من خُيولِ الظَّهيرةِ
فضّية السَّرْج .. طِرْتُ ...
.. تطايرُ عن جانبيْها السنابلُ خُضْراً
ومُصفَرّةً كابيه
فأدْرَكتُ أنّى صَحْوتُ

(٢)

نسائِم آذار ؟
.. من خَطَفَتْنى فى طريق النّسائم هذا الضُّحى ..
وكان التجائى ، قَبْلاً إلى البيْتِ أسْلم ... ،
كان احتمائى بظلِّ مُواتٍ .. ،
نسائِمهُ لا تُحرِّك أطراف ثَوْبِىَ أنّى مضَيْتُ ..

(٣)

نَسائم آذار قد دَغْدَغَتنى ...
فألفيتُنى أتعثّرُ فى العُشْب .. ،
أمْسحُ وجْهى بكفّى التى طحنَتْ دُونَ قَصْدٍ
مهاد الفراش .
.. ..
اشْتممتُ اختلاطَ دم الزّهْر بالجسد المستطيل
المرفرف مُرْتَسِما فوْق كفّى ... بكيْتُ ...

(٤)

.. أكان ارتمائى على العُشْب رطْبا ومُنبتّةً فيه
شَمْسُ الضُّحى موْعداً للحوار الشّجىْ ؟
سعيداً بهذا الخلاءِ المعانِق يهتاجُنى ...
وبالخوْضِ فى لُجج القمحِ .. ،
أرْفُقُ بالسُّنبل الأخضر المُشْرئبّ الغرير
إذا يتثنى ...
.. أم أنّ ارتمائى على العُشْب ..
رَطباً ومُنْبتّة فيه شمس الضُّحى
دَعْوَةُ الحُبِّ لى فاسْتجبْتُ ..

شين الكوم : مصطفى عبد المجيد سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـــــلاذ

أحمد محمود مبارك

أيقظنى الصباحُ . .
كنتُ هارباً فى النومْ
وشدَّ جِلْدَ الليلِ عن عيونى التى . .
راحت تلوذُ بالنُعاسْ
من صحوةِ الألمْ
ركى يُفيقنى ،
ويستحِثّنى ،
وينزِعَ الإحساسْ
من قبضةِ الحُلُمْ
أعَدَّ لى حَمّامَهُ المعطّرْ
وأغنياتٍ تُوقد الحماسْ
وباقةً من الزهورْ
بجانب الفطورِ ،
فوق المائدهْ
فقلتُ :
علَّهُ نهارٌ بالمنى تَفجّرْ
وعلَّ وجْه الغيم راح وانْقشعْ !
وبعد ما اغْتسلتُ بالعطورِ والأملْ
وفى دَمِى سرى الفطورُ ــ بالهناءِ ــ طاقةً
أودَتْ بجحفل الكَلَلْ
قَدَّمَ لى جرائدَهْ
وراح يبتسمْ
شرعتُ أقرأ السطورْ
هنيهةً . . ،
وانفجرتْ من بسمةِ الصباح ضِحكةٌ مُدَمْدِمَهْ
وبان وجْهُهُ ملطّخاً ،
بالقارِ والدُّخانِ والندوبْ
فَلَفَّنى الفزعْ
الحبرُ . . دَمْ
الحرفُ . . خوف
الفعلُ . . جُرْمْ
علامةُ الترقيمِ جُمْجُمَهْ !
صرختُ : غَشّنى الصباحْ
خاتلنى شعاعُهُ الكذوبْ !
طردتُهُ من مسكنى
وخلفَهُ ،
أوصدتُ كلَّ نافذهْ
وعدتُ كى ألوذ بالوسنْ
من سَحْنَةِ الزَّمَنْ

الإسكندرية ــ أحمد محمود مبارك

انكسار

السيد محمد الخميسى

وأولُ الذى رأيتُ ساحةُ القتال
الخيلُ تدهس الضعافَ
ساعة المجالدة
والضربةُ النجلاءُ
تُخرس الأبصار
رأيت من يهاب الموت يُسقط الدروع
يموت قلبهُ الضعيف قبل أن يموت
فى لحظةٍ مباغته
من يومها . .
أَلِفتُ طعم الملح والغبار
صادقت درعىَ القديمَ صار قِطعةً
من صدرى الفسيح
لكننى
فى قاعة التفتيش فى المطار
مُنعت من دخول صالة المغادرة
وعندما همست بالرجوع
قلت ما الذى يضير
ما الذى يضير إن نَزعت الدرع ساعة
ما الذى يضير أن أطير
أن أكسر المسافة التى بين الأفولِ
والذبول
وقلت :
لن تطول هبَّة السُّمومِ
لن تخرب الثمار
لكننى خدعتُ واكتشفت أننى
قد اختصرت العمر فى دقيقتين
وأننى كسرت مرتين
بالأمسِ عندما
أماتنى الرغيفُ والسماسرة
والآن عندما
عُمِّدت فى معابد التجار
وصرت أعرف الريالَ . .
والدنيار
أضعت كل ما خبأت فى حقائب السنين
وكل ما قرأت من أسفار
ولم يعد يشدُّنى فى نشرة الأخبار
سوى انتعاش السوقِ . . .
والأسعار
والقيمة السوداء . . للدولار

بور سعيد : السيد محمد الخميسى

قليل من الوجد

إبراهيم داود

« وأسكت عجزا عن أمور كثيرة
بنطقي لن تُحصى ولو قلت قلّت »
(ابن الفارض)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتيتُكَ . . . .
لا أشتهي فيك ضعفي
فقد علّمتني المثولَ العيونُ
وعرّت سواحلَ حُلمٍ مشاعْ
فبانت تجاعيدُ قلبٍ يكابر
يَمُد يداً لفتاة ستعبرُ بعد قليلٍ ،
وتأبى
وتتركُ فوقَ الطريقِ ابتسامهْ
وعِطراً عتيقاً . . .
قديما رآهُ يداعبُ ثوب الصغيراتِ قبلَ النزوحْ
وهذا الطريقُ الذى كان منّى
سيفتحُ عينيه صوبَ القلوبِ الأليفةِ
لتخرج منه الجموعُ فُرادَى
وتأتين أنثى
تعلّم كلُّ الرجالِ اعتناقَ الضفائِرِ
تمنحُ كل غريبٍ رمتهُ الحقولُ أماناً لكى ينفجرْ

سأطلبُ من عابرٍ أن يبوح بما أدّعيه
ونشربُ كأسين فى صحة الوجدِ
(لا مجد لى غير ضعفى)

سأحكى له عن مساءٍ تركناهُ يرعى الحقولْ
وجئنا نناقش أوجاعنا فى المقاهى
وأحكى له عن رياحٍ ستخرج عند احتكاكِ الجذور بقلبى
وعند احتكاك الرموش بجرحى
وعن وجه أمى الصبوحْ
وعن وجه شيخٍ يجادل فرْحى
سيسخرُ منى ويرحل !
وأسألُ :
كيف استبحت انتظارى
وخبأت عينيك وسطَ الزحامْ
وخلّفتِ وجهى المسالم يصهلْ ؟
وكيف ارتضيتِ انكسارى المعادْ ؟

وكلُّ العيون التى عاش فيها ارتحالى
تمزّق فىّ النبوءات عمدا
لأجلس فوق انهيارى
أداعبُ فجرا من البوحِ
خبّأ عينىَّ تحت الشروقْ
. . رتوقُ على الوجهِ عاشت لترعى الملامح من كل غزوٍ
ومن كل وجهٍ تبجّح فىّ
غداةَ انكسارى
بأعتاب عينيكِ

فى لحظاتِ الخشوعْ
أحبّك قلتُ
وقلتُ بأن السماءَ التى خبأت وجهَ أمّى ستهوى !
وخبأتُ صمتى الحرونَ بثغرٍ يفجّر فىّ انفجارَ اشتهائى
وعدتُ ألمّ العصافير من كل صوبٍ
لتمرح فوق اشتياقى للحظة صدقٍ
تأكدتُ أنى خجولٌ وأنى فشلتُ !
وأن الذى بيننا بعض سُكرى
وذكرُك . .
كان انتشاءة كأسٍ تُفرّغُ فىّ الحرائطَ

تصنعُ منى سماءً
وبحراً
وجُرحاً بحجم الخلاصْ
تأكدتُ أنى خجولٌ وأنى فشلت
وأنى تركت الرفاق يُعدّون أعمارَهم للرحيلْ
يشدون عن وجه قلبى الغطاءَ
لتظهرِ فيهم نبوءاتِ قومٍ سبتهم تراتيلُ فجرٍ بعيدٍ ، بعيد كدمعه
تأكدتُ أنى خجولٌ
وأنى . . . .
فشلت .

ابراهيم داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

سنبلة

نادر ناشد

إلى نجيب سرور

كان يداري وجهي بين الألفاظ
يتحسسُ في كلِ مساءٍ دمعَ اللغه
ويرصدُ أوجاعاً
يدّفقُ كالسيلِ الحيّ
وينشقُ ،
يداعبُ لغطاً مهموماً .
يارئتي حين اكتظت بالعقم
يامرثاة القلب القادم نحوى
كقطاراتِ الليل السادئ المحموم .
أحدٌ منا لم يفهم عمقَ العين الحبلى بالثورات .
أحدٌ منا لم يعبرّ صخبَ المقهى .

لم يدرك أزمنة الوجع وصبّار المدن الحمقى
هاأنذا أطلق من عينيّ سراج طيورِ الوطنِ
وأقرأ لافتةَ الحزنِ المبهم
أبكي هذا الحب
أطاردُ من عيني عينك .
أتملكها
أسكن هذا الحدّ الفاصل
بين الأسطورة
والعبث
أقول
الحق أقول العبث اليوم هو المعقول .

نادر ناشد

البهلول

مؤمن أحمد

ويرسُمُ الفانوسَ فى الظلامِ مَرَّتينْ
ويَفْرحُ الصغارُ إذا يجىء فى الصباح لُعبةْ ، ولُقمةٌ مُسَكرَهْ . .
يُباغت العيونَ ، فى المساء ، صاعداً إلى السقوف لا بساً شُجَيْرة
الأسى . .
ويَعْجَبُ الرِّجالُ إذ يرونهُ مُحمَّلاً بصمته ،
وفجأةً يثورُ نازعاً من الصدورِ آهةً مُساويهْ

رأيتُه . . . يراوغُ الدموعَ بَعدَ هَبَّة السؤال عن حنينه إلى الوطنْ
لكنه أجابنى بدمعتين :
فدمعةٌ : تصاعَدتْ إلى السماء صرخةً
ودمعةٌ : تجذَّرتْ بنَاشف الصخور أغنيهْ !

وكُنْت إذ أجتُيه مُخضَباً بلون حزنه . . ؛
أراهُ يبسطُ اليدين / شاطئينْ ،
ويرسُمُ انفراجةً على التراب ، ثُمَّ ينزعُ الغطاء عن مدائنِ الفَرَحْ . . ،
يقُسِّمُ المدى مسافتينْ :
يروغُ فى مسافةٍ . . ،
ويرقُبُ انبلاج وردةٍ من المسافة المعاندهْ !

سألتُهُ . . . عن ارتعاشةِ القصيدة المُكابده . . ؛
فشبَّك اليدينْ ،

ورفرفت شفاهه بكلْمَتينْ :
« عليك بالسَّفر » . . !
وأرسل العيون للمدى/بُحَيرتينْ . . ،
وراغَ فى المسافِة المُحايده .

وحينما سألْتُ أهل بلدتى . . ؛
تململت عيونهم . . !
سألت طفلةً (رأتْهُ فى صبيحةِ العذاب راحلاً) . . ، فَتمْتمتْ :
« لَعلَّهُ مسافرٌ »

. . . . . .
أشْعَلْتُ كلَّ أحرُفِ القصيدة/انتظرتُ أن يجىء من ضرامها . .
فأفلتتْ من القصيدة ارتعاشةٌ بحجم شَهْقةٍ مُكبَّلهْ
وبان وجهُهُ مُخضَّباً بحُلم عاشقٍ . . .

. . . . . .
سألتهُ عن الغروب إذ يجىء ممطراً . . .
فردَّدَ الدخانُ حول وجهه :
« عليك بالسَّحَر . . » !

. . . . . .
وحينما تفلَّتتْ عيونُهُ . .
رسمتُهُ على العيونِ سُنْبُلة
وقُلتُ للقصيدة المُكابده . .
تخيَّر المسافة المعانده
تخيَّر المسافة المعانده ! . .

حلوان : مؤمن أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعرُ الإنسان

فاضل خالد بكير

(١)
كنتُ أحسُّ بأنّى أشحذُ
أبياتَ الشعر المبتورة
من أفواهِ الشعراءْ
يقتلنى حرفٌ أجوفْ
تبعثنى جُملٌ بلهاءْ
كان الريحُ يزجرُ فى الكلماتِ
فيخلعُ من مبناها
ما يربطُ بين الحرفِ الأجوفِ
والآخرْ

ما بين النُقطِ المختفيةِ
تحت صريرِ الأوزانِ الوحشيهْ
كنتُ ضعيفاً .. متشياً
بخمورِ الشعر الباهتةِ الألوانْ
كنت سجيناً
رغم بزوغِ الفجرِ
بأطلال بيوت الشعر الفرديهْ
فى غابات الشعراءْ
لا خضرة فى هذى الصحراءْ
لكنّى
أبحثُ عن قطراتِ الماءْ
خلف سرابِ الرملِ الشاخصِ للأعضاءْ

(٢)
عربدتُ الريحُ
فكانتْ شهقةُ غصنٍ
مات
وتكفّلَ رملُ الصحراءِ
بدفنِ الجثّة فى الميدانْ
وجميع الناسِ تلوّحُ
بالأغصانْ
« من ماتَ هنا من ماتْ ؟
والعزفُ الدائرُ فى الحاناتِ
يردّدُ صوتَ الكلماتْ
من مات هنا من ماتْ ؟

(٣)
أخلعُ أرديةَ اللّيلِ الوحشى المجروحْ
أنفذُ من بين العجلاتِ الدائرةِ
على الشعر المذبوحْ
أتوضّأُ من تلك الكلمات الحيّه
أرفُضُ أن أتيمّم فى الصحراءْ
الدّمُ كالماءْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو عطرٌ بين الأحشاءْ
إنْ كان فداءً للأحياء

(٤)

فلتنتظروا فى الشرفاتِ
قدوم الفارسِ
ممتطياً
عرش الكلماتِ الحمراءْ
أخرجُ من ذاتى ذات مساءْ

وأعيش بقلب الأشياءْ
أنطق باسم الرغبة
حين تموتُ على الأفواهْ

(٦)

حين تحوَّلُ كل الصحراواتِ
إلى قلبِ الميدانْ
أدركُ أنىَّ
صرتُ الشاعرَ فى الإنسانْ

القاهرة : فاضل خالد بكير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

صرخة أولى

حسين على محمد

يُباغتنى توهُّجُ لفظِها النشوانِ
بين شقائقِ النعمانِ والرَّيْحان
أغنيةٌ ، مواويلا
ووجهُ صبيةٍ برّاقة الألوانِ
غادَر هُدْنةَ الأصدافْ
هل تتخاصرُ الأمواجُ والصفصافْ ؟
تلك ضفافْ
ويفجؤنى جحيمٌ صارخٌ فيها
وفيها العصفُ
فيها القصف
والزّقومُ
فيها كأسُها المختومُ
فيها ضفّةٌ أخرى
تراودُنى
وأنهارٌ تسابقنى
وتخطفُ وردة الذكرى
فأطلقُ مائى الدَّفاقَ فى لغةٍ ،
تُكوِّنُ أحْرُفاً بِكرًا
وهذى الأرضُ فيها شوقها المِوّارُ
يقبضُها
ويبسُطها
يَفُضُّ الوقتُ .
بعض جراحه تطفو .
على دوّامةِ الخلجانِ فيضُ الخلقِ
هذا الماءُ يرسُمُ حرفه فى الأفق
مُنتصباً
ويكتبُ صرخةً أولى

اليمن: حسين على محمد

شعر

العالم الجديد

محمود عبد الحفيظ

كان اسمُه عَطيّة
من الصّباح للمساء يَنْحنى ويعتدلْ . .
على مضخة قديمة فى المسجد القديمْ
يمتصُّ من عُروق الأرْض ماءَهَا . .
ومن عُروقه الحياة . .
يمتصُّها الزَّمَنْ
بلا ثمن

وما أصابه الوهن
يدور فى شوارع الشّتاء
مُخْلصاً يدور
يدُقُّ طبلة السَّحورْ
يوقظ العيونَ خَلْف كُلِّ بابْ
ولا يَخاف أنْ تعضَّه الكلابْ
وكنت كُلَّما ذهبتُ للصَّلاة ؛
يقولُ لى :
بَرَتْ أصابعى اليدُ الحديدْ
خمسين عاماً أو يزيدْ
ما عدتُ أَذْكُرُ العددْ
وما أريدُ أنْ أظلَّ هكذا إلى الأبَدْ
عمى عطية اختفى عاماً وعَادْ
بُطلٌ من سيَّارة تميلْ
بحمْلها من الطُّبُولْ
وقال كُلُّ واحدٍ يدقُّ طَبلَتَهْ

. . . . . .

وقتما يَشاء
وكَيفما يَشاءْ

فهكذا رأى هناك . .
فى العالم الجديدْ

سألتُهُ عن الهلالْ
وكيف تَثْبتُ الرؤْيَا . . فَقَالْ :
والله يابُنىّ . .
وجدتهم لا يشغلون بَالهمْ بهذه الأمورْ
ويَعْجَبُون من حكاية السُّحورْ
هناك كُلُّ واحدٍ يدقُّ طَبْلتهْ
وَيَتّقِي على هَوَاهُ ليلتهْ

. . . . . .

. . . .

وحينما جَرَتْ شوارعُ القرى دِمَاءْ

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com

وسدُّ قَرْعُ الطبْلِ أبوابَ السَّمَاءْ
وحُوصرَ الأطْفالُ خلف كُلِّ بابْ ؛

عَرفتُ كيْف كان ذلك العجوز . .
يدورُ لا يَخافُ أنْ تعضَّه الكلابْ .

كفر صقر شرقية : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشكيلة يوميّة

سيد أحمد صالح

كان اللا معنى
شكلاً من أشكال الخطوة .
مِلْحاً من أملاحِ الدمعةِ
حرفاً من أحرفِ تلك اللعنةِ
تشمله كلُ معاجمِ
صمتك والنظراتْ
كنت تفرُّ إليه ومنهُ . . .
تفرّ إذا . . .
ما تسرى فى الأوردةِ
بقايا صدقٍ
كنت تعاقرهُ قبل النومْ
. . . . .
حين تسوّى تكتّتك المتسخةَ
كنت تحاولُ
فى ذاكرتك أن تنسلخَ
بقايا عشقٍ كنت تصدّقه يوما
حين تكرّ الريحُ عليك يصرُّ . . .
صريراً فى نافذتكَ . . .
يفتحها عنوة . . .
يلبس تاجَ الإسكندرَ
وتباركه كلُ خيوط الشمسِ
يمرُرُ بعض تحايا
ينثرُ أوراقكَ
ذاكرتكْ . . . .
فتحاول أن تزدردَ بقايا خبزٍ . . . جفْ
تنقلها الخطوةَ . .
لا تدريها
وتغيّبك الأدخنة السوداء
المتصاعدةُ من البركان . .
المتفجّر فى أسفل رأسكْ
تُلقى رحلكَ والأصحاب . . . .
جاهدتَ كثيراً . . . .
أن تمتلكَ اللحظةَ . . . .
. . أن تحبسها
حين تمدد فُوكَ يجاهد بسمةْ
جاهدت بأن القيتَ . . .
يديك بعيداً عنك . وهشّمت الاقلامَ
تساومُ كفَ صبيٍّ
سالَ عليها بعضُ الحلوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زركشها بعضُ ترابِ الشارعِ
إذ . . . تمضى لتمهدّه
فلتحبسها اللحظهْ
فلتحبسها اللحظهْ
كانت لحظتُنا . . . .

تشكو من فشل الأعضاءِ وضعف
القلبِ
داستها . . . . .
لحظاتٌ سوداءْ

الاسماعيلية : سيد أحمد صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى البدء كان النيل

حسن طلب

النيل أقنومُ الأزل
فى البدء كان ،
وفى الختام يكون
. . إن النيلَ نيلٌ خالصٌ . . كدمى
حقيقىٌّ كأحلام الصبايا . .
أوْ حَدىٌّ كالعشيقةِ ،
وهو حدُّ دمى العميمِ
ـ دمى الحميمِ المختزلْ
فى البدء كان وفى الختام يظلُّ
. . إن النيلَ نيلُ الفائراتِ النهّد . .
يمزجن الهوى بالوجدِ ،
نيلُ الفائرات العين . .
ينسجن الرُّدَى بالحُسنِ ،
نيلُ السادراتِ القلبِ . .
يعجِنُّ الشجى بالحبِ ،
إن النيلَ نيلُ اللِّيناتِ المنثنى :
والنيلُ نيلُ الطيّعاتِ المختبى
يخطرن فى أقصى الصبابةِ والغَزَلْ .

والنيلُ لحنٌ مرتجَلْ
فى البدء كان . .
وفى النهاية :
تستمعن له وتستغرقن ؟!
أم فى البدء كنتنَّ الخميلاتِ اللواتى :
يضطجعن له ويستسْلمن . . يغشاهُنَّ ؟!
أنتنَّ البدايةُ ،
فاستقمنَ على حدودِ دمى الصميمِ
أصِرُ مُراوَدَةً لكنَّ واشتعلْ .

ويانيلُ : أتلفتَ الفؤادَ ، وجئتَنى
وكلِّفتَ أمرى فوق ما يُتَكَلَّفُ !

وأنا أجىءُ الآنَ بين بدايتين . .
وأختفى فيكُنَّ ـ
كنتُ سأكتفى بالنيلِ ـ
هل فى البدء كنتن الخميلاتِ الجميلاتِ ؟
اضطجعنَ بمستطيلِ النيلِ . .
وانضينَ الإزارَ التيلَ عن أبدانكن الميلِ ،
كى تَغْرَيْنَ :
من أقدامكن إلى تراقيكُنَّ !

أم فى البدء كان النيلُ ؟
قم يانيلَهنَّ . .
وجُبْ أقاليمَ الجنادلِ والجلاميدِ العتيقةِ ،
والخنادقِ والأخاديدِ السحيقةِ ،
خُضْ إليهنَّ الحَزُونَةَ وَالجَبَلْ .

النيلُ خاضَ . . ولم يَخُضْ !
كانت وسيلته غَرَضْ .

ويانيلُ أنتَ اخترتَهنَّ ، فكُنْ ندىً
عليهن يَهْمِى . . او شذىً يتفَوَّفُ

وأنا أمرُّ الآنَ عبر دمى اللذيذِ
ـ وأستعيدُ . .
وإنه نيلٌ من الأوجاع ينبع من دمى ،
ويسيل فى أكبادكن . . ويشتعلْ
والآن يمكن أن يكون النيلُ أفدحَ :
إنّ عاشقتى تشقُّ قميصَها
ستضمُّ لون الضفتين . . وتغتسلْ .

لا . . بل أمرُّ الآن عبر دمى الغريضِ
ـ وأستريضُ . .
وإنه نيلٌ من الأحلام من أكبادكن إلى دمى :
كالسلسبيلِ ،
النيلُ يمكن أن يكونَ الآن أسلسَ :
إنكن تَمْسَنَ فى مجراه
وهو يظل يركض خلفكن ولا يَصِلْ !
فالنيلُ مجبولٌ على العشقِ :
استدِرْنَ
تَرَيْنَ أن النيلَ يدخل ماءه ،
ويضم كلتا ضفتيه ،
النيلُ مجبولٌ على الحزنِ :
التَفِتْنَ
تَجِدْنَ أن النيلَ يُمعِنُ فى المسيلِ . .
ويلتوى
(كان البكاءُ جِبِلَّةً
والنيلُ أولُ من جُبِلْ) .

ويانيلُ : إن السنبلاتِ صَدِيَّةٌ
وماؤكَ من مُزْنِ السَّماكَينِ أوْكفُ !

إنى مررتُ الآنَ بين بدايتين ـ
سأختفى بالنيلِ ـ
أصعدُ عبرَ دورةِ حقبتين ـ
سأنتفى فيكُنَّ ـ
قد كنتُنَّ خمرتَ : انصبْنَ على جبينى
اسْقِينَ أوجاعى سلافتَكُنَّ ،
إن النيلَ خمرتُكنَّ :
سِلْ يانيلُ بين نهودهنَ
ووشِّها بالشوقِ
مِلْ يانيلُ فوقَ جلودِهنَ
وغَشِّها بالعشقِ
فِضْ يانيلُ عَبْرَ بطونِهنَ
ورُشَّها بالبرق .

إن النيلَ فاضَ . . ولم يَفِضْ !
النيلُ صحته مَرَضْ .

ويانيلُ : حملانُ الحقول صَبَنْتَها
وتُرْوِى السَّراحى منكَ : صَهْباءُ قَرْقَفُ !

إنى أمرُّ الآن عبرَكِ ياحدودَ دمى الغريبِ
ـ وأستريبُ . .
النيلُ مرَّ هنا ،
وهُنَّ مررنَ . .
أشْعَلْنَ الأناملَ وانتظرنَ ،
أمرُّ عبرَكِ ياحدودَ دمى القديمِ
ـ وأستقيمُ . .
النيلُ يعرفنى ،
وهنَّ يَمْسَنَ فى بدنى . .
تجاوبُهنَّ غنّاتُ الكواعبِ فى قرى وطنى ،
أمرُّ الآن عبرَ دمى الجديدِ
وأستزيدُ . . أعيدُ :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا أنتُنَّ : جئنَ معى
استزِدْنَ :
إذا استطعتُنَّ . . استطاعَ النيلُ . .
أو لم تستطعنَ . . استطعتُ أنا ،
فقِفْنَ على حدود دمى . .
وَقَفْنَ ،
وكُنَّ طوعَ يدى . .
فكُنَّ ،
أشرتُ نحو النيلِ . .
كان الماءُ لونَ دمى . .
صرخنَ :
النيلُ يمكن أن يكون الآن أفجعَ
قُمنَ عبر دمى إلىَّ . .
فقمنَ :
(كان شبيهُ ماءِ النيلِ
من جُرْحى الجميلِ يميلُ . .
من لَهَواتِ قومٍ آخرينَ يسيلُ —
كانوا يلهثونَ
ويمنحونَ ترابَهم عرقَ العيونِ —)
سألْنَ . .
قلتُ لهنَّ :
آنَ لكُنَّ أن تَمْرُرْنَ عبرَ النيلِ
. . أو تَصْعَدْنَ

قلنَ : النيلُ ليس النيلَ !
قلتُ لهن : إنى النيلُ ،
فلتتبعْنَ خيطَ الدمِّ . . . ولتصعدن —
سوفَ أمرُّ عبرَ دمى السخين . .
وأستعين —
هتفنَ :
إن النيلَ يمكن أن يكونَ الآن أصْدَقَ :
(كان شعبٌ ينتقى أسطورةً . .
ويَفُضُّ نكهتَها . .
ويرسمُها بحجم الضفتين . .
على بلاطِ المعتقلْ .)

يا نيلُ : قُلْ ما لم يُقَلْ
يانيلُ :
إمْضِ فى المستحيلِ ،
ولا تَفِضْ فى المُحْتَمَلْ
النيلُ آضَ . . ولم يَفِضْ !
النيلُ جوهرُه عَرَضْ .

ويانيلُ حَوْلَيكَ الرعيَّةُ أصبحت
لقاتِلِها مقتولُها يتشوَّفُ !
فيانيلُ : ما للضفتين اسْتَكَتَّا
وقد أرْزَمتْ فى الأفقِ هو جاءُ زَفْزَفُ ؟!

القاهرة : حسن طلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نصوص شعرية":

دائرة انعدام الوَزن

محمد آدم

(وجدتُها !
ما هيَ ؟ الأبديةُ .
إنها البحرُ مختلطاً ، بالشمسِ .)
رامبو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استغراق :

يأخذُ الرملُ قنديلَهُ ، ويغادرُ صوبَ البلادِ البعيدةِ ، واللُّجَجُ النَّجمُ ، من أوعزَ الآنَ للقمرِ ـ المُتَلَثِّمِ ـ أنْ يتأبَّطَ صاريةَ الغيمِ ، أو يتزيا . بقافلةٍ ، ضالةٍ ، وسماءٍ رماديةٍ ، حارقةٍ ،

تتألَّبُ بينَ ممرينِ من جبلٍ شاهقٍ ، وبلادٍ أثيمةْ ؟

طيورٌ تحطُّ على مدد شاسعٍ ، وتغادرُ أجرانَها ، ثم تنكشُ ريشاً من الأبيضِ المتخضِّبِ بالدَّمِ ، لونُ خُضْرتِها فاقعٌ ، ثُمَّ غيمٌ يزنرُ فى الأرضِ بهجتَهُ ، ويفضِّضُ أردانَهُ ، ويُسَافِرُ ، غزالٌ طريدٌ يفتشُ فى الأرضِ عن نامةٍ ، يستكِنُّ إليها ، ويبحثُ فى الغورِ ، عن قطرةٍ ، حُرَّةٍ ، ليس فيها من الخوفِ ما يتراءىَ له ، حينَ يُفردُ للريحِ ساقيهِ ، أو يستقيمُ إلى بقعةٍ خُضْرَةٍ ، وينامُ إذا الـ . . شمسُ أعطت تفاصيلَها ، لتفاصيلهِ ، واستقر وحيداً ، لموت وحيدٍ ،

يدُ الله آمنةٌ ، حينَ ارختْ عليهِ شقائقَها ، وانبلاجاتِها ، أوَ كانتْ على الأرضِ كلُّ ارتحالاتِهِ ؟؟ رجلٌ كانَ يتبعُ سيدةً ، حينَ لامَسَّها الظِّلُّ ، والشمسُ ، مدتْ من الغيمِ سجادةً ، كانَ سنبلُها يتفتحِ ، أوراقُها قصبٌ ، من هواءٍ ، صقيلٍ ، هيَ الآنَ محجوبةٌ بالكواعبِ ، والقاعُ ريمٌ ، وكانتْ تمرُّ على الماءِ والآلِ ، والأرضُ مقصورةٌ من بهاءٍ حميمٍ ، إثيمِ .

يتابعُ رجلُ غيمتَهُ ،

أما السماءُ فتصيرُ مقاصيرَ من جمرةِ الضوءِ ، تبعدُ ، وتدنو كلَّ حينٍ بإذنها ، واحتراقاتِهِ ، هي علامتُهُ ، هو علامةٌ عليها ،

أتراهُ يعرفها قبل أن يلتقيا ، وقد نقشَ اسمَها على خارطةِ جسمِهِ ، وافترشَ باحةَ دارِها ليلاً وكما يفعلُ السادةُ الغرباءُ ، أتاها على حينِ بغتةٍ ، من نهارٍ مشمسٍ ، وأرضٍ رطبةٍ ، وبلادٍ تتلصصُ عليهِ ، وهو يقظٌ يحفظُ دقائقَ أوجهها ، وتفاصيلَ جسدِها ، المنتصبِ أبداً ، في فراغِ الفضاءِ ، ولا يفصحُ عن اسمها لأحدٍ ، فيعرفُها ، أما هيَ فبعيدةٌ ، كنجمةٍ قصيةٍ ، في سماءٍ مفقودةٍ ، وأرضٍ . . . مراوغةٍ ،

هي علامتُهُ ، وهو علامةٌ عليها ، فهل يتبينُ الخيطَ الأبيضَ ، من الخيطِ الأسودِ ، من الفجرِ ، ولهمْ ما يشتهونَ من الخمرِ المُعَتَّقةِ ، وغيرِ المُعَتَّقةِ ، ومدينتُهمْ ، خاويةٌ ، إلا من زهرٍ أسودَ ، وقمرٍ ، منطفىءٍ ، وأجسادٍ ، مضيئةٍ ، ميتةٍ ، وحجارةٍ متواطئةٍ ، ومصقولةٍ بدمٍ كذبٍ ،

والمواثيقُ ماسٌ مصفوفٌ ، فوقَ الأسِرَّةِ ، وفاكهةٌ ، عَطِنَةٌ ، ومحرمةٌ ، لزمنٍ قادمٍ ، مستترٍ ، بينَ السُّرةِ ، والْ فَخِذَينِ اللدنين ، والعرقُ الصاعدُ النازلُ يجرى ، كخيطٍ شفيفٌ ، من النارِ على أخدودِ الظهرِ ، وخواتمِ الجَسدِ الخضراءِ ، وسنابلِ الردفينِ ، وقناديلِ الشفاهِ البارقةِ ،

والأسِرَّةُ ، قطيفةٌ ، وزعفرانٌ ، وحجارةُ الجدرانِ من ذهبٍ خالصٍ ، ولا لِيءٌ من طُحْلُبٍ حامضٍ واسماكٍ رغبتِهِ الحمراءِ ،

كانتَ الرغبةُ المتوحشةُ ، شجرةٌ ، عتيقةٌ ، مليئةٌ بالبرتقالاتِ الناضجةِ ، والحامضةِ ، والأغصانُ مشتبكةٌ بوبرِها ، وغبارِها ، هل تحيلُ ممراتِها فضةٌ ؟؟

حتى إذا أخذتِ الريحُ زينتَها ، وأتتْ من كلِّ فجٍ ، رحبٍ ، لتناوشَها ، وتتكىء عليها ، خرجتِ الشمسُ ، محلولةَ الشعرِ ، عاريةً ، فإذا الريحُ نفرٍ هاربةً ، والأوراقُ جنودٌ ، وبروجٌ مستنفرةٌ ، تقذفُ بالحجارةِ ، والحممِ ، والشمسُ على جذعِ النخلةِ ، تتأوَّدَ ، وتتخلَّعُ كامراةٍ ، ثَمِلَةٍ ، وغاويةٍ ، ولا من رجلٍ واحدٍ ، يمرُّ عليها ، أو يعلاقها فيلقى السلامَ . . . !!

حمل الرجلُ صُرَّتَهُ ، وودَّعَ الشجرَ ، والجبالَ ، والبيوتَ ، والشمسَ ، والقمرَ ، وطفقَ يضربُ في الأرضِ . . ، ولوحَ بذراعيهِ ، لسفنِ الورقِ الباهتةِ ، وفراشاتِهِ المختبئةِ ، على أزهارِهِ الحجريةِ ، وأوماً لجذعِ نخلةٍ ،

عجوزٍ ، كلما مرتْ به الريحُ ، مال وانحنى ،
هي امراةٌ حُرَّةٌ من دمِ الأرضِ ، والنخلِ ،

اغفت قليلاً على سُرَّةِ الضوءِ ، قامتُها تشرئبُ إلى قصرٍ مرمرِها ، بيتُها فضةٌ ، ثَمَّ ريمٌ على القاعِ يجرفُها بينما تتلفَّفُ بالشمسِ ، والزهرِ ،

ضامرٌ خَصرِها ، ومناديلُها من سماءٍ ترابيةٍ ، حين لامسها ، كانت الأرضُ من جمرةٍ ، تتوقدُ ، من يدِ خلَ الآنَ مخبأها ، والطيورُ السماويةُ المشتهاةُ ، ترفرفُ فوق نؤ اباتِها ، وممراتُها زبدٌ ، من فصوصِ الحدائقِ ، والسيسبانِ ،

خيولٌ كمثلِ الحصى ، والترابِ ، تشققُ نارَ قوائمها ، والبنودُ من اللَّحمِ ، والدَّمِ ،
يخرجُ وجهٌ وحيدٌ ، فيجرحُ طفلَ الفضاءِ ، وهذا أنا دمٌ يتناثرُ بين حوافرها ،
والترابُ له شهوةٌ ، ليس لى أن أرجَّ دمى ، اسْمَعْ ؟ :
فأسمعُ وقعَ خطاىَ ، دمى غارقٌ تحت قمصان أشجارها ، والسما شررٌ ، وغناءٌ رفيفٌ ،
فتهتفُ بىْ :
ما الذى ابقاكَ فى الليلِ قرب فراشىْ ؟
أنا . . . ، دثرينى . . . !!
تنهدتُ وانفتلَ العظمُ ، ارجوحةً ، واختلطتُ بأوردةِ الماءِ ، والغيمِ ، شعرى يطقطقُ ،
وبإيماءةٍ خفيفةٍ منها ، دخلتُ إلى تويجةِ الجسدِ ، وحانةِ الأعضاءِ ، فعرَّشت علىَّ ، وحللتُ
عنها مِئزرَها
الصوفَ ، وترجلتُ فى أرضٍ وعرةٍ ، وسمواتٍ غريبةٍ ، وقلتُ : ياهذا ، من أسرى بكَ
ليلاً ، إلى هنا ،
والدروبُ وعرةٌ ، والمنزلقاتُ خطيرةٌ ، وليست هناك نجمةٌ تدلكَ ، أو دابةٌ تحملكَ ،
ولا من أحدٍ ،
يغويك على حراثةِ الأرضِ ، وفلاحتها ، وليس هناك من نهرٍ قريبٍ ، فنشربُ منه ،
أو نسقى خيلَنا ،
ورحْلَنا ، أمجنونٌ انتَ ، وماذا حلَّ بكَ من خرابٍ ، ونقمةٍ ،
فتأتى إلينا ، حيثُ لا شمسٌ ، ولا قمرٌ ، ولا نجومٌ ، ولا كواكبُ ،
فد عكتُ اعضائى بوهجِ المحبةِ ، السافرةِ ، وتوضأتُ بالخمرةِ المزبدةِ ، وغسلتُ اطرافَ
جسمىَ بريقىَ الجافِّ المحترقِ ، ونشَّفتُ جسدى بأريجِ الليمونِ ، وزهرِ البرتقالِ ،
وانفلتت نجمةٌ ، وحيدةٌ بيضاءُ ، تدور فى فلكِ جسدها المشعِّ ، المسيجِ بوحشيتهِ ،
وطراوةِ أعضائهِ ، وزهورهِ المتوهجةِ المترامية الأطرافِ ، وتوجتُ نفسى مَلِكاً ، على فضاءِ نفسى ،
وانتظرتُ ألفَ سنةٍ ، مما تعدونَ ، فخرجت وردةٌ صغيرةٌ ، بورقةٍ واحدةٍ ، فقلتُ : وردةٌ
وحيدةٌ ، بورقةٍ واحدةٍ ؟؟ وفرحتُ بها وجلستُ . . . ،

وكانت قطرةٌ صغيرةٌ من الندى ، تلألأُ على طَرَفِ الوردةِ الوحيدةِ ، وفجأةً . . . ،
رأيت شمساً تشرقُ ، من قلبِ الوردةِ الوحيدةِ ، فقلتُ : دثرينى . . . ؟!
نضتِ الشمسُ عباءاتِها الذهبيةَ ، ووقفت على مقربةٍ منى ، لتستمعَ إلىَّ ،
فقلت دثرينى . . فانا بردانُ ، ولا من دابةٍ هنا ، او نامةٍ ، فآنسُ إليها وأكلمُّها ، ومذ
أتيتُ ، إلى هذه البلادِ ، لا أجدُ أحداً يكلمنى ، أو يأوينى ، فضحكتِ الشمسُ منى ، وفكَّكتْ
عروةَ ثوبى ، فاصبحتُ عارياً إلا من . . . . ،و . . . كانَ علىَّ أن أقطف الوردةَ الوحيدةَ ،
وَرَقَةً . . ، وَرَقَةً وَرَقَةً . . . ، لأستُرَ بها عريىْ ، ولم أفعلْ . . . ،
ونمتُ تحتَ ظلِّ الوردةِ الوحيدةِ ، ألفَ يومٍ ، واستيقظتُ على صوتِ طائرٍ يطيرُ ، ويرفرفُ

بجناحيهِ ، البنيين ، ويضربُ فى الفراغِ بريشهِ المراوغ الأخاذِ ، ويعلو ويهبطُ فى دوراتٍ ، متتابعةٍ ، وأنا ، ادعكُ عينىَّ ، وأفتحها ،

هل أنبتتِ السماءُ زهوراً ، ؟ ومن أين أتى الطائرُ الجبلىُّ الوحيدُ ؟

وماذا أنا ؟ كيف أضربُ فى القاعِ وحدى ، أوِ . . . والصحراءُ شاسعةٌ ، ولا أحسُّ . . بجسدى يُعَرِّشُ علىَّ ، ولا يمكنُ لجسدى أنَ يكونَ زوجين اثنين . . . !!

اخذتُ أجدِّفُ فى الرملِ ، وأفتلُ من حصيرةِ الهواءِ سلّماً ، وكلّما أمرُّ على وادٍ غير ذى زرعٍ ، أُشعل فتيلةَ جسمىَ الذّابل ، فلا أجدُ على النارِ هدى ،

وماذا تكونُ الشمسُ ، والقمرُ ، والنجومُ إذنْ ؟؟

وافقتُ ذُهُولاً ، فإذا بالطائرِ الجبلىِّ الوحيدِ ، يقفُ على جذعِ جسمىَ ، ويخلّعُ بضعَ شجراتٍ بيضٍ ، من رأسىَ ، ويمسحُ على عينىَّ ، ويهدلُ هديلاً جميلاً ، طويلاً ،

كيف أعطى لجسمىَ قانونَهُ ، ولشكلى هندسَةَ فراغِهِ ، ولشهواتى طقوسَها ، ولبدنى انكساراتِ ضوئِهِ ، وكيف يكون الدَّمَ ماءً ، وأنا ، وأنتَ نضربُ فى العَمَاءِ العُقْلِ ، ولا شىءَ نصلى ، ونسلمُ به ، على أهل ، هذه الأرضِ ، وكيف يكونُ لشجرةٍ مثمرةٍ ، أن تعطى ثَمَراً ، عَطِناً ؟؟ فلا يأكلُ الطيرُ منه ، ولا يتبقى بها ، غيرُ فروعٍ ذابلةٍ ، واوراقٍ محتضرةٍ ، ودمٍ متخثرٍ ، موبوءٍ ، وماذا عن قانون العالم ، إذا نحنُ لم نحاولْ اكتشافه ثانيةً ؟؟

أما من امرأة وحيدةٍ ، تكونُ سكناً لى ، فَأَقَرَّ بها عينا . . . ؟!

وكلما أُحاولُ أنْ أعجنَ الرملَ ، وأخبزَ الهواءَ ، وأُدَثِّرَ جرحَ الأرضِ ، وأنتخِبُ من الشجرِ ذريةً ؛ ومن الشمسِ . . . كرةً ، لأطفالٍ لا يجيئونَ غداً ، تتسربُ الأسئلةُ من رأسىَ ، وأراودُ نفسى ، عن القتلِ ، والقنصِ ؛ هل فى ذلكَ قسمٌ لذى حِجْرٍ ؟؟

تعبت عينى من النظرِ ، وأذنى من السمعِ ، فماذا أفعلُ فى البالونةِ الصغيرةِ ، التى تستقر فى داخلى ، وهىَ . . مليئةٌ بالثقوبِ ، والأورامِ ،

ومتى تشرقُ شمسُ الغدِ . ثانيةً ، فأراها ؟؟ مثلَ خطاياكمْ ، متوهجةً ، ولا معةً ؟؟

حصاةُ الرغبةِ الصغيرةِ ، ماذا انتَ فاعلٌ بها ، وأنتَ جالسٌ على عرشِ العالمِ ، وفى يدكَ كرةً . . . ذهبيةً ، تدحرجُها ، نحو الأرضِ ، وقتما تشاءُ ، فمرةً تكون حديقةً من الم مزدهرةً ، ومرةً ، تكون قطيفةً ، مُتدليةً متعددةَ الألوانِ ، والشرائع ، وتارةً أخيرةً ، تكون قطيعاً من الماعزِ الجبلىِّ الدَّمِ ، تسوقهُ للذبح عصرَ كلِّ يوم ، وأنتَ فى مكمنكَ الأبدىِّ ، تراقبُ أخاديدَ الدَّم المنسربِ ، صوبَ الأنهارِ ، والبحرُ ليسَ يملأن ؟

هل تشتعلُ السماءُ ، وتنفجرُ كرةُ الأرضِ ؟؟

ساعدونى على أن نشعلَ النارَ فى العالمِ ، ونقيمُ مكانَه أعراساً أخرى ، وخرائبَ جديدةً ، ولكنها

على كلِّ حالٍ ، ستكونُ أقلَّ سواداً ، مما هىَ عليهِ الآنَ ،

كيف يمكنُ أن نسكنَ فى الأرضِ ، ونعلم أولادنا سُكنى الأقاصىَ ، ومُدُنِ المستقبلِ ؟؟

فلنضعْ وردةً على كلِّ بيتٍ ، ونقولُ لأهلِهِ انظروا : هذه رمزُ حضارةٍ ، آتيةٍ ، ومدنٌ أخرى لم تطأووها من قبلُ ،

وكانتِ الكائناتُ حشراتٍ بريةً ، بعيونٍ تفحُّ شراراً ، واجساداً على هيئةِ الآدميينَ ، تركبُ سفينةً واحدةً ، فى بحرٍ لجيٍّ ، ظلماتٌ بعضُها فوق بعضٍ ، وتطفو السفينةُ حيناً ، وحينا تشارفُ الغرقَ ، والموجُ طامٍ ، والصراخُ يرتفع عالياً ، من كلِّ جانبٍ ،

قالت امرأةٌ فى المدينةِ ، لرجلٍ وحيد : إلى اينَ نحنُ ذاهبونَ ؟؟ فأشارَ إلى البحرِ . . . .

وأخذتِ المرأةُ الوحيدةُ ، تمسكُ بجثثِ الأطفالِ ، وكلما مروا بموجةٍ ، قذفت بواحدةٍ ، إلى الماءِ ، والرجلُ الوحيدُ ، مشغولٌ بقناديلِهِ المنطفئةِ ، وهو يضحك ، ويهذى . . . كالمجانينِ ، ارفعوا الشراعاتِ عالياً . . . !!

غير أن موجةً طاميةً ، طاويةً ، أتتْ زرقاءَ مسرعةً ، ولها صوتٌ عظيمٌ ، كأنها القيامةُ ، فانخلعَ لها قاعُ السفينةِ ، وانفرعتُ الأجنةُ فى الأرحامِ ، وأخذَ كلُّ واحدٍ فى السفينةِ ، يصرخُ ويبكى ، والشمسُ ، تتأرجحُ تأرجحاتٍ لا معنى لها ،

قالت امرأةٌ فى السفينةِ : تخلصوا من المؤنِ ، والذخائرِ ، فازدادتِ الموجةُ علواً ، والسفينةُ تمايلاً ، وصاحَ رجلٌ كان مشغولاً بتماثيلِهِ : القوا بالعجائزِ والمسنينَ . والأطفال ، إلى البحرِ ، والريحُ تصفرُ ، صفيراً مجنوناً ، ملعوناً ، فازدادتِ السماءُ زرقةً ،

والجثثُ تطفو ، وتطفو ، واحدةً اثر الأخرى ، وتغْمِزُ لكلِّ من فى السفينةِ ،

كانتِ اللغةُ غيرَ مفهومةٍ ، والحروفُ اخذت شكلَ كائناتٍ رخوةٍ ، وصلبةٍ مخيفةٍ ، بأجنحةٍ ، من نارٍ ، وعيونٌ تفح شراراً ، وسواداً ، وظلمةً ، وسُمِعَ ارتطامٌ ، ما ، فتناثرتِ الشهبُ ، جارحةً ، وصارتِ السماءُ ثوباً ممزقاً ، ومرافئَ غيرَ آمنةٍ ،

فمن صَعَدَ إلى السماءِ ، ونزلَ ، ومن ضرَّ الماءَ فى ضُرَّةٍ ؟؟

واحتوتِ الموجةُ السفينةَ ، فتطايرت الألواحُ ، وسكنتِ الآلاتُ ، وهدأ القاعُ ، وبقيتُ وحدى معلقاً ،

بين البحرِ ، والسماء ،

فاخذتُ أهتف :

يافضةَ النهارِ ، ويا زبدَ البحرِ ، أينَ هىَ الأرضُ فأُعَيِّدُ عليها عِيدى ، وأقيمُ طقوسىْ ، وامسحُ جلدى بورقها الباهتِ المُصْفَرِّ ،

يافضةَ النهارِ ، ويازبدَ البحرِ ، أينَ هى الأرضُ فأهجِمُ عليها بِكُلِّيتى ، ولا يتبقى عليها من ذَرَّةٍ أو رملةٍ وحيدةٍ ، .

ولا شجرةٍ معلقةٍ فى فراغِ نفسها ، إلا وصرت ورقةً من أوراقِها ، وخليةً من خلاياها ،

أينَ هى الأرضُ ، فامسحُ بها جَسدى ، وادعكُ جلدى بِفِضتِها ،

ها أنذا قد صرتُ عارياً ، ووحيداً ،

كلمينى أيتها السماءُ ، فأسمعُ صوتك ، وأبدأ حلمى صاعداً إليك ، وهابطاً ، وامنحينى حبةَ توتٍ

وحيدةً ، فأُوزِّعُ فُصوصَها عليَّ ، وها هو الجبلُ عالٍ ، وشجرتكِ بعيدةٌ عني ، ودمي يَقُعُ وجهَ الأرضِ ،

ولَطَخَ حدائقَ القمرِ فخِفْتُ على ألوانكِ الذهبيةِ من لونِ دمي المتحثرِ الحامضِ ،

ايتها الشمسُ ، أين صورتُكِ في عيني ، وبهاءِ نفسي ؟؟

وماذا عن السَّيدِ الجسدِ ، والمرأةِ التي وهبتها كلَّ شهوةٍ لي ، وهي ليست ملكي ؟؟

أحترزُ منكِ بكائناتي الضَّالةِ الهَشَّةِ ، وقِططي الميتةِ العَفِنةِ ، واحترزُ من كائناتي بكِ .

غناء يأخذ شكل الحنجرة الخضراء :

توقفتُ تحتَ عينِ الشمسِ الحَمِئَةِ ، ونظرتُ إلى الوادي :

١ - نملٌ يسيرُ كجيشٍ بلا ألويةٍ ، وعصارةُ السماءِ ، قطعٌ متجاوراتٌ ، وغيرُ متجاوراتٍ ، من النارِ ، وغرابيبُ سودٌ ، وابنيةٌ هَرَمةٌ ، ومساكنُ خاويةٌ ، إلا من السِّمطِ ، والعصافيرُ مشتعلةٌ ، والمسافةُ بين كوكبٍ وكوكبٍ ، أقصرُ من المسافةِ بين الضحيةِ ، وقاتلها ، وبينَ القاتلِ ، والقتيلِ ، ولا مفرَّ ،

٢ - النملُ يزحفُ على الشجرِ ، ومداخلِ الطرقِ ، ويتَّخِذُ من الجبالِ بيوتاً ، ومن الشجرِ سكناً له ، وإقامةً دائمةً ، وهو أبيضُ وله رؤوسٌ مدببةٌ ، كأنها الإبرُ ، تأتي على الأخضرِ ، واليابسِ ، فقلتُ :

أما مِنْ رحمةٍ ، واحدةٌ ؟!

فأصابني وابلٌ من مطرٍ أحمرَ ، ونفاياتِ قمرٍ مخنوقٍ ، محترقٍ ، وكانت نخلةً وحيدةً ــ في قلبِ الصحراءِ ــ والشمسُ والقمرُ في كلِّ ليلةٍ ، يأتيانِ إليها ، والنجومُ تتقلَّبُ على نُوَّاباتِها ، كأنها جُثَثُ الزمنِ ، وأشلاءُ عصرِ الطاعونِ ،

٣ - أُهيئُ نفسي لعاصفةٍ هي الخلاصُ ، وخلاصٌ هو العاصفةُ ،

٤ - وأصنعُ من جسدي خميرةً لشجرةِ المحبةِ الواهنةِ ، وأهوي به ، أمام الأطفالِ لعلَّهم يفرحونَ ، فإذا بهمْ يرجمونني بحجارةِ أرواحهمِ الضائعةِ ، وشَجَراتِ طفولتهم الهرمةِ ، وينظرونَ إليَّ شزراً ، وانا اقولُ لهمْ :

(تعالوا إليَّ ياجميعَ المتعبينَ ، وأنا أُريحكم)

٥ - أرفرفُ بجناحينِ فضِّيينِ ، وأرقصُ على زَبَدِ الماءِ ،

وأُوَاخي فراشةَ الضوءِ ،

وأطلقُ سمكاتِ الذهبيةَ في كلِّ الجهاتِ ، وأدعو طائراً إليَّ ، فأُكَلِّمُهُ ،

وأُراقصني تحتَ شجرِ الوحشةِ ،

وعناقيدِ الغضبِ المشتعلةِ ،

وأُجفِّفُ مساحةً أخرى من الضوءِ ،

وأُوَزِّعُ على كلِّ الجهاتِ دمي ، وبقاياكمْ ، ثم أُبارِكُه فيكمْ ،

وأدعُ في رَحِمِ امرأةٍ ، طفلاً ،

يَحملُ كلَّ علاماتي ، وقياماتي . . . !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما من أنثى تَحْمِلُ ، أو تضعُ إلا وتكونُ المحبّة هيَ شجرتُها الخضراءُ ،
وبيتُها الذى تأوى إليه ،
٦ - أُخَبِّئُ بينَ كلِّ تويجة ، وتويجةٍ ، مدينةً مطمورةَ ،
٧ - أما من أحدْ . . . ؟؟
٨ - تحتَ كل زُهرةٍ ، شمسٌ صغيرةٌ ، وسماءٌ لوطنٍ يقومُ ، أو مملكةٌ تُشبْهُهُ ،
٩ - فمتى يكتبُ كلُّ منكمْ قصيدتَهُ ، بلغتِهِ التى تُشْبِهُهُ ، وحروفِهِ التى يأويها ، ويُرَبيُها تحتَ سقفِ بيتِهِ كالأرانبِ ، والخنازيرِ ، وقططِ الفخارِ المُهَشَّمَةِ ، ومُيَاوَاتِهِ ،
ولا يحتاجُ إلى لغةٍ أخرى ليكونَ ابناً من أبناءِ المستقبلْ ،
١٠ - أما من أحدْ . . . ؟؟!

اشارات :

(١)

يأخذُ الدمُ شكلَ الأتربةِ ، ومخداتِ النوم ، ومحاراتِ الأرغفةِ ،
ومربعاتِ الزجاجِ ، والألوانِ ، وإشاراتِ المرورِ ،
وتذاكر السفرِ ،
وحانةٍ قديمةٍ ،
وجسدِ امرأةٍ ثرةٍ ، ورجلٍ عجوز ،
فمتى نفرُ من أسمائِنا الضيقةِ ، إلى مسمياتِنا الرحبةِ ،
ولا يكون لنا شكلُ الحلازين ؟؟
وتأخذ الأرضُ ، عباءةَ رجلٍ كهلٍ ، تعابُه ريحُ عقورٍ ، وشجرة مقطوعةً ،
على ضفةِ نهرٍ قديمٍ ،
هجرتهُ بهرجةُ المياهِ ، وظلالُ الحساسينِ ، وليس على القاعِ سوى ذكريات ماءٍ ،
ودمٍ لزجٍ ،
وضفدعٍ يقرعُ ، ويتناسلُ بحيوية ، كأنه الجرادُ ،
وتأخذَ السماء لونَ امرأةٍ عجوز ،
والشمس والقمرُ ، شكلَ قبيلة مندثرةٍ ،
ولوحة فارغةٍ ،
من الرسوم ، والألوانِ ، والشَرَاشِفِ ،
فكيف أمسكُ الفراغَ ، وأزينُ به نفسى ، وألوّن الضوءَ ، وأضعُ بينَ كلِّ فراشةٍ ، وفراشةٍ ، مقعداً ، لرجل ، وامرأةٍ ، وطفل ؟
كيف أضعُ بين كلِّ زهرة ، واسمها ، مساحةً لحُلْم ،
وكيف أدخل جزيرةَ الهواءِ ، وأتوّجُ نفسى ملكا عليه ،
وأجلسُ على أريكةِ الفضاءِ الخاليةِ ، وأرتبُ أمراً ما ، ليس الجنونُ أو الغفلةُ ، وليس النومُ أو اليقظة ؟
وأجلبُ لكم من كلِّ حديقة ، زوجينِ اثنينِ ، لتشهدوا عُرْساً بعرضِ السمواتِ ،
والأرضِ ،

وكيف أجعلُ اللغةَ سهلةً ، فلا تقفُ على أبوابكم ، حائرةً ، فتفهمونى ، ولا تطاردونى ،
من على أبواب حناجركم ، وأدمغتكم ، المملوءةِ روثاً ، وخرائبَ ، كأنها الضحيةُ تُجَرّ بالسكين ،
هل اللغةُ قطط موبوءةٌ ، وكلابٌ ضالةٌ ، فتركلونها كالنفاياتِ ؟
إذن احجزونى فى قفصِ أرواحكم المظلمةِ ، وسَيِّجوا علىّ جدرانَ سجونكمُ الباردةُ ،
واقفلوا علىّ بالاقفالِ كى لا أفرَّ من زنازنكمِ ، الىّ متاهاتٍ لا أولَ لها ولا آخرَ . . . !!
بينَ اللونِ ونقيضهِ مساحةٌ فارغةٌ ،
وعلى الأرضِ ،
بقعٌ من ضوءٍ جافٍ ، وهواءٌ أسودُ . . . !!
ودمٌ
فى الأركانِ . . . !!

اشارة :

٢

اقتنصُ من النومِ ساعةً ، وأدخلُ فى حديقة الجسدِ الملىء بالقطوفِ ، والوعولِ ، وأركضُ فى اتجاهِ البحرِ
فاقطفُ غيمةً ، بريةً ، وأتشبّعُ بالضوءِ ، والإقامةِ ، وأقولُ لجسمى : هل امتلأت ؟
فيقول : هَلْ مِنْ . . .
«مَ . . . ز . . . ى . . . دْ . . . ؟!»
واطلق نحوكِ فراشةَ الجسدِ ، المسكونِ بغوايةِ الجسدِ ، وغاباتِ الشوكِ الحمراءِ ،
وأمسكها ساعةً أو بعضَ ساعةٍ ، حتى تشقق الأرضُ ،
ويكونُ لها طعمُ الكمثرى ، وبرتقالاتُ الضوءِ ، وعناقيدُ العنبِ المُخْمَرِّ ، المتخمرِ ، وشجرُ الخَشْخَاشِ الـ

مكتنزِ ، بجذورهِ ، وتشققاتِ أوراقهِ ، ونزوعهِ ،
وأفسحُ لنفسى كوكباً عن يمينكِ ، وكوكباً عن شمالكِ ، وآخرَ وراءَ ظهركِ ، فلا تعبثينَ بى ، أو تنظرينَ

إلىّ ، فهذه ساعةُ الاقامةِ ، فى مدار الثبوتِ ، ووحشةُ الطريقِ فى مدارِ سفرٍ طويلٍ ،
ليس علىّ سوى الانتظارِ ،
اذنْ أفتش عن خيمةٍ قربيةٍ ، خضراءَ ، وأرتّبُ فيها مراسيمى بيدى ،
غيرَ أنكِ تأتينَ فى ساعةٍ متأخرةٍ ، وتكشفينَ غطائىَ ، فأقول لكِ :
زمِّلينى . . . ، زمِّلينى . . . ، دثّرينى . . . ، دثّرينى . . . ،
وبإيماءةٍ خفيفةٍ منكِ أدخلُ حدائق النهارِ المزدهرةَ بالأثمِ ، والبراءةِ ،
وأطفو قليلاً على جُثَثِ العُشبَ ، وتفاحِ الألمِ المخضرِّ وأشلاءِ الحلمِ ، وأكتبُ بحبرِ جسمكِ المهتزِّ

المرتعش ، نشيدِ الطفولةِ الموءودةِ ، ونشاز العالمِ المنهارِ ،
وأدعو غيمةً ، ضائعةً ، إلى مائدةٍ لىْ ، وسكناىَ ، والإقامةِ فى بيتىَ وأغرسُ لك شجرة مخضرَّةً ،
تسمينها الحريةَ ، فتغرسينَ أمام دارى ، غصنا من غصونها المتفرعةِ ، وتكتبينَ على كلِّ ورقةٍ :
ــ هذه دروبكَ الوعرةُ ، وجنتكَ الموعودةُ المفقُودةُ ،
حنيئذ ، اغزلُ لكِ ثوباً من بقعِ الشمسِ ، وبقايا النجومِ ، وزبدِ البحرِ ، وفضةِ الماءِ ، وأزَيِّنهُ بجثثِ
القتلى وحدقاتِ الجرحى ، وتأوهاتِ الألمِ المُشعِ ، وخرائبِ العصور ، فتضحكينَ ، ولا تبكينَ ،
فكمْ تكرهينى ، وأحبكِ ،
وأكرهك فتحبينى ، . . !!
ياأنتِ أيتها المرأةُ الحجريةُ ،
ليس جسمى مركباً لكِ ، أو خُفّاً تدوسينَ عليه فلنسمِ الأشياء ، بأسمائها ،
سُرتُكِ كأسٌ مدورةٌ ، ولا يعوزُها شرابٌ ممزوجٌ وخمرةٌ يدُكِ لذةٌ للشاربينَ ،
وجسْمُكِ قطيفةٌ مصبوغةٌ ، بالعشبِ ، والشقائقِ ، ولا يقيمُ عليه حارسٌ ، ولا تؤدى إليكِ هاويةٌ ، هاويةٌ ،
وليس عليه من دليل إلا أنتِ ،
ويَمِينُك كرمةُ عنبٍ ، ودوالٍ ، لا مقطوعةٌ ، ولا ممنوعةٌ ، وسرُّها ذائع فى الآفاقِ ، وكلُّما قطفنا من ثَمَرِها
شيئاً ، تفتّقتِ الكرمةُ ، واشتعلتِ العناقيدُ ، وتَكَشَّفَتْ لنا سَوءاتُنا ،
عينك شمسُ الله
ياالله . . . !!
كيفَ أخبزُ لكِ الفرحَ الدّائمَ ، وأقَدِّمُ لكِ المسرَّةَ ، ياأنتِ ، أيتها المرأةُ الحجريةُ ،
كم أحبكِ وتكرهينى ،
وأكرهكِ . . . ،
فتحبينى . . . !!

اشارة :

(٣)

أزَينَ نفسى لبهرجةِ الطفولةِ ، وطُقوس الحُلم ، وإدراكِ الحواسِ ، وغيرِ الحواسِ ، من سفرٍ ، وركضٍ ،
وموتٍ هو النعمةُ ، ونعمة كأنها القيامةُ ، ولا شىء بعدُ ،
وأتهيأ لمنازلةِ النومِ ، والسهرِ ، وكتابةِ تمائمِ الشجرِ ، واحجيةِ الليل ، وحشرجةِ الأجنّة ،
وأتتبعُ منازلَ الشمس ، والقمر ، والنجومِ ، وأغفو على بوابةِ جسمكِ إلى أن تقومَ الساعةُ ،

وأفكُّ طَلاسِمَ سحرتُك وسحرَكْ ،
أسرقُ نارَ المواءمة بين جسدى ، وعجينتِهِ الأولى ، وبين الأرضَ ، ومسامِّها البعيدةِ القريبةِ ، وليس علىَّ
سلطانٌ ، إلا أنت فارسمُ فَضاء نفسى بنفسىَ وأزينهُ لعينىْ . . . !!
هل البحرُ كتابةٌ أخرى ، لسماءٍ ثامنة ، فلا نرى منهُ غيرَ الزبدِ ، والمحارِ ، والطحالب الخضراءِ ،
والمراكبِ الغارقةِ ، والألواحِ الطافيةِ ، والسمكِ الأبيضِ المتوحشِ ، وبقايا دمٍ منقرضٍ ، لعُصورٍ . . . ،
بأهتةٍ منقرضةْ ؟
والسماء زحازفُ ملونةٌ ، ومساراتُ النجومِ والقمرِ ، والأرضُ رقعةٌ من ثيابِ الله ، التى تَبقَّتْ ،
أشتهى وردةً بألفِ غُصْنْ ،
وامرأةً ثرةً ، تكون شجراً زاكياً ، ولباناً مُعَطِّراً ، وعليها يختصمُ الشمسُ ، والقمرُ ، ولها عرشٌ نضيدُ ،
سأخذُ الرملَ قنديلة ، ويغادرُ صوبَ البلاد البعيدةِ ، واللُّجَجُ النُّجْم ،
من أوعزَ الآنَ للقمر ــ المتلثِّم ــ أن يتأبطَ صاريةَ القيمِ ، أو يتزيا بقافلةٍ ، ضالةٍ ، وسماءٍ رمادية حارقة ؟
تتألبُ بين ممرينِ ، من جبلٍ شاهقٍ ، وبلادٍ أثيمة ؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغنية صغيرة غير دافئة :
مشاهدُ الغياب ، والحضورِ ، لزمنٍ محدودبٍ ، مكسورٍ ،
الوجهُ كوكبٌ يدور ،
والأرضُ ناقةٌ خضراء ، تسيرُ تحت قُبَّة السماءِ ،
والشمسُ بقعة حمراءُ ، فى ثوبها المُهدَّمِ المنسوجِ ، بالعظامِ ، والأشلاءِ ،
والريحُ نخبأ الجثث ،
رأيتُ نخلتينُ من زبد وماءٍ ، يخْرُجَانِ من غَيابِه الدماءِ ،
والطائرُ القديمُ مسمَّر مصلوبٌ فى الفضاءِ ،
والريشُ شاهدُ القتيل ، والدليلُ ،
هلْ كانت السماءُ ، علامةَ الدماءِ ، أم كانت الدماءُ ، علامَة السماءِ ؟
رأيتُ كوكبينْ ، من لُجَّة ونارْ ،
يبكيانِ جرحَ الأرض ، وينضوانَ زهرةَ الرصاصِ والحديدْ ،
الوجهُ كوكبٌ يَدُور . . . ،
والأرضُ ناقة خضراءُ ، تسيرُ فوقَ جُثَّة الدَّماء . . . !!
كانت هىَ علامتُهُ ،
وهو قيامةٌ عليها ،

تابع رجلٌ غيمتهُ ،
ومضى . . . ،

اشارة

(٤)

سنبلةٌ فى غرفةِ نومى ، تتفتّحُ ، شجرٌ مسكونٌ بالضوءِ ، وبالكلماتِ ، يكلمنى ،
زهرةُ صبّار تنبتُ فى حُلمى ، وتُنادمنى حتى الموتِ ، فتأكل من خبزى ، وتشاطرنى كلَّ مسراتى ،
وهزائم بَدَنى ، وطقوسىْ ،
اصنعُ مشكاةً لا يُوقدُها إلا إيانَى ،
أشلاءُ عيونٍ متبلورةٌ متكومةٌ ، فوق الجدران تحدّقُ بىْ ،
ماذا يفعلُ طلعُ النخلِ ، المتبعثرِ فى أرضى ، وسفائنِ جسدى الغارقةِ ، بقاعِ البحرِ ، واصدافِ الماءِ ،
اقدامٌ عاريةٌ ، تدهسنى ، فتفتّتُ لحمى ، وتذرّينى للريحِ الهاربةِ ، من الجناتِ ، ووحلِ الازمنةِ الهرمةِ
وطواحين الموت ، وبقع الضوء الغاربةِ المعتكرةِ ،
وطواطٌ يطرقُ بابى ــ مبهوراً ــ ويحلقُ فى سقفِ الغرفةِ ،
أقذفهُ بالنومِ ، فيرجعنى بحجارةِ أحلامٍ ، متحجرةٍ ، وبقايا شهواتٍ نازفةٍ ، وعصورٍ منطفئاتٍ ،
سيدةٌ تشرقُ فى الليل ، فتتركُ فوق الجدران مناشفَها ، وضفائرَها وتحلُّ على الشمس المخبوزةِ ،
تحتَ وساداتى ، مئزرَها ، ثم تشيرُ علىَّ بأن أتبعها ، حتى هاجسة النوم ، ومطلع شمسٍ حمئةْ ،
تفردُ شالاً من وحدتها الخضراءِ على طَرف غواياتى ، وتُفضُّ على جِسمى المتغضّن ، أزياء انوثتها ،
فأقوم وأتبعُها مجنوناً ، من فرطِ الرغبةِ ،
جسدٌ معجونٌ بالعاجِ ، وبالحناءِ ، وملفوفٌ بحريرِ المحبةِ ، وسلالِ الضوءِ ، وتنهّداتِ الأجنةِ ،
وثدىً كزمردة خضراءَ ،
وعينانِ من اللؤلؤِ المصفوفِ على مقاعد اللونِ ، وأرائكِ الخُضْرةِ المذهّبةِ ، كأنها الزبرجد واليواقيتُ ،
والصدرُ خليجٌ من العسل المصفّى ، وهو المرجانُ المكنونُ ،
وسرتُها كأسٌ داميةٌ ، ومصباتٌ صاعدةٌ ، لنارٍ لا يسهلُ اكتشافهُا ، تحتَ شمسٍ هى الرحمةُ ،
ومحبةٍ كأنها النّعيمُ ،

أتأهب لمنازلة النوم ،
بمامٍ يهدلُ فى ذاكرتى ، ويعشّشُ فوق خرائبِ أرصفتى ، ومناراتِ المُعْتِمَة ،
وبدنِ الشّائخ الهرمِ ،
أشعلُ قنديلَ المطفئ ، وأتبعُ بعضَ غواياتى ،
الشراشفُ والنومُ ، أمْ حُلُم عابرٌ ، غَطّتْهُ المرايا ، دمٌ ، لبقايا دَم ؟
وذُهولاً أفقتُ ، تراءتْ لىَ المرأةُ ــ الحجريةُ ــ واقفةً بين ماءٍ ، ونارٍ ،
أكانتْ هىَ الجمرةُ المستكنّةُ ، فى مرمرِ العشبِ ، ترسُم وقعَ خُطاها ، دماً ، وشُمُوساً من الصُّلْب
معروشةً ، فوق قُبّةِ جسمىَ ،
والنجمةُ ــ المستفيقةُ ــ فى الغيم ، نوارةً ، لزمانٍ مضى ، وزمانٍ يجىءُ ؟؟
ترسم الشمسُ كحْلَ جسدِها ، على رَمْلِ الأفقُ المُزنّر بتقاطيع البداوة ، بخيوطٍ من نارٍ ، وأرجوانٍ ،
وداوئر من بنفسجِ ندنٍ ، باكتنازِ الأعضاءِ ، وخصوبةِ البدنِ الحىِّ ،
كأنها الأرضُ فكّكتْها شهوةُ العطش ، والنعاس ،
ووجعُ انفلاقِ الرحم ، بالرحِم عن حَبّةِ النوى ، وبراءةُ الأجنةِ ، وطفولةَ الحُلْم ،
هل هىَ الرحمُ ،
الأرض ؟!

اشارة :

(٥)

كان رجلٌ يسيرُ ، مشغولاً بقضائه ، وامرأةٌ تسيرُ ، مشغولةً بقضائها ، والتقيا
فإذا هما ، ورَقتانِ لشجرةِ توت ، آثرتْ أن تظل واقفةً ، هكذا ، ومغلّقة ، فى الفراغِ سنينَ عددا ،
ولا يعرفُ حسابُها أحدٌ ،
وكلما اقتربا ، أو تماسا ، كانت الشمسُ ، واقفةً ، لهما بالمرصاد ، والقمرُ يصعدُ ويهبطُ ليفُر ، من
منازلِ السكونِ والحركةِ ، إلى مشارقِ الأرضِ ، ومغاربها ، وهما يضحكانِ وينضوانِ ،
عن جسديها الشفيفينِ ، اردية القنوطِ ، ليدخُلا طقس المواليدِ ، وطفولة الأشياءِ ، ويجددانِ
عهديهما بمواثيقَ لا تنفصُم ، وشرائعَ غير مكتوبةٍ ، أو مُدَوّنَةٍ ،
هى علامةٌ عليه ،
وهو قيامةٌ لها ،
تعرفهمْ بسيماهُم ، كُلما التقى الماءُ بالنار ، وأخرجت الأرض أثقالها ،
وأنتَ فى مكمن حَرجٍ ، تراقبُ تفتّحَ الجسدِ ، لوردةِ الجسدِ ، وامتلاكهِ لزهرة الشهوة الرابيةِ ،

وتويجِ الانوثةِ المنفرطِ على طرقات الليل ،الصلبة الرطبة ، والنهارُ قبةٌ غاوية ، غازيةٌ ، لجسدٍ ،

منهزمٍ ، مكنونٍ ، فى سماءٍ بعيدة ، لا تشرقُ فيها شمسٌ ، ولا تلتقى بقمرٍ ، الا بمقدارٍ ، فلا تتقابل

المساراتُ ، ويتفرقُ الحلمُ ، كأنه الفتاتُ والأشْلاءُ ،

فمتى يقبل النهار كأنه الطوفانُ ، والليلُ من وراءه جيشٌ محيطٌ بألويةٍ ، ودروعٍ ؟؟

كانت هي وردُته ،

وهو وردةٌ عليها ،

يستندُ عليها بجذعهِ ، ويقدِّم لها القرابينَ ، فتقدمُ له كأسَ الدمعِ ، وحموضةَ المحبةِ ، وبرتقالاتِ

الوجعِ الأخرسِ ، فأىّ علامةٍ تلك ، وأىّ آيةٍ ،؟

ويقابلُها فى منتصف النهار ، فلا تقابلُه الا من وراءِ حجابٍ ، ولا تكلِّمهم إلا رمزا . . . !!

قائمٌ هو بالليلِ عليها ، والنهار والناسُ نيامٌ ،

وهى مشغولةٌ بحدائقِ الدَّمِ ، ومشاتِل القنص ، والقتل ، فلا يعرفُ أىُّ طريق يسلُكه وأىَّ الدروبِ

يجدها مفتوحةً ، ليفرَّ إليها ، حيثُ لا وصولٌ ابداً ، ولا رجوعٌ دائما ،

وكانا إذا قالا قاضا :

أنتِ . . . ، مشغولةٌ بسقاية الحجيجِ ، وإطعام الضيوف من كلِّ فجٍ ،

وأنا . . . ، أجيئكِ مزدهراً بغواياتى ، وقوانينِ بدئى المنهزمِ ، فتجيئينَ إلىَّ مكتوبةً بوجعكِ ،

فكيف افتحُ أمامَ جسمك ، بوابة العشق وتطلينَ علىَّ من فُرَجِ القُنوطِ ؟

ها هىَ متاهةُ الجسدِ إذَنْ . . . !!

وأنت مكتوبةٌ بوجع القديسين ، وأنا مرشوشٌ بالصلبان ، وتمتماتِ المساجد ، وأضرحة الفقراء ،

علامةٌ أنتِ على السهرِ والحُمَّى وهذه شجرتِك الضاربةُ عميقا فىَّ ، وجذورى شاهدةٌ على ما

أقولُ ،

وشَمْسُكِ منسوجةٌ على جِسْمىَ أخاديدَ ، ووديانَ ، وهىَ بطقوسِها وتفتحاتِها ، كفناً لىْ ،

كانتْ هىَ وردتُهُ ، وهو رودةٌ عليها ،

وهى قيامتُهُ ،

وهو علامةٌ عليها . . . !!

استفاقة :

شجرٌ فكُّكتْهُ السماء عروقا من الذهبِ الأصفرِ المتوهجِ ، فى الليل ، والغيُم حافَّاته ، كان لباس شهوتِها بروقاً ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حينما استوقفتُها ، اتقدتْ ضفائرُها المليئةُ بالسموات القريبة ، والنجومُ ، دخلتْ حجرتَها الوعولُ البيضُ ، والزهراتُ ، قادتنى الخُطى وجلاً إلى طرف الحديقة ، والسماء ازَّيَنَتْ بلباس

خُضرتها وها يَسَّابقُ النجم المطيفُ تجاهَ غرفتِها ، أوَ طرفُها حَوَرٌ ؟ ونارُ فراتها زجلٌ ! لطير غامضٍ ، يأتى من الأيكِ القريب ،

زجرتُ نفسَى وادرعتُ بشالها المعقودِ ما بين الضحى ، والليلِ ،

محبوسٌ أنا فى لجةٍ من ماءِ عينيها ، فكيفَ أفرُّ من برقٍ لبرقٍ ، ؟ وكيف يكونُ صوتُ حصاتها سكنا ؟

استفقنا . . . !!

كانت رجفةُ الفجرِ المغبَّش بالعماءِ الغُفْل ، والأمشاجِ ، تعتلكُ الندى ، والعطَر ، والنطفُ

الخبيئةُ تشرئبُّ كغابة مطمورة ، ما بين صخر الأرضِ والسموات ،

دانية قطوف الآلِ ، هل قطعانها ذَهَبٌ ، فأعرفها ،؟ أو اكْتملتْ قوافل رَحْلها الحُبلى بماءِ الخلق

والتنسيم ، وانسربت تفتشُ عن سُلالةِ قطرةٍ ، مخبوءةٍ ، ما بينَ شعْب ضيق ، حرجٍ ،

تمرُّ الريحُ بين ذوْ ابتين ، وينحنى حَبلٌ لصاعقة ، فامسكنهُ ،

ادْرعْتُ بشالها المعقود ، ما بين الضحى ، والليل ، قلتْ : أحبُّ الاشلاء من جُثتى ، وذاكرتى ،

هل ذاكرٌ ــ أنتَ ــ شكل المرأة التى فى حَوْزتِكَ ، ولون جسدها ، وطعم قرنفُلها ، وحنطة بطنها ،

وعجينَ سُرَّتها ، وماذا ستفعلُ ساعةَ المدِّ ، والجزر ، وهى ليستْ ببعيدةٍ ، عن هنا ؟

هل خُلخَالُها خشخشةُ الماءِ ، وبياضُ اللبن ،

وفضةُ الغيم ، تُطرز به الريح ، وتُزَيِّنُ به أخاديد الشمس ، ومعارجَ القمرِ ، ومنازلَ النجوم ، وهى

غجريةٌ ، لا تحبُّ سكنى الاعالى ، وقمم الجبالِ ، وهىَ علامةٌ على الموتِ ، وانت علامةٌ على الحياةِ ،

ولا تهبطُ القريةَ التى ، انتَ ساكنٌ فيها ، ولا تجىءُ إلا متخفيةً عن الرقباء ، والبصاصينَ ، وعليها

عراجينٌ ، وشهبٌ ، وممراتٌ وعرةٌ كثيرةٌ تسلكها ، فماذا أنتَ فاعلٌ بها ،

وهىَ عليكَ منَ الحَسكِ والشوكِ ، ثوبٌ لا يبلى ، ولا يزُول فلا تخلعُه إلا لترتديهِ

وأنتَ لا تزرعُ غير شجرِ الوحشة ، ولا تحصدُ سوى الهباءِ والذُّر ؟؟

هى آهلةٌ بك ، وموعودةٌ ، وأنت آهلٌ بها وموعودٌ . . . !!

فكيف يكونُ لجسد ثمل ، أن يكون آيةً لجُسُوم كثيرة ، والماءُ بينك وبينها نخلةٌ ، تتفرَّعُ فروعاً كثيفة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتمدُّ ذؤاباتها ، فوق أرضٍ هى الشيخوخةُ ، وفضاءٍ هو الجحيم ، فلا تطلعُ عليها شمسٌ ، أو يزورها

قمرٌ إلا ساعة موتها ، وحتفها ؟

تمت لكَ النعمةُ والمجدُ إن هىَ أشرقَتْ ، ولها ملكوتُ جسْمكَ الرجبَ ، فتتبوأُ من الأركانِ حيثُ تَشاءُ ،

فمتى ستأتى متبرجةً ، ثملَة ، وفى يدِها تحملُ عطاياكَ ، وقطوف جسدها ، وأنَت ذاهبٌ نفْسُكَ عليها

حَسَراتٍ ؟

ولها عرشٌ عظيمٌ اذا دخلتهُ حسبْتَهُ لُجُّه من قوارير ، وزمردات من لؤلؤ مكنونٍ ، وإنْ خرجتَ منهُ ،

تكسرت عليك النضال ، وانْفَطَرتْ الأرضُ وتشققتِ الجبالُ ، ولا تدرى بأىٍّ بلد تموتُ ، وهَى

عليكَ واقفةً ، . . .

فلا تذْهبْ نفسك عليها حَسراتٍ ، وقُل لها فى آخر الأمْرِ : سَلامٌ ،

هىَ قيامةٌ عليكَ ،

وأنت قيامةٌ عليها ؛ طلعتْ شمسُ الفجرِ مُذَهَّبَةً عليك فاسْتَفِقْ .

القاهرة : محمد ادم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد لا تموت*

عبد الله خيرت

وهذه القصائد تُبعث فيها الحياة من جديد حين يعود إليها من يملكون القدرة على القراءة المتأنية التى تكشف الأعماق وتضيء الطريق إلى عالم الشعر وأسراره العميقة .

وقد قام بهذا الجهد على امتداد تاريخ الشعر العربى علماء وشعراء كثيرون استطاعوا من خلال اختيارهم الموفق أن يجعلوا ذلك الشعر الخامس الرفيق هدف متذوقى الشعر ، فى حين ماتت قصائد كثيرة وهوى بها إلى القبور ارتفاع الصوت والتغنى بالفضائل الوهمية التى يجمعها من أطرافها أمراء المدن الصغيرة ووزراؤهم بل وحجابهم .

والمشكلة الكبيرة التى واجهت شعراء المدرسة الحديثة كانت هى أن يدفعوا عن أنفسهم تهمة الجهل والعجز وانقطاع أسبابهم بالشعر القديم وبالتراث العربى بشكل عام ، ولكن حين نشر الشاعر العربى المبدع أدونيس مختاراته من الشعر العربى فى كتاب كبير من جزئين ، ثم نشر زميل رحلته صلاح عبد الصبور مختاراته وكذلك الشاعر الرفيق المرحوم كيلانى حسن سند . . وغيرهم كان مفاجأة لكثير من حماة التراث وحراس القافية ، فهاهو شاعر متمرد ثائر على القالب القديم ، يقرأ الشعر العربى قراءة واعية ويستفيد منه ويفتش فى آلاف الأبيات حتى تقع عينه على بيت كهذا :

وأبٍ لو ان الفتى حجر
تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

أويت كهذا :

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

إن الشاعر العربى الحديث يجب أن يكون أولاً قارئاً لهذا النوع من الشعر ، وهو وإن اختلف مع القالب وثار على القافية الواحدة ، إلا أنه يحتذى هذا الشعر القديم ، لأنه فى الحقيقة ليس قديماً ، فهو واضح وغامض وسهل وعميق ، وهو يجيل إلى الهموم الانسانية التى لا مهرب منها فى أى زمان ، أى أن فيه ما يطمح كل شاعر أن يجده فى شعره .

وقد اختار الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة ، ليس أبياتا مفردة أو مقطعات كما فعل زملاؤه ، وإنما قصائد كاملة ، ولم يكتف بهذا بل هو يقدم لهذه القصائد أو يتبعها بدراسات عميقة تعكس ثقافته العربية الأصيلة التى لا يختلف أحد على أنها واضحة أشد الوضوح فى شعر هذا الشاعر ، بل هى فى الواقع أهم مايميز تجربته ، فهذه اللغة الخاصة الفنية بإيحاءاتها ليست موهبة وإنما يمتلكها الشاعر حين يوطد علاقته بتراثه القديم ، ولذلك فتجربة الشاعر محمد ابراهيم أبو سنة من هذه الناحية تأخذ خطاً صاعدًا مثله فى ذلك مثل صلاح عبد الصبور الذى كافح ليصل إلى هذه اللغة التى تومىء أكثر مما تقول كما يتضح فى دواوينه الاخيرة .

والقصائد التى اختارها أبو سنة ليست بنت عصر واحد من

* قصائد لاتموت ، اختيار ودراسة محمد إبراهيم أبو سنة مكتبة مدبولى .

عصور الشعر العربى فأبو تمام مع المتنبى مع أحمد شوقى وإبراهيم ناجى . . فما هو الهدف من جمع هؤلاء ؟ يقول الشاعر :

« . . ولا أعرف وقع هذه الرحلة أيها القارىء عليك ، قد تخرج من الهجير إلى الصقيع ، من جمال الربيع إلى ذبول الشتاء ، وقد تلفحك أنفاس العشاق الذين اكتوت قلوبهم بالهجر والفراق ، وقد تجد ذلك ممتعا أو شاقاً أو عادياً ، ولكن هذا حصاد رحلتى ، وهو حصاد يقدم لآلىء نادرة من خلال الربط بينها وبين أصحابها الذين كما بدوا الحياة قبل أن يكابدوا الابداع . . »

هذا هو المنهج الذى اختاره الشاعر فضم بالإضافة إلى الشعراء السابقين : قيس بن الملوح ، وعمر بن أبى ربيعة ، وكعب بن سعد الغنوى وعباس بن الأحنف ، وأبو العلاء المعرى ، ومالك بن الريب ، والأحوص والطغرائى ، وعمر ابن الفارض . وقصائد هؤلاء هى قصائد ذاتية تكشف طموح أصحابها وهمومهم وعلاقتهم بالآخرين وحبهم اليائس

ولكنها ليست همومهم وحدهم ، وإنما همومنا كذلك . . فالطغرائى فى قصيدته المشهورة «لامية العجم» كان يحكى قصة طموحه العقيم وسعيه للفوز بالمناصب الكبيرة ، والمكائد التى كان يدبرها أعداؤه ولكن من منا لم يزق بلا وعى :

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
والحظ عنىٌ بالجهال فى شغل

أو

تقدمتى أناس كان شوطهم
وراء خطوى لو أمشى على مهل

والمتنبى كان يذرع الأرض طولاً وعرضاً باحثا عن حظه الذى ظن أنه لابد واجده فى مكان ما من هذه الأرض ، ولكنه فى بحثه هذا كان يوغر عليه الصدور ويكسب أعداء بدل الأصدقاء ويغالى فى الاحساس بنفسه حتى أفسد كل شىء وإن كان لم يفسد الشعر الذى نردده فى كل لحظة :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون هم

شر البلاد مكان لا صديق به
وشر ما يكسب الانسان ما يصم

ومجنون ليلى النموذج الثابت لكل محب خائب وما أكثر هؤلاء ، يظل شعره جديداً ومعبراً عن أحزان وآلام المحبين فى شرقنا العربى مهما بعد الزمن :

أعد الليالى ليلة بعد ليلة
وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى
أحدث عنك النفس بالليل خاليا

وهكذا نجد فى كل قصيدة من تلك اللآلىء النادرة التى اختارها الشاعر الرقيق محمد أبو سنة ، مواقف عشناها أو أحلاماً أفقنا منها أو آلاماً لأنزال نكابدها هى التى تجعلنا نردد تلك الابيات من غير وعى أحيانا لأنها أصدق ما يجسد لحظتنا الراهنة ، وإن كانت تلك الأبيات قد مضى عليها قرون ، وكانت ترصد لحظة خاصة لدى الشاعر الذى أبدعها .

ولم ينس الشاعر وهو ابن أيامنا هذه بمصطلحاتها النقدية المعقدة ، والحديث القاطع عن وحدة القصيدة ، لم ينس أن يصرح بإعجابه البالغ بهذا الشعر القديم الذى ليس فيه وحدة ، والذى يمكن أن تتبادل أغلب أبيات القصائد أماكنها ، لأنه وإن كان يحرص حرصاً شديداً كما يحرص أغلب شعراء المدرسة الحديثة المجيدين ، على أن تكون قصيدته محكمة مبنية بناء فنياً ، فهو يعرف أن هذا الشعر القديم الذى اختاره كان ابن عصره ، وأنه من الاجحاف أن نقلل من شأنه أو نسخر من مبدعيه أو ندعى كما يدعى البعض الآن أن هؤلاء الشعراء لابد أن يطويهم النسيان .

إن القيمة الكبرى لهذا الكتاب تكمن فى أنه يضىء لنا مرة أخرى الطريق إلى شعرنا العربى الذى كدنا ننساه ، وإذا كانت هذه القصائد تمتع القارىء وتكشف له أعماق النفس البشرية التى لاتتبدل فى أى زمان ، فإن هذا الشعر يجب أن يكون معروفاً معرفة جيدة لكل من يحاول أن يكتب الشعر الآن ، فمن هنا سوف يتجاوز شعراء المدرسة الحديثة تلك الأزمة التى جعلت أغلب شعرهم متشابهاً .

القاهرة : عبد الله خيرت

بالفعل ينقلنا إلى عالم آخر موجودبالقوة داخل نفوسنا بعد أن كان موجوداً بالقوة داخل نفس الشاعر .

وعلى هذا فالعمل الأدبى وبخاصة الشعرى وسيط لنقل كوامن النفس المبدعة . يقول (روستر يفورها ملتون)

« فالفنان هو الذى يخلق لنفسه فعلا ولغيره بالقوة تجربة تأملية موحدة ذات طابع يتميز بدرجة كبيرة من الموضوعية وذلك عن طريق فرضه شكلا على مادته الخاصة والشاعر هو الذى يخلق تجربة من هذا النوع عن طريق تنسيقه الكلام تنسيقا موزونا وكل تنسيق موزون
للكلام له هذا الأثر هو قصيدة »[1]

ويقول الشاعر محمد ابراهيم أبو سنة

« القصيدة الحديثة تجسيد لفعل يتم فى الواقع أو فى النفس الانسانية أو الذاكرة وهى كيان

متابعات

قراءة نقدية فى قصيدة
تنحدر صخور الوقت إلى الهاوية*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد سعد أحمد حسنين

ـ مدخل ومنهج عمل :

وسط هموم الحياة ومشاكلها يغترب المبدع عن الواقع ويركن للأحلام لكن سرعان ما تصطدم الأحلام بالواقع لتصبح هباءً منثوراً ويصبح الواقع المحزن أغلالا ترسف فيها الأحلام أو صخرة تتحطم عليها كل الآمال والتى تمثل فى جوهرها الحلول المثالية للواقع الممزق .

وقصيدة الشاعر رفعت سلام « تنحدر صخور الوقت إلى الهاوية » تستشعر هذه التجربة وتعبر عنها خلال لغة شعرية كثيفة تنقل الإحساس بالتجربة دون أن تصرح بالمعنى فالقصيدة ـ كما أراها ـ (عالم قائم على الصورة) خلال كم من الحروف المنطوقة تتآزر وتتكثف لتصنع عالما موسيقيا موجودا فنى ذو وحدة عضوية تطمح الى التغيير لا إلى التفسير معتمدة على رؤية جدلية درامية ، تستقى خصائصها من تراثها ومن امتدادات الثقافة العالمية الانسانية »[2]

ـ تجربة نقدية

ومن خلال هذه المقدمة المتواضعة نحاول الولوج الى هذه التجربة الشعرية التى بين أيدينا .

وأول شىء يلفت النظر عنوان القصيدة ذاته .

« تنحدر صخور الوقت الى الهاوية »

فعبارة « تنحدر ..... إلى الهاوية » عبارة مألوفة لا جديد فيها ولكن اختيار كلمة « تنحدر » مع الهاوية » يجعلنا على ثقة من وعى الشاعر بموسيقى الكلمة التى تنقلنا إلى عالم الشاعر فلو تأملنا موسيقى حروف كلمة « تنحدر » وجدناها تنتهى بثلاثة متحركات يحاكين حركة الصخرة الساقطة ولم يكتف الشاعر

* نشرتها مجلة « ابداع » فى عددها السابع للسنة الخامسة يولية ١٩٨٧ م

بهذا بل أضاف متحركين آخرين من كلمة« صخور » حتى يكون السقوط كاملا .

وكلمة « الهاوية » والتى تبدأ بالهاء القادمة من عمق الرئة ترتفع به مع الألف التى تثنيه عند الشفاه الواو متراجعا حيث اللسان بالياء ثم إلى أسفل الرئة مرة أخرى فتتشابك الألفاظ لتنقل لنا الاحساس بالسقوط الكامل .

والسؤال الآن ما حقيقة نسبة الصخور إلى الوقت ؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نعرّف الوقت ونفرق بينه وبين الزمن فالشاعر استخدم لفظه « وقت » بمدلول واستخدم لفظه « زمن » بمدلول آخر

« فالوقت هو حادث متوهم على حدوثه على حادث متحقق وقوعه فيه فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول « آتيك رأس الشهر » فالاتيان حادث متوهم ورأس الشهر حادث متحقق »[٣] .

أما الزمن فهو ممتد غير مقيد بشىء أو هو كيان كامل

يقول محمد عفيفى مطر « فالزمن أول خصائصه السيولة والصيرورة المستمرة فاللحظة التى تنقطع تخرج من سياق الزمن »[٤]

الوقت خط ممتد فى القصيدة كلها فماذا يقصد الشاعر بالوقت ؟

الشاعر يكرر سؤاله عن الوقت بطرق مختلفة على طول الخط الدرامى للقصيدة فنسمعه يسأل ما الوقت الآن ؟ هل حقا يتسع الوقت ؟ هل حقا فات الوقت ؟

ثم يصرح لنا الشاعر بمعنى الوقت عندما يقول :

ولى . . . . لا وقت

ووجهك وعد يغفو فى زبد البحر

فالوقت هو الوعد (الحلم) . وعلى هذا يكون العنوان المعبر عن القصيدة والذى يحتوى القصيدة داخله هو أن الوعود تضيع وسط زحام الواقع أو أن الوعود تتحطم على صخرة الواقع وهذا فعلا ما سنراه فى القصيدة .

فالقصيدة تتنقل بين ثلاثة محاور

١ ــ الوعد (الحلم) ٢ ــ الواقع المزرى ؟ ٣ ــ محاولة الخلاص

وتذكرنا هذه المحاور الثلاثة بالمحاور الأساسية للكون فى الفلسفة الهيجلية وهى

١ ــ العدم ٢ ــ الوجود ٣ ــ الصيرورة[٥]

وتتصارع هذه المحاور الثلاثة بوصفهاكلا موحدا لتصنع عالما من الجزئيات البسيطة التى تعبر أفضل تعبير عن كوامن النفس المبدعة فكيف عبر الشاعر عن هذه المحاور الثلاثة .

تبدأ القصيدة قائلة

« لا . . لا شىء

ما الوقت الآن ؟

إحساس بالفراغ يملأ جو الشاعر فهو لا يشعر بوجود شىء حوله إنما يجلس وسط فراغ واستخدم الشاعر النفى والاستفهام كى يعبر عن هذه الحالة من الضياع .

ثم يصف الشاعر هذا الفراغ المطبق الذى يكبل كل حركاته وصفا دراميا يعتمد على التصوير الدقيق المثقل بالحركة والصراع مُضَفّرا صورة جميلة فى لغة كثيفة تنقل لنا احساسه بالغربة قائلا :

« كان الأفق ينام على خاصرة الأرض

فيوصد فى وجه طيور البحر شبابيك الترحال »

ففى هذه الصورة يستخدم الشاعر ثلاثة أفعال

(كان ــ ينام ــ يوصد)

أولها فعل ماض ناسخ خبره جملة فعلية (ينام) وليس اسما فالتعبير بالفعل المضارع ينام ، يوصد توحى بالصراع أو ينقل لنا احساسه بالصراع ــ القائم على حركة الأفعال المتجددة ــ بين الأفق الذى ينام على خاصرة الأرض بين طيور البحر التى ترجو الترحال .

ويحاول الشاعر من خلال تلك البنية اللغوية المتماسكة أن ينقل لنا الصراع بين الواقع والحلم (الوعد) .

وينطلق الشاعر يسأل

« أكان الصيف اذا انتصف الزمن الواعدفى جسدينا فاشتعلا

أم أن غيوم النوم انفلتت فى الطرقات » ؟

وهنا نرجع إلى ما ذكرناه عن الوقت والزمن فالشاعر على مدار القصيدة يستخدم الفعل مضارعا أو ماضيا ــ مع الوقت كما قلنا حادث « متوهم يتأرجح بين الحدوث والانتفاء ، أما الزمن فهو كل دائم ممتد ولذلك نرى الشاعر يستخدم معه اسم الفاعل مما يثير فى نفوسنا معنى من معانى الاستمرارية وذلك حين يقول « الزمن الواعد »

« أتذكر

حقا ؟

لكن قليلا من ثرثرة الليل تزيل عن القلب هموم اليوم »

يطرح الشاعر هذه القضية وكأنها قضية بدهية ولكنه بعد أن يطرحها على تلك الهيئة يحاول أن يجعلنا نشك فيها بسؤاله :

« هل يمكن حقا لقليل من ثرثرة الليل
أن يصلح ما أفسده اليوم
ويجيب الشاعر على هذا السؤال بصورة ممتدة تتصارع فيها كل أشكال الحياة حوله
« تنعقد الكلمات دخانا يتكاثف
يصّاعد حتى يصدمه السقف فيرتد
تصدمه الأرض فيرتد
يتصادم بالجدران
يتحرش بزجاج الشباك الموصد فينحل
يذوب
يتكثف قطرات تجرى فى المنحدرات إلى البالوعات »

فهذه صورة الصراع الفعلى القائم بين محاور القصيدة الثلاثة :

(الحلم (الوعد) ٢ ـ الواقع ٣ ـ محاولة الخلاص

وقد عبر الشاعر عن هذا الصراع بالأفعال المضارعة ومدلول حروفها الصوتى والتى يحاول بها الشاعر أن يحاكى حركة الصراع القائم فى نفسه بين الواقع والحلم .

ويتمثل صورة الواقع فى صورة للفعلين (تصدمه) فصوت الواقع يبدو قويا فى صورة الفاعل الذى الفعلين بينما يخبو صوت (الحلم)

بينما نحس فى الفعل « يتصادم » بالالتحام القوى والصراع بين الحلم والواقع فهو يدل على المشاركة والتفاعل

وإن كنت أفضل لو استخدم الشاعر بدلا من حرف الجر (الباء) واو المعية فهى أدل على الصراع (يتصادم والجدران) .

« واذا تأملنا الصاد المشددة (يصّاعد) وجدناها تدل على اختناق الحلم حال صعوده وبالتالى ثقل محاولة الصعود عليه والفعل أيضا بهذه الصيغة يدل على تكرار المحاولة رغم اختناقه .

ثم ينفرد الحلم بالتأثير فى الفعل « يتحرش »

فالشاعر فى حركة صراع دائم مع الواقع بكل ما يحمله هذا الواقع من حزن .

وبعد أن ينهار الحلم أمام سطوة الواقع كان لابد أن :

« تنحدر صخور الوقت إلى الهاوية »

وأن يرجع الشاعر إلى صورته الأولى عندما كان الأفق ينام على خاصرة الأرض « فيوصد فى وجه طيور البحر شبابيك الترحال » ، فيقول فى نبرة هادئة مليئة بالحسرة نستشعرها من الفعل « كان » « كان الأفق ينام » « ثلاث كلمات نستدعى بها الصورة الأولى فى مقدمة القصيدة أو بمعنى أدق نستدعى بها إحساسنا الأول بالغربة . محاولين الدخول وسط الجدل بين الواقع والحلم والذى بدأ فى البروز إلى حيز الوجود الانفعالى .

« كان الأفق ينام
فتصحو الأشياء الليلية والثيران
وطنين الأرض يدوم فى الساحات المهجورة »

ومن هنا تبدأ القصيدة فى عرض فروضها الجدلية القائمة بين الواقع والحلم حيث سطوة الواقع خلال الصور المؤلمة التى تملأ القصيدة والتى تمتد من تلك النقطة إلى نهاية القصيدة ، يعتمد فيها الشاعر على الكلمات الموحية بمقاطعها الصوتية المحاكية للاعتقاد الانفعالى الموجود بالقوة فى نفس الشاعر ، وتبرز صورة الحلم فى طرح الأسئلة ، فالواقع فرض نفسه على القصيدة كلها بكل ما يحمله من ألم ، أما الحلم أو الوعد فقد اختبأ خلف الأسئلة :

« كان الصيف جميلا حين ركضنا للبحر
العسس المتشرون بلا ظل
ورقاد الضوء الثلجى يلون خط الجسد
البحر ، الثيران الوحشية فى رقدتها تتململ
والأفق على خاصرة الأرض ينام »

فهذه هى صورة الواقع ، وكما نلاحظ تمتدّ كل التركيبات اللفظية على مدار الخط الدرامى للقصيدة فتنقل للإحساس بالكراهية تجاه الواقع القاسى تتكرر فى القصيدة كلها وتنتشر فيها مثل هذه التركيبات (ثيران وحشية ، طنين الأرض ، العسس المتشرون) وبين حدة الواقع الممزق المؤلم يختفى الحلم بين الأسئلة .

« قل لى
هل ألقاها ثانية ؟
أم يوغل هذا الليل بلا شطآن
هل تدرى ؟
. . . . . .
هل حقا يتسع الوقت ؟ »

وتظل القصيدة تسير على نفس هذا النمط ، حدة من الواقع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تخفى خلفها أسئلة الحلم « الوعد » . صوت الواقع الحاد يتكرر فى كل مقطوعات القصيدة لينقل لنا إحساسا واحدا بغطرسة الواقع دون جديد يضيفه الشاعر فالصور نفس الصور وتتكرر بنفس الألفاظ ويرجع ذلك على ما أعتقد إلى استحسان الشاعر لصوره وألفاظه المعبرة عن حدة الواقع « فاللفظة الجديدة التى تنال رضا الشعر لأسباب قد تخفى على الشاعر ذاته لأنه يشعر بصلاحيتها تدخل تغييرا شاملا على ضآلته ودقته ، وهكذا قد يبلغ الشاعر غايته بعد أن يكون قد حاد مرات كثيرة جدا عن الطريق الأصلى الذى بداله مرسوما أول الأمر فى أثناء كتابته القصيدة يتحول انتباهه بالتدريج وبدرجة متزايدة عن التجربة الدافعة الأولى الى التجربة المختلفة التى يخلقها عن طريق الألفاظ ، وذلك لأن هذه التجربة الثانية تأخذ بدايتها فى التبلور بنهايتها ، وأثناء ذلك تتضح مطالبها وتزداد الحاحا مثلما نجد أن آخر لمسات فرشاة المصور لا يميلها المنظر الطبيعى كما رآه لأول مرة وأحس به . بل تميلها الإحساسات التى أخذ يبعثها فى نفسه ما على القماش من ألوان وأشكال »[٦]

حتى يأتى « الزمن الفاصل » فيغير من صورة الواقع ويغير أيضا من صورة الحلم وينمو المحور الثالث ألا وهو محاولة الخلاص .

« والأشياء الليلية قوس مشدود يتراخى
يتراخى ، تنفلتين وتلتفين وتنحدرين
وفى الزمن الفاصل تنفجرين
الثيران . . . الثيران . . . . الثيران الليلية والوقت موات »

ويجب أن نلاحظ استخدام اسم الفاعل مع الزمن « الزمن الفاصل »
تنفجر الصرخة لكن (الوعد) موات .
وهذا ما عبر عنه الشاعر بعد ذلك عندما قال :

« وجهك وعد يغفو فى زبد البحر »

فقد صرخ الشاعر بحقيقة الوقت فى هذا السطر الشعرى ولكن (الوعد) يغفو بالفعل المضارع فى زبد البحر حين كان « يتكثف قطرات تجرى فى المنحدرات إلى البالوعات » ولكن وجه الحلم يتغير :

« يتسع الوقت
وقت للميلاد
ووقت الموت
وما عادت حوريات البحر يغنين
ولى . . . . . لا وقت »

ويصبح له وجود فعلى وإن كان موجودا متواضعا بالنسبة لوجود الواقع

ولكننا نسمع بعد ذلك صوت الحلم إيجابيا

« والصرخات ذراع ممدود يخمش وجه الأفق الموصود »

بعد أن كان سلبيا فى بداية القصيدة :

« يتحرشُ بزجاج الشباك الموصد فينحل . . يذوب »

ويظل الحوار الجدلى قائما بين الحلم(الوعد) والواقع فى محاولة للخلاص والشاعر يكرر صوره ويكرر كلماته .

حتى يعود صوت الحلم مختفيا مرة أخرى بين الأسئلة وسط غطرسة الواقع القاهر :

« الليل ثقيل كالجثة والظلمة كالأبد الراسخ
لا همسة أو همهمة غير رغيف البوم . . . ودبيب الابراص »

ال « لا » (صور الوعد) تخبو فى دخان الزمن الضائع »

ثم يعادو الخط الدرامى للقصيدة قوته مرة أخرى مع ملاحظة أن صوت الواقع هادر بكل قوته ولما ينزل الحلم مكبلا :

« وما عادت حوريات البحر يغنين
بل غيلان تتراقص فى ظل القمر المظلم »

حتى أننا نلحظ صورة الوعد (الحلم) ممزوجا بالذات فى صراحة وتعيدها بها :

« تهادى أيتها الآلام تهادى
حتى « أنهى » أغنيتى
فالحوريات ذهبن بلا ميعاد »

ومازال الواقع يهدر والحلم يتساءل :

« هل ضاع الوقت سدى ؟

ليعود الشاعر الى بدايته :

فلعل قليلا من ثرثرة الليل
يذوب
يتكثف قطرات تجرى فى المنحدرات إلى البالوعات »

ولكن صوت « الحلم » الوعد يطرق الباب آملا متمثلا أجراس الليل التى تذوب ولكن لمن (فالوقت موات)
ويحاكى الشاعر صورة الأجراس حتى نستشعرها داخلنا ،

« أجراس الليل
تدق ، تدق
دق
دق

دق
دق
فمن
من يطرق منتصف الوقت الراكد . . . من ؟
أسمع خرخشة خلف الباب فمن
هلا قمت لتبصر من يطرق منتصف الوقت ؟

ولكننا نلاحظ أن الشاعر ــ ولأول مرة ــ يستخدم اسم الفاعل الراكد مع (الوقت) فلم ؟ بعد هذا الحوار الطويل الذى دار بين الواقع والحلم فى محاولة للخلاص وبعد علو صوت الحلم فى نهاية التجربة متمثلا فى المحاكاة الصوتية بين زنين الأجراس النفسية ولفظة (دق) ، بعد كل هذا لم يعد الوقت حادثا متوهما بل أصبح زمنا فأخذ حكم الزمن وهو الكيان الكامل الدائم فاستخدم معه الشاعر اسم الفاعل

وتنتهى القصيدة بصورة الوعد (الحلم) وقد أصبح كيانا كاملا .

والقصيدة كلها ــ كما نرى ــ تضمها صورة مرسومة بمهارة خلال كم من الحروف المنطوقة تتكاثف وتتكثف لتصنع عالما موسيقيا موجودا بالفعل ينقلنا إلى عالم موجود بالقوة داخل نفوسنا بعد أن كان موجودا بالقوة داخل نفس الشاعر وإن كان الشاعر قد خرج عن هذا التكثيف أحيانا خاصة فى منتصف القصيدة وأخذ يكرر صوره وكلماته وقد أشرنا إلى هذا فى موضعه .

وأخيراً فان الشاعر « رفعت سلام » استطاع أن يبرز صورة النضال والصراع بين الوعد (الحلم) والواقع وكما يقول الشاعر اليونانى « يانيس ريتسوس » « إن الفنان يناضل طوال حياته ضد الظلم والاستغلال وضد كل أشكال الموت الاجتماعى وحتى اذا كان هذا النضال يبدو للوهلة الأولى وكأنه نضال خاص ومنعزل فإنه فى الواقع نضال عام وجماهيرى ، إذا أن هذا النضال يستجيب لشىء مهم جدا عند الفنان وهو الحاجة للتعبير عن مكنونات ذاته ، الحاجة للاعتراف بالحرية (الحرية التى تزيل الأطر الضيقة لا غتراب الشخصية الإنسانية وإن كانت توجد قيمة ما فى عملنا نحن الشعراء فانها تكمن فى أننا قد تجاسرنا بالتغلغل فى أعمق أعماق الألم الإنسانى واستطعنا أن نخرج الأمل من كل الآلام الانسانية .

وأن نساند الضياء وسط الظلام »[٦]

الاسكندرية : أحمد سعد أحمد حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

١ ــ روستربفور هاملتون « الشعر والتأمل » صـ ١٦٢ ترجمة محمد مصطفى بدوى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٢ ــ أنظر مجلة « أقلام » العراقية فى حوار أجرته مع الشاعر محمد ابراهيم أبو سنة ص ٩١ العدد الأول للسنة الثانية والعشرين ١٩٨٧ م

٣ ــ الرسالة القشيرية للامام أبى القاسم بن هوازن القشيرى تحقيق شيخ الاسلام « زكريا الأنصارى » صـ ٥٢ مطبوعات « محمد على صبيح » بميدان الأزهر

٥ ــ أنظر « فلسفة هيجل » ولترسيقى ترجمةوالامام عبد الفتاح مطبوعات دار الثقافة

٤ ــ الكاتب العربى مجلة ندوة عن الحداثة اشترك فيها محمد عفيفى مطر خالد على مصطفى ، خاتم الصكر . ص ٩٧ العدد السادس عشر للسنة الرابعة .

٦ ــ روستر يفور هاملتون « الشعر والتأمل » صـ ١٦٦

٧ ــ انظر مجلة (أقلام) العراقية « ترجمةالحوار أجرته مجلة « الأدب الأجنبى السوفيتية مع الشاعر (العدد السادس) للسنة الثانية والعشرين سنة ١٩٨٧ ص ١٥٧ .

قصة

حكاية تودد الجارية

كنا فى القرن الثالث للهجرة ، وكانت مازالت منيرة مضيئة غضة ، على الرغم مما كنت فيه من فجر .

كانت الدنيا قد أعطت أقطارها ، وطرقات روما قد استحالت طرقات لنا . وكنا قد بدأنا نتعلم التاريخ ، ونعرف أن هناك إنسانية نحن الذين نصنعها .

بغدادى الثرية الصاخبة لا يملكها أحد غيرى ، لأننى كنت حرا باقيا وحيدا على كل محور .

كان أبى قد مات عن ثروة ، وكنت أعمل كل جهدى أن أتحرك فيها . لم أكن أبذر ولم أكن أسرف ، ولكننى أصرف ما تستحقه اللحظة . ولم يكن هذا ـ فيما تعلمت من قيمة ـ خطأ أو خطيئة .

كانت مدينتى قد اصبحت « بوليس » ، بل على وجه أصح « متروبوليس » . وكنت قد تعلمت هذه الكلمة من أصحابى ، « قسطا ولوقا » وبنت إسمها ماريا فى دير فى حدائق بغداد الشمالية . ولم أكن أعرف أننى أدخل فى حرب سوف يكون لها تاريخ .

كنت أستسلم كأى مسلم لأضواء اللحظة . ولكننى لا أتحدث عن التاريخ ، بل أتحدث عن نفسى وعن طريقى إلى قرن جديد كله انانية وتفرد .

كنت قد عرفت الخمر بألوانها جميعا . حمراء كالياقوت وبيضاء كاللبن وصفراء كالكهرمان . وعرفت مواعيدها وأسماءها ، وأنواع ما يمزج بها من ماء ومشمومات . وكانت حياتى مع النقل والفاكهة ، ونسيرات اللحم المنتقى من الذبيح المختار أو الصيد الفريد ، ومن العجائن والملذّنات قد أصبحت كلها دارجة مطروقة ، متداولة فى معجمى الفردى ، يتباحثها العلماء ويضحك بها الأصدقاء .

كانت طرقات اللغة مفتوحة ، تتدفق فيها مياه العربية . وكان كل أجنبى فى الفكر والكلمة كرات زجاجية ملونة نحركها بأيدينا وأقدامنا والكل لنا ، وأى سر غير معطى هين مرفوض . قد يكون شيقا . . . ولكنه لا يعدو هذه الحدود .

فحدود هارون الرشيد ممتدة متعمقة وأعلامه المنتصرة تُخضِع الأسرار . هداياه فى بغداد عطايا تصنع الحكايا والغيرات . وكلمات بريده خلف الثغور تحكيها الألسنة الأعجمية وترددها من جديد فى أوراقها العربية ، لتكون حديثا متجددا مكرورا فى لياليا الخمرية .

كنت ألعب النرد والشطرنج ، وأصوات جوارىّ لاتعد . ولكل صوت أنواع من الوجد ، وألوان من الشبّق . العود معروف الأقسام ، وعلى كل قسم أصوات ، وألحان الجوارى العجماوات تستوعبها ـ فى سخرية ـ أحكام موسيقانا .

فما أروع أن تكون الأعلى ، وأن تكون الحجة والمرجع .

٢

لم يكن فى الخمر والصوت والهدايا شىء لم ارثه عن ابى . . .

ولكنه كان يعرف التوسط . . . وعلى الرغم من أن « خير الأمور الوسط » ، قد اكتست أبعادا إغريقية ، وأنى كنت اقتبس اسطو طاليس فإننى على عكس ابى كنت مسرف التطرف .

كانت فرديتى لاتشبع . وكان الجوع الفريد الذي لا يُعرف له سبب قد ضرب أعماق روحى ، ومد فيها جذوراً عميقة .

كنت قد جئت لأبى على إناث كثيرات ، وكانت لواعج شوقه للذكر قد هدت كيانه فى شيخوخته ، فلما جئت ، تجسدت فىّ كل الأشواق ، وربان كأنى حسناء مدللة . كان الذى يقدم لى ، هو خير ما فى الدنيا حتى الغزل . وفى ختمتى الأولى للقرآن أقام حفلا . وغنت جوارية لى .

بدا رفيع العذار للحدّق
والورد بعد الربيع كيف بقى
أما ترى النبْت فوق عارضه
بنفسجا طالعا من الورق

ولقد نشأت لا أعرف غير الأشعار العربية ، بالوزن وبالقافية ، بالرقص الهادىء المنتظم والخطو الممسوك إلى أوتاد ، وألوان التعبير فى موج الأطوال .

وعرفت أن الشعر يلتف ويدور ، ليترك الحقيقة المَحْبية ، فى داخل النفس ، بلا نغم كالحجر . ويظل الشاعر مهما أطال لم يَعبُر ولم يُعبِّر ، ولكنه قد نَظَم . والنظم فى الخارج للخارج . وفى الداخل موج بلا طول ولا حد ، وحقائق لا تُكسر ولا توزن .

فلم أكن أعرف مثلا ـ على كثرة ما قال فيها من شعر ـ هل نام أبى مع تودد أم أنه رباها فقط وأحب منها سنوات النضج والكمال .

كانت قد نشأت معى كالأخت . فلم أكن اهتم إلا بخدمتها لى . وكانت قد اتخذت مع أبى باب الدرس ، وانصرفت بكل جوارحها إليه .

لم تكن تلعب معى إلا أمرا . ولم تكن تتزين إلا تنفيذا للتعليمات . وعرفت ـ دون اهتمام أو اشتراك ـ مشايخ البلد وفقهاءها ، وعلماء وكتابا ونساخا ، يملأون لها أوراقا ويصنعون لها الكتب . ولكنى كنت أعرف أننى ـ عندما أريد ـ آتى قبل كل شىء . وأننى أستطيع ـ إذا أردت ـ أن أوقف حفظها ، وأن اجعلها فقط تنظر إلى ، أو تمشط لى شعرى ، أو تسوى لى ملابسى ومظهرى لأخرج . وكنت أخرج لأعود فأراها آخر الليل وأول الفجر ، مازالت على شموعها وقناديلها تقرأ ، وتترقص فى غير ما صُحبة ، على أنغام تخترعها فى وحدة ، وتغنى عليها فى صوت مخفوض مهموس . فإذا هززتها ـ بما فى من خمر أو شقاوة ـ ربتت علىّ ، وهدّأت نزواتى بالأخوة ، وصحبتنى لأنام دون كلام وتذهب فى الردهات إلى حيث أبى ، لتوقظه لصلاة الفجر .

كان كل شىء معادا مكروراً ، كالوزن فى الشعر ، فظللت مسّورا مسيّجا لا أعرف من الحقيقة شيئا . .

والقصة بعد ذلك معروفة ، مسجلة ومسطورة . عندما تبددت ثروة أبى ، كالسحابات فى الصيف ، ظهر فى داخلى الذوق ، كأنه كل ما أملك .

فأنا لا أعرف حرفة أو صنعة ، وليس لى فى أى علم بروز . ومن لا يعرف الذوق لا يعرف أنه أبهظ الأحمال فى النفس . لا يشبع ولا يقنع . وليس له من حدود إلا الكمال . وعندما يعتل روحك هذا المنزع ، يجفوك كل اقتناع ، وتتجمد روحك أمام أى نقص ، ولا تعرف من الكمال أى تحقق . . .

ألعن ما تُضرب به الروح الذوق ، واثقل ما تحمله النفس ما أثقلت به روحى ، ويدى تقصر وروحى وعينى ولمسى وأذنى وكل حواس بدنى كما هى مشبوبة على عهدٍ مضى .

ولكننى ـ وتلك قصتى ـ بدأت أرى وأعرف نوعا آخر من الكمال . ومن يعرف القصة يعرف ما فعلت تودد .

قالت للخليفة : « إننى ليس مثل جُوار ، وما يريد سيدى أقل الأقل فيما أستحق . فإن أردتنى وأردت أن العب فأنا الكفيلة لك بأيام كالخلود . يمر فيها العلم كله وكل ما تعرف الدنيا من ذوق »

وحضر الخليفة مثل كل عروض تودد . يأتى العالم والنحرير ويذهب عاريا قد جردته من ملابسه . وأنا فى الغرفة ـ بكل ما لى من ذوق ـ أتقاعس وأدق ، ولا أعرف أين أذهب ، أو ماذا أريد .

وخرجنا بالقصة الهارونية الفريدة : أكبر ما تُشترى به جارية من مال ، ونفس الجارية كما هى ، لم يمسسها أحد .

كل هذا من لعبة لا حدود لها غير الكمال .

وانتهى الأمر وانقشعت سحاباتى ، وعدنا معا للبيت .

وليس بعد هذا الا شىء لا يقص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صارت تودد ، وارتفعت ، وأصبحت ، شيئاً كالأيقونات فى الأديرة .

لم أكن أرى فقط ، ولكننى كنت أُملأ بجمال وكمال لا أفهمه . وكانت ـ فيما يبدو ـ تتصور أننى أفهم ، ولكننى لم أكن أفهم على الإطلاق . وعندما نظرت فى نفسى مليا وجدت أن كل حب هو إدراك لكمال لا حدود له .

فماذا علىّ أن أفعل ، وماذا علىّ أن ألمس . كان انتصارها أمام الخليفة قد جعلها أعلى من أى امتلاك . وكان الذى حققته غير مفهوم أو مدرَك فى حدود الحاضر واللحظة .

لو أننى سألتها ، لما استطعت صياغة السؤال . هل هى حقا امرأة ، وهل هى حقا لى ؟ ماذا كان بينها وبين أبى ؟ وماذا بينها وبين كل إرادة فى الدنيا ؟ ولكننى وجدتها تنظر إلىّ وعرفت أنها تنتظر . ولا يمكن أن يكون لدىّ القدرة على أن أفعل أمام كل ما حققتْ .

وهكذا سكتُّ وتركتُها تذهب فى الردهات إلى حيث ترتب لنفسها غرفات ولحظات للنوم واليقظة ـ لم أكن أحس إلا أنها مستقلة ، ولم أكن أستطيع إلا أن أتركها لإرادتها . ولست أدرى أين الخطأ وأين الصواب ولكننى كنت أدرى أننى أعجز عن أن أتقدم ، أو أن أعيد صياغة ما تمت صياغته . وهكذا يفشل الحب أو لا ينشأ . كنت إلى هذا الحد واعيا ، وكنت إلى هذا الحد عاجزا .

أيقونة صارت ، ملفلفة فى الإعجاز ، معجونة بصمت الكمال ، مسلسلة فى التحقق الذى لا يُنال .

وعندما دخلتُ غرفتها ، وكشفتُ عورتها ، بهرنى النور والصمت وأعجزنى الحق عن أن أمد يدى واستبحت نفسى ورغباتى فلم أجد طريقا إليها . واندفعت كى أرى فلم أر غير النور .

ولا يعرف الرجل كيف يقارب امرأة فى النور . وكانت كلها ظلمة وكلها ظلال . وكنت أريد أن أصل إليها فى النور . وفى أول مرة ، عند فراشها ، أحسست ، مرة أخرى ، أننى فقدت ثروة ابى ، وان لا أمل لى فى شىء .

ووقفت وحدى فى الغرفة ، ارقب البدن العارى المغطى والرح المغطاة العارية وسكت فىّ البدن والروح لأسدل الستر واقبل الحجاب .

واختفت تودد للابد فى البيت دون أن اعرف لها غرفا أو ردهات .

القاهرة : بدر الديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

مستجاب الخامس

● خمسة مآلهم الجنة :
مستجاب الأول لأن جهنم لم تكن اكتشفت بعد ، وأم آل مستجاب لأنها أم آل مستجاب ، وجبّار بيته فى الأرض مرحاً قال « لا » لامرأتين متتاليتين ثم قال « نعم » لأول رجل يقابله ، وبليغ قرقعت الحروف فى حنجرته حتى وقع بين شطرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة قديمة ، ومستجاب الخامس الذى فاته اعتلاء أريكة آل مستجاب مرتين : الأولى فور هلاك الرابع الذى داهمه شيطان فى محل الأدب ، فبحثوا عن الخامس فى الدروب وظلال الجميز والفيّافى ، حتى أدركوه بين قوم وهبوا أنفسهم لله ، وعندما استعاد نفسه كان السادس قد وطد أمره وجعل من السابع خدينا لمجلسه ووليا لعهده ، والمرة الثانية هى هذه التى كتب علينا أن نفصح عنها ندراً ما يكون قد علق بها من أدران وسوء نوايا وأغاليط .

●

كان الخامس قويا كنملة ، ضعيفا كبقرة ، إذا شرب عب وإذا وقف شب وإذا غضب صب ، أخذ عن أخواله وسامة ونزقا ، وعن جده مستجاب الأول عناداً فى الحق وكراهة للبيت وصبرا على الأصدقاء وولعاً باللحوم ، وفيما يروى فإنه كان لا يقرب لحم خروف دون أن يكون فى متناول يده خروف آخر خشية النضوب دون الامتلاء ، كما كان مغرماً بالطحينة يقضى وقتا مستمتعاً فى إعدادها ، ويروى المقربون طرائف عن فورة انتشاء تترك على الذقن الكث والزعبوط الرصين طرطشة بيضاء ، لكنه فى أوقات استرخائه يظل مستلقيا يمزج بعيونه القمر فى مخلوط النجوم ، وقد أدى به ذلك أن أصبح أشهر من أعد ألغاز امتحان من تأتيه فرصة امتلاك ناصية الأمور ، والأمر ببساطة أن القواعد تقضى على من يقترب من الأريكة أن يحل لغزاً يثبت به أن عقله هو أصفى العقول ، وأن جنانه هو أثبت

الجنان ، وأن فؤاده هو أعمر الأفئدة ، ومستجاب الخامس هو الذى وضع لغز ذلك الكائن الذى يسير على أربع فى الصباح وعلى اثنين فى الظهيرة وعلى ثلاث فى آخر النهار ، هذا اللغز الذى حله مستجاب الأعرج ليصبح مستجاب الثالث ، كما وضع لغز ذلك المخلوق الذى يمكنه أن يعدّى البحر دون أن يبتل ليصبح مستجاب الحابل مستجاب الرابع ، والشىء الذى كالفيل ويمكننا صَرّه فى منديل لصالح مستجاب الثانى ، والباب الذى يأتى منه الريح فإذا أغلقته فلن تستريح لحساب الثامن ، وهذا الذى يقف إن وقفت ويمشى إن مشيت ، فلما فشل مستجاب العاشر فى معرفة أنه (الظل) كادت أريكة آل مستجاب أن تختل ، لولا فتوى طيبة سمحت له بإعادة الاختبار بلغز جديد تم إعداده بدقة ليصبح : يمشى إن مشيت ويقف إن وقفت ، فكادت الجماهير تغشى من هول ما فرزته قريحة الخامس ، والذى ألغى من ذاكرته أنه صاحب حق فى أريكة قومه ، إذا استعذب أن يوكل إليه وضع المعضلات والعراقيل التى ــ بدونها ــ لن يصبح أحدهم ذا شأن ، وقد أعد لذلك قدرا معقولا من ألغاز حول بعض الطيور والضفادع والعناكب ، وكثيرا ما أتاح للأرائك المجاورة لآل مستجاب استخدام ألغازه ، فأصاب فى المنطقة حبا وشهرة ومجداً واحتراماً ، وأصبح ذا كلمة مسموعة وأمرا مطاعاً وحضورا مشعا ، يخدمه فى ذلك علم ومعرفة ودراية وسمو ، ثم تواضع مهذب ولسان عف ، ما رويت حادثة إلا ناقشها وقام بتأصيلها وإلغاء الأوشاب التى تكون قد لحقت بها ، وما رويت قصيدة إلا وأسرع بردها إلى مصادرها وأورد مشابهاتها ، وما صدرت من أحد حكمة إلا واقتنصها ، ووضعها فى موقعها الصحيح المرتبط بمركز بدايتها ، ولذا فقد حرص فنانو القول ــ من المداحين والشعراء والرواة وندابات الجنائز ــ على الارتكان إليه فيما يطرأ على نصوصهم من اضطراب أو تآكل أوشك أو تطويع غير مقنع ، وكانت زوجته الرابعة تفخر بأنها وهبت نفسها لأغلى ما جادت به الطبيعة : الذاكرة والذكورة ، وهو أمر لا نحب أن نتوسع فى التعرض له حتى لا تلتوى القصة منا ، ولا سيما وأننا نعرف عنه ثاقب النظر وسرعة الرؤية وصفاء الروْيا ، إذ كان يمكنه أن يتعرف على النساء العابرات من الإمعان السريع فى كعوب أقدامهن ، وكان ذلك يتم فى أضيق الحدود حتى لا تتكرر حادثته مع زوج مجهول خلع عنه أرديته وأعاده إلى قومه عاريا ، وهى حكاية مبالغ فيها ولا نحب التوقف عندها كثيرا ، فقد استمر الخامس هو خير أهله جميعا ، وإن كان قد شكا ــ بعد ذلك ــ من ضعف ألم ببصره فقد ظل قلبه حديدا ، ومن تنميل أصاب ركبته اليسرى ، دام عقله ناصعاً ، ومن ورم فتك بإحدى الخصيتين (بسبب امتطاء متعجل لحمارة تعدو) ازدادت مشيته خيلاء ، ومن كسر فى الفقرة الرابعة من عموده بدا أكثر تواضعاً ، ومن تساقط فى أسنان فكه العلوى فقد أصبحت سليقته أسرع اندفاعاً ، وإلى غير ذلك من تجارب ليست ذات بال إزاء أخطر كارثتين تعرض لهما طوال حياته ، الأولى : حينما هربت زوجته الثالثة مع عشيق زوجته الثانية ، والثانية : حينما انجذب ابنه السابع ــ والأثير ــ إلى الشعر الحديث متخليا عن العمودى ذى الشطرتين ، وقد واجه الخامس مثل هذه المصائب القدرية كما واجه كارثة تفويت حقه فى أريكة آل مستجاب من قبل : إيمان راسخ وثقة بالخالق وتشبث بأهداب الفضيلة ، فما ارتعش أو اضطرب أو ناح أو لعن أو كابر فى غير الحق ، وما تأخر عن صلاة أو تخلف عن أماكن يرومها ، وما خرج عن وعيه فى مجالس احتساء البوظة أو مواقع توزيع الصدقة أو مكامن استلاب اللذة ، وعندما تجتاحه النشوة يتألق بإنشاد القصائد وإزجاء الألغاز وتلاوة عيون النثر ، كان يتسع ويمتد حتى يصبح آل مستجاب كلهم نقطة صغيرة فى وجدانه الواسع ، ويستطيل ويشمخ حتى تمسى نخيل المنطقة نجيلا تحت قدميه ، ويرق ويصفو حتى تكاد ترى أغنام وكلاب ونساء ودروب الوادى وراء جسده الشفاف ، ويدق بكعبه الأرض حتى ترتج مطلقة الشياطين من سراديبها ، هو الإجابة الصحيحة على كل الأسئلة ، وهو سرعة البديهة على الاعتراض أو المشاكسة أو الاستخفاف ، وهو النوم الثقيل تحت الشجر أو وراء الأكمات أو فى مرابط البهائم أو فى ظل المعابد أو تحت الأزيار أو على حافة الآبار ، قيل له : مستجاب التاسع يحوز قنطارين من خالص الذهب ، فانحنى الخامس على الأرض وتناول زنبقة وتنسم أريجها فذهبت مثلا ، وقيل له : الثالث بنى هرماً يقى جثمانه عبث الزمان ، فانتفض زاعقاً وشرخ صدره وأخرج قلبه وصرخ : وهذا هرمى ، فذهبت مثلا ، وقيل له : العاشر يبحث عن الحكمة بين الناس ، فقال : الحكمة فى ملاءة السرير ، فضحك القوم وانصرفوا ساخرين ، لكنهم فوجئوا بمستجاب العاشر وقد قضى نحبه فى ملاءة نومه المكللة بجحافل الدود وما كادت هذه الواقعة تذهب مثلا حتى ارتج الأمر على القوم ، فإن أحداً من آل مستجاب ذا شأن لم يكن قريبا من أريكتهم ، عيال وأرامل ومرضى ومعتوهون وموصومون ورجال جاءوا من فروج غير مستجابية ، فما من مستجاب خالصى امتطى الأريكة إلا وقد استخدم حق القصاص فى المناوئين والأعداء وذوى الدم الثقيل ، وخلال الأحقاب الماضية كان أى مستجاب يقتص من القريب كى يعتبر ويتعظ البعيد ، ويضرب المربوط ضربا مبرحاً كى يخاف السايب ، فنزح من يستطيع النزوح واعتل من يمكنه أن يكون عليلا واستبله من وجد طريقا للبله ، وأصبح الأكثر أمانا من

تلوث مستجابيته الأدران : فى الأصول أو السلوك أو القول ، فليس من المعقول أن يتولى أمر أنصع الناس طماع أو كذاب أو محكوم عليه بنفقة أو ابن غجرية أو فاسق أو غير ملتزم بمراعاة النصوص ، وليس من الزهو والفخر أن يكون مستجابهم الجديد قزماً أو عبداً أو مضطرب اللسان أو أجيراً أو غير مدرك لعلم الكلام ، وبات من العبث ــ ومن الخزى أيضا ــ أن يبعثوا من يسترد الصالح من المستجابين الخُلَّص النازحين فى أماكن بعيدة ، فانكفأ القوم على نفوسهم فترة يفكرون ويتفكرون خشية أن تظل أريكتهم بلا مستجاب فتصبح نهباً لذوى البأس والمطمع ، وأفاقوا ــ فى أول صباح ــ من انكفائهم على طاقة من النور .

الخامس هو الأصلح والأحق والأنسب ليصبح مستجاب الحادى عشر .

أول ما واجه القوم أن الخامس متمسك بالخامس دون أن يطلق عليه الحادى عشر ، فحاولوا إثناءه عن مطلبه الذى يعنى إقرارا من القوم أنه صاحب حق فى الأريكة منذ عصر مستجاب الرابع ، فلما عاند أذعنوا تحت فتوى عاجلة تقول إن الاسم لم يعد يعنى الترتيب بقدر ما هو لقب شخصى ، ثم كان ثانى ما واجهه : من ذا الذى يضع اللغز لصانع الألغاز دون أن يشوب الأمر نقد وكلام ؟ ، وقد انتهت المعضلة بتفويض أحدهم أن يستحضر لغزا من صفحات الجرائد والمجلات ذات السمعة الطيبة ، مع مراعاة ــ وهذا كلام بينهم لا يخرج للآخرين ــ أن مستجاب الخامس غير مسموح له بالخطأ فى حل اللغز ، فلم يعد الأمر يخصه وحده ، بل يخص قوماً تشخص أبصارهم انتظارا لما تأتى به المقادير .

كان اللغز الذى استقر عليه رأى القوم أن يعدوا ذئبا وعنزة وربطة حشيش ، وعلى صاحب الحق فى الأريكة أن ينقل العناصر الثلاثة فى قارب من غرب النهر إلى شرقه ، على ألا يصطحب معه سوى عنصرين على الأكثر ، وما كاد المسئولون يعلنون عن نص اللغز وعن موقع امتحان مستجاب الخامس حتى هاص الناس وأسفروا عن قرائحهم ، وصنعوا مجموعات هامسة تحاول فك اللغز دون أن تترك العنزة مع ربطة الحشيش ــ أو تسيب الذئب مع العنزة ، وأيا كان كلامهم وما وصلوا اليه من حلول ، فإن الطريق بينهم وبين الممتحن قطع ، ومنع عن الرجل أن يتصل أو يتكلم أو يثرثر مع أحد ، اتقاء للشبهة ودرءاً للقيل والقال .

فى الصباح كانت ضفتا النهر ــ شرقا وغربا ــ تغص بالقوم ، وخصص موقع ظليل لضيوف هم شاهدون على صحة الاختبار ، وأقاموا ظلة أخرى لمحيي مستجاب الخامس جاءوا مجاملة وتشجيعاً من وراء الجبال ومن بين غيوم السماء ، وأعدوا موقعاً على النهر حالوا بين القوم والاقتراب منه ، وجاءت اللجنة المختارة بالعنزة ، ثم بعد وقت قليل بالذئب وأبقوه بعيدا عن العنزة ، ثم أتوا بربطة برسيم جيدة الخضرة ، وسمحوا لجماعة منتقاة ومختارة من بين ذوى الحصافة والرأى ، ليعاينوا عناصر اللغز ، وليتأكدوا أن العنزة ذات شهية ، وأن البرسيم غير ملوث بمواد منفرة ، وأن الذئب ذئب وليس كلبا أو شاخصا أو حيوانا أليفا ، وبعدها أتوا بالقارب ليرسو قريبا ، وبعد فترة صمت : هلّ مستجاب ، بوجهه الأبيض وملابسه الناصعة وجسده الممشوق ، فارتجت الضفتان وانطلقت الأعيرة النارية ابتهاجاً ، وفخراً ، وجاء أكبر أعضاء اللجنة سناً فمسح على رأس مستجاب الذى امتثل ، ودعا له بالفلاح والصواب وحسن التصرف ، ثم قرأ نص اللغز بصوت جهورى ، وما كاد يخرج من البقعة حتى نظر الخامس مليًا فى عناصر اللغز ، وابتسم ، فصفقت الجماهير امتنانا .

لف مستجاب الخامس حول نفسه مرتين ، ثم نظر إلى القوم ، واقترب وئيدا إلى العنزة ففك وثاقها وسحبها إلى القارب ، حينئذ وضح للجماهير صواب مدخل الرجل لمواجهة اللغز ، وقفزت العنزة الى القارب وخلفها رجلنا ، وبدأ يحرك المجدافين ومعه العنزة تاركا الذئب مع الحشيش ، فازدادت الجموع صياحاً وإعجاباً ، وظل يجدف حتى وصل إلى الشط الشرقى حيث ربط العنزة وعاد بقاربه وسط مظاهر الحفاوة ، حينئذ اصطحب معه ربطة الحشيش فكاد يغم على القوم ، إذ كيف ينقل البرسيم إلى حيث العنزة ، لكنهم تداركوا مدى عمق تفكيره حينما ترك الحشيش على الشاطىء الشرقى وعاد بالعنزة فى قاربه ، ولعل الأمر الآن أصبح منطقيا بعد خلوه من الملابسات ، فقد أعاد الرجل العنزة إلى الشط الأول ، وبعد أن ربطها ، فك وثاق الذئب ، وضغط عليه ليقفز إلى القارب ، فانفلتت من حناجر الجماهير أمواج صاكة من الاعجاب بددت الغيوم وأقلقت السموات السبع . . .

كان اللغز يتفكك وينحلّ ، العنزة فى الشط الغربى ، والحشيش فى الشط الشرقى ، والجماهير على الشطين تزيد وتهتاج وتصرخ فى انفعال شريف جارف ، والمراقبون يحمدون للخامس رجاحة عقله وإلمام وجدانه ، ومستجاب الخامس فى القارب وسط النهر مع الذئب .

كانت المرة الأولى التى يواجه فيها مستجاب الخامس ذئبا ، ونظر كل منهما للآخر ، ونظر مستجاب إلى الضفتين وابتسم فى

امتنان وود وكبرياء ، ونظر الذئب إلى الضفتين وابتسم فى امتنان وود وكبرياء ، ثم أعاد نظره إلى مستجاب ، ثم لم يلبث أن تراجع للخلف زائما .

وقفز الذئب قفزة رعدية أرجحت القارب وفتحت بطن الخامس ، فانطلق فى الضفتين

هتاف وانشاد وتصميم ، ودوى الرعد إعجابا ، وعين البرق تحرس عناصر اللغز : العنزة فى الغرب والحشيش فى الشرق ، ومستجاب الخامس مبقور البطن فى قارب يتأرجح ويدور منتظرا أن يسلم مقدمته لأى تيار .

محمد مستجاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سوريال عبد الملك

قصة: الليلة عيد

نهضتْ من فراشها قبل أن تصحو المدينة ، لا بدّ من إعداد البيت إعدادا خاصا . . فالأولاد كلهم قادمون اليوم لقضاء العيد .

أطلّتْ من شرفتها العالية ، ظلّتْ أفكارها تتلاطم حتى أفاقت على صوت المؤذن ، تكاد النسمات الرطيبة أن تبلل خديها ! كم أنها مداعبة هذه النسمات ومنعشة ! ترامى إلى سمعها أذان آخر ، ومن الحيّ الخلفيّ انطلق أذان جديد . . ثم أذان خافت من الأمام البعيد . . ومن أقصى اليمين وأقصى اليسار ، أصبح اسم الله نداءات تتعانق أصداؤها بملء الفضاء . . بددتْ كثيرا من وحشة الليل . . ومن أحزان السنين فى قلبها الكسير .

تمتمت بالشكر لله الذى أعانها على حياتها المضطربة ، منذ شهور قليلة استطاعت أن تزوّج البنت أيضا ، فأصبحت غريبة مثل أخويْها فى مدينة بعيدة ، هذا أول عيد يجتمع فيه الأولاد هنا مرة أخرى ، عندما تشرق الشمس ستأتى الشغالة ، لكنّ عليها أن تساعدها فالعمل اليوم كثير وشاق ، لابُد من إعداد ثلاث غرف لنوم الأولاد ، ولكن لماذا « لا بُد » هذه ؟ ! ألا يمكنهم أن يناموا جميعا فى غرفة واحدة كما كانوا يفعلون ! مئات الليالى نام كل ولد فى حضن زوجته هناك ! والبنت أيضا كم نامت فى حضن زوجها أو كما شاءت ! ماذا لو ابتعد كلٌ عن رفيقه ليلة واحدة إكراما لها ؟ !

شدّ بصرها نور أضيء . فى « الفيلا » المقابلة ، اضطربت خطت مسرعة إلى الوراء ، ماذا يقول الناس لو رأوها الآن فى الشرفة ؟ ! هى لم تقبل الزواج عندما كان الأولاد أطفالا . . فهل تسعى إليه بعد أن تزوجوا ؟ وحيدة هى الآن نهبٌ للفضول والاشتهاء لكن سمعة المرأة أغلى من حياتها ! وهذا الرجل صاحب الفيلا لماذا لا يملّ الكلام عنها فى بيوت الأقارب والمعارف ؟ ! لماذا ترفض الزواج بى ؟ هل أنا فقير ؟ هل سنى غير مناسبة ؟ الأولاد ؟ كبروا كلهم وهجروها ، المرحوم ؟ يفرح فى قبره لما واحد جاره يستّر عليها .

ارتعشت ساقاها أمام كلمة « الستر » طالما أحست حيال هذه الكلمة بالرعب ! فهى على الرغم من أنها تخطت الأربعين . . فلا تزال عيون الرجال تطاردها فى الأسواق ، وحتى الشباب فى عمر ولديها !! كأنما لم يعد فى المدينة امرأة سواها ! هل . . هل ما أزال فاتنة إلى حدّ الإثارة ؟ بعد خمسة عشر عاما من الحداد ؟ وهذا الجار لماذا يصرّ على الزواج بأرملة ؟ بينما تتمنى عذارى الحيّ ثراءه وفيللته وسيارته ووسامته ! تذكرتْ أيام كانت الأسرتان تتزاوران قبل أن يموت زوجها ، ثم قبل أن تموت زوجته ، رغم أن زوجها كان رجلا رائعا . . فإن وسامة الآخر وقوامه الفارع وعمق نظراته . . كانت كلها مثيرة للتأمل والإعجاب !

قبل أن تعود إلى الشرفة مالت نحو مرآة « التسريحة » ، حدقت فى وجهها ، هى نفسها لا تزال تعشق هذا الوجه الجميل ! وهذا القوام المتناسق اللين ! اجتاحتْ جسدها نشوة

لافحة ، كانت خصلات شعرها متناثرة فى دسم لامع السّواد . . حول وجه مستدير مضيء أملس ، الصدر نافر متحفز الامتلاء . . والذراعان العاريتان أكثر حيوية من أذرع الصبايا ، استدارت إلى الخلف على مهل . . لاوية عنقها لترى جمال ظهرها فى المرآه . . ثم امتلاء ساقيها . . فانسياب النصاعة بين لحم الصدر والكتفين والعنق ، ما كلّ هذا الإشراق فى جبهتها ! والفتنة الحيْرى فى عينيها ! وقسمات الوجه الرقيقة الحالمة ! وشفتيْها المثقلتيْن بالأنوثة والقلق ؟ وضبطت نفسها متلبّسة بالتماس الأعذار لصاحب الفيللا ، لماذا تحسّ نحوه الآن بالميل والإشفاق ؟! ولكن ألسنة الناس ! وذكرى المرحوم الذى كان مجنونا بحبّها ! والأولاد . . عادت تدور حول نفسها أمام المرآه . . متحسّرة على مفاتنها المعطلة . . شاحنة قلبها بالحرمان والندم ، ثم هربت إلى هواء الفجر فى الشرفة . . لعله يمتص من جسدها حرارة الحريق الذى أشعلته المرآه . .

لا يزال النور مضاء هناك ، لكن ابنه الوحيد يتعلم فى الخارج فمن يسهر معه حتى الآن ؟ هل يفزع مثلها من الظلام ؟ أم أنه كما يُشاع يستضيف أحيانا نساء الطريق ؟!

تقهقرتْ ، أطفأت نور الردهة ثم عادت تتلصص ، انتقل الضوء هناك إلى غرفة أخرى ، وأضيء نور الحمام ، طال ترقبها حتى تمدد الضوء فى الفضاء وبدأ يهبط على قمم البيوت ، فُتح باب الفيللا فى هدوء وحذر ، وتسللت منه امرأة مترددة الخطى ، انظرى ! لم يمض على موت زوجته سوى عامين يا خسّة الرجال ! لكنّ نور الصباح سيفضحك هنا بقميص النوم ، ذراعاك عاريتان تماما ، ونصف الصدر مكشوف .

كم من العمر ضاع فى تربية الأولاد ؟ ولماذا عجّلتِ بالزواج فى سِنّ الصبا ؟ الذين لا يعرفون يظنون ابنك الأكبر أخاكِ ! وبعيدا عن الحىّ كانوا يظنون ظنونا أخرى ، ما من مرة علقتِ ذراعك بذراعه إلا ترامتْ إليك ألفاظ السّوقة من كل جانب ، كنتِ تتمزّقين غيظا . . لكن غيظك الأكبر كان الولد الذى يتمسك بذراعك هادئا مزهوا وكأنك خطيبته !

كان من العدل أن تستبقى البنت معك أعواما أخرى . . تؤنس وحدتك . . تحرسك من كلام الناس وطمعهم . . وتحرسك من نفسك ، لكنّك استمتعت بالزواج وأنت أصغر منها ! هل أصبحت أنانية ؟ ولكن ، هل حقا ستصبحين جدة بعد شهور ؟ زوجة الولد الأكبر حامل فى شهرها السابع . . رغم نصحى لها بعدم الحمل مبكرا لكنها لم تصبر ، وزوجه الأصغر فيها كل شقاوة الدنيا فهى الآن فى الثامن ، لكن البنت بنتى وستعمل بنصيحتى عندما تجىء اليوم سأتأكد بنفسى أنها ليست حاملا . . وإلا أصبحتُ هذا العام جدةً لثلاثة ، جدة ؟ جدة بكل هذا الشباب ؟! لو لم يمت المرحوم ! عذاب الأولاد أوشك أن ينتهى . . لكن العذاب الآخر يتمدد . . يتمطى ملء دمائك الساخنة ، أفاعٍ جائعة تتناهش أفاعى جائعة .

عيون المارة المبكّرين بدأت ترتفع إلى أعلى ! أسرعتْ بالهرب من الشرفة إلى شغل البيت ، ما هذا الضيق الثقيل ؟ تكرار وسأم ، ثمة أمل وليدٌ مض يتعلق بساقيْها أينما ذهبتْ فى أرجاء البيت ، لكن عقلها يتهرّب من النظر إليه . . فلو تبيّنتْ ملامحه تماما سيشلّ ساقيها الخجل .

٢

توالى مجىء الأولاد منذ الظهيرة ، دبّت الحياة من حولها ، خفّ نشاط الشغالة وازداد هذرها ، ضبطتها تتحسس بروز بطن الزوجة الكبرى . . ثم تدعو لزوجها بدوام العافية ، ردّدت الزوجة دعاء الشغالة بنبرات حبّ خاشعة كأنها تصلى ! تصنّعتْ أنها غير منتبهة لحديثها وابتعدت ، بعد ذلك ضبطت الشغالة فى المطبخ تحاصر البنت بأسئلة جارحة عن الزواج والحمل ، نهرتها هذه المرة ، فوجئت بأن البنت أيضا تطلق ضحكة مجلجلة المرح ، وبعدها لم تقو على أن تنهر أحدا . . بل أخذت تتظاهر بأنها سعيدة بكل شىء يدور فى البيت .

٣

وأقبل الليل . .

أكل الأولاد وشربوا حتى أتخموا ، ثم تناثروا أزواجا فوق الأرائك فى الردهة الرّحبة ، وعادوا يستكملون مرح العشاء نكاتا وقهقهات ، التفّ ذراع الولد الأكبر بخصر زوجته . . وبالذراع الأخرى رفع زجاجة البيرة إلى شفتيه ، واضطجع الولد الأصغر برأسه على صدر زوجته الجالسة ساقا على ساق . . ممدّدا جسده بطول الأريكة ، وأرقدت البنت رأسها على فخذ زوجها وأغمضت . . لكنها ظلت الشريك الأكبر فى أحاديث المرح ، بعد قليل رفعت رأسها ، ألقت نظرة خاطفة على شاشة « التليفزيون » ، لم يبدأ حفل العيد بعد ، هبطت برأسها اشتياقا إلى الوضع القديم .

منذ ساعات تروح الأرملة وتجىء ، تلبّى كل الطلبات المدللة . . وتغالب الضيق كيلا ينفجر ، حتى الآن استطاعت أن تكتم ما احتشد فى صدرها من صراخ ، لكن الأولاد والبنات ظلوا يطاردونها إلى أن أعلن مذيع التليفزيون بداية السهرة . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأت أم كلثوم تغنى ، « الليلة عيد » . . يا خسارتك فى الموت يا ست ! « يشبهك هو فى جمالك . . وانت فى نوره ويُعده » يا عينى عليك يا ثومة !

وامتد السُّهر إلى ما بعد منتصف الليل . . سند الولد الأكبر زوجته المتناومة نحو إحدى الغرف ، ثم جذبت البنت ذراع زوجها داعية إياه إلى النوم ، وراح الولد الأصغر يرجو أمه أن تنهض إلى غرفتها لتستريح .

ـ عيب يا ولد أنا أنام آخر واحدة فى البيت

انزلقت زوجة الأصغر من فوق الأريكة ، قبّلت « حماتها » على عجل متمنيةً لها أن تصبح على خير ، قلّد الولد زوجته وتبعها إلى غرفة ثالثة قائلا :

ـ خلاص يا ست الحبايب آهو البيت كله نام

خلت الردهة من الحياة ، صارت سجنا كريها تتلاطم فى جنباته أغنية حزينة لمطرب آخر ، مدت يدها فخفضت الصوت ، أصبح الغناء ولولات متحشرجة خافتة ، فجأة انسلت البنت من غرفتها صوب الحمّام

ـ يا خبر يا ماما ! لا لا كفاية سهر

وجهُ البنت متورّد ، ملء عينيها صفاء وارتياح ، كلكم ستنامون ملء عيونكم وقلوبكم . . بينما أتضرع أنا إليه كل ليلة . . ذلك النوم العصىّ البليد الذى لم يعد يحتوينى تماما . . رغم لهاثى الدائب خلفه بعرض الوسادة وامتداد الفراش

عادت البنت من الحمّام ، أدارت مفتاح التليفزيون فأخرست المغنى

ـ حاضر يا حبيبتى ، دقيقة واحدة أرتب الصالة وادخل انام

وما إن دخلت البنت إلى زوجها حتى جلست الأرملة أمام مرآة الردهة ، رأت وجهها محتقناً بتمردٍ حزين . . تمزقت فوقه غلالة شاحبة من أمومة مقهورة ، هربتْ إلى الشرفة ، مرة أخرى هناك ضوء فى حمام الفيللا ، لماذا تتعانق أذرع الموج فى كل ناحية . . بينما تتكفئين أنت وحيدة . . تارة على لهب الرمال وتارة بين طحالب الذكريات ! تمتد نحوكِ الأمواج ثائرة الشوق والزبد . . فتتباعدين عنها فى وقار كاذب . . حتى يرتدّ عنفوانها إلى صخب البحر البعيد !

أحسّتْ بوقع قدمينْ حافيتين فى الردهة ، لم تشأ أن تلتفت ، من الخلف طوّقها الولد الأصغر بذراعيه ، استدارت إليه فقبّلها . .

ـ ولد يا مجنون . . هنا بَرْد عليك وانت عرقان

فى توالٍ عنيد راح يقبل يديها وخدّيها فى مرح

ـ الله ! والله كان له حق بابا يموت فيكِ !

يموت ؟! أما من كلمة أخرى لديك أخف من الموت !

ـ طيب تفضل ادخل

ودخلا معا ، لمحتْ زوجتَه عبر الباب الموارَب تعيد صبغ شفتيها أمام المرآة ، تظاهرت بعدم رؤيتها ، لكن الزوجة لوّحت لها

ـ وانتِ من أهله يا حبيبتى

واندفعت مسرعة ، أغلقت بابها جيدا . . ووقفت تحدق فى صورة المرحوم المعلقة ، ثم هبطت عيناها إلى صورته التى تعطى ظهرها لمرآة التسريحة ، إلى أن تراكمت دموعها فانكفأت بها فى الفراش .

فجأة جاء زوجها . . هادىء البسمة كعادته ومشتاق النظرات ، أخذها بين ذراعين حانيتين ، ثم ما لبث أن جُنّ هدوؤه فانقضّ على شفتيها ، نفس القبلات الثقيلة الجائعة ، وشغلته فتنة قسماتها عن شفتيها فراح يتجول بينها بقبلاته وأخذ كلٌ منهما يعتصر الآخر فى جنون متبادل . . حتى نـدّتْ عنها صرخة مديدة الأنين والفرح . . .

قبل أن تفيق تماما من إغماءة النشوة . . كان الولد الأكبر يربت خديها ليوقظها من الحلم ، وعندما انفردت بنفسها اشتد اشتياقها إلى السقوط فى الحلم مرة أخرى ، لكن الحلم رفض أن يعود .

تثاقلت خطوات الليل فأرهقت ظهرها . . وجنبيها ، هجرت فراشها إلى هواء الشرفة .

المدينة نائمة ، وغاب القمر فتكاثفت الظلمة ، ثمة أصوات خافتة تتسلل إليها من غرف الأولاد ، والفيللا غرقت أيضا فى الصمت المظلم والغموض .

ماذا تفعلين إذن ؟ التهمتْ منكِ الأيام أخطاءً بلهاء ! كيف تعودين إلى الوراء فى الزمان لتبدئى العمر من جديد بلا أخطاء ؟ ترى هل يغضب الأولاد إذا لبّيتِ نداء الزواج ؟ لكنّ سمعة صاحب الفيللا لم تعد ناصعة ! لكنّ رفضك هو الذى دفعه إلى ذلك ! إشارة واحدة منك سوف تتشلكما معا ، من أجل ماذا أزهقتِ شباب السنين ؟ ما الذى يغريك بتمزيق ثوب العمر الوحيد ؟ غدا أو بعد غد يرحلُ الأولاد ويسافرون . . ولكنْ . . هل يخجلون من زيارتك فى العيد القادم لو . . أليس الزواج حقا وحلالا و . . ؟

وفاجأها صوت المؤذن . . والمؤذن الثانى . . والآخرين ،

اختلطت فى رأسها المسالك، « الصلاة خير من النوم » ، والنوم خير من أفكارك المجنونة ! والجنون أفضل من كبت الجنون . . والاحتراق فى السُّعير أهون من التمزُّق على أسوار النعيم .

من بوابة البيت المجاور خرجت امرأة فى ثياب الحداد ، تبعها شاب وفتاة فى يد كل منهما سلة مغطاة ، تذكرت ، كل الأرامل الطيبات يزرْنَ أزواجهنَّ صباح العيد ، ومنهنَّ مَنْ يبِتْنَ الليل إلى جوارهم بالفطائر والفاكهة والنحيب ، لماذا توقفتِ عن زيارة المرحوم منذ سنوات بعيدة ؟ لأن زيارة التراب كما يقولون جنون ؟ أم لأنه يزداد هناك موتا وانتِ تزدادين شوقا للحياة !

توقفتْ سيارة أمام البيت المجاور ، ملأوا حقيبة السيارة بالسلال وانطلقوا ، هل تتبعهم ؟ بلا فطائر ولا فاكهة ولا رغبة فى البكاء ؟ لكنه لن يعاتبك فصوته أيضا قد أكله الموت !

فتح باب الفيللا المقابلة عن ضوء فرش أرض الشارع ، خرج صاحبها مطأطىء الرأس على غير عادته ، حارس الفيللا يخترق الحديقة ، يكدِّس فى حقيبة السيارة سلالا مغطاة ، فتح الحارس باب الحديقة على مصراعيه للسيارة . .

صاحب الفيللا ينظر إليها الآن من خلف عجلة القيادة ، والحارس الجالس إلى جواره أيضا ، تمرَّدَتْ على رغبتها فى الهرب من الشرفة ، الرجل إذن لم ينْسَ زوجته تماما ! كما أنكِ لا تتذكرين زوجكِ تماما .

انسلَّتْ من الشرفة مشوَّشة الذهن مضطربة اتشحت بالسواد القديم على عجل ، دون أدنى صوت أغلقت الباب من خلفها ، بأفكار مترنحة راحت تهبط الدرج ، وأمام بوابة البيت وقفت فارغة اليدين . . إلا من حقيبة يد أنيقة السواد ، وراحت ترنو إلى سيارة أجرة قادمة من بعيد . . لتحملها خلف صاحب الفيللا إلى المقابر ،

القاهرة : سوريال عبد الملك

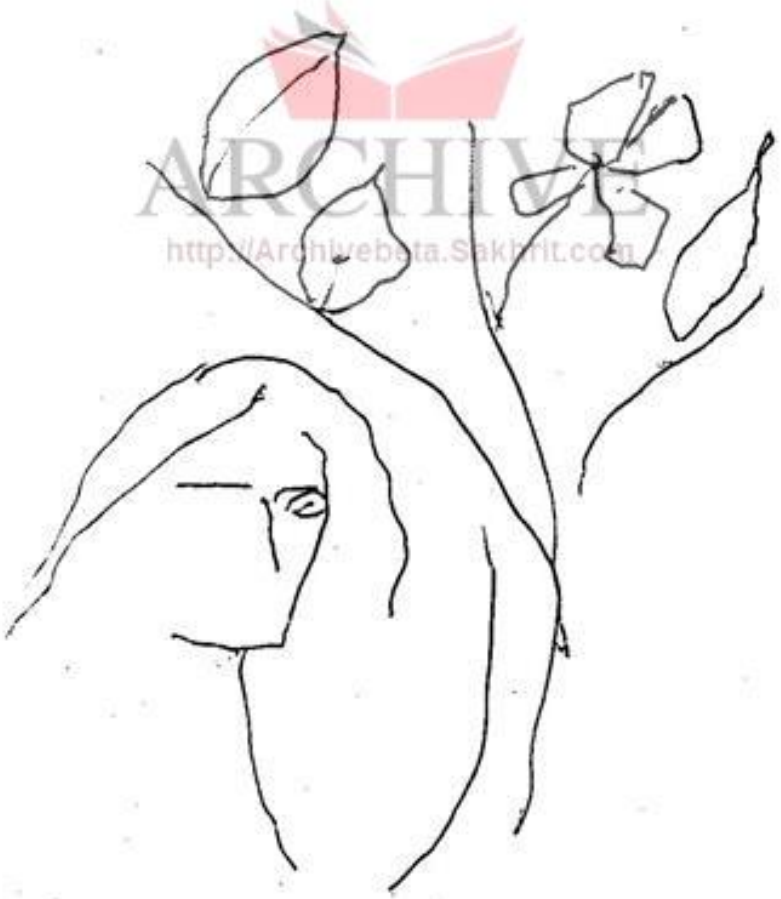

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعيد الكفراوى

قصة

الخالة والعروس

« الآن لنمرح مثل الطيور الجارحة ونتنزع مسراتنا بالنضال العنيف

«مركب النار»

ـ استري عرضي ياخالة « هانم » الله يستر عرضك !

كبشت الخالة ضفيرتى البنت ولفتهما على كفها وشدت الشعر الأثيث الغامر حتى سمعته يطقطق فى يدها ، واندلح الألم فى عروق البنت فطار عقلها وقالت للمرأة فى ذلة :

ـ شدى ياخالة وقرطى . أنا الى أستاهل .

صاحت الخالة فيها وقد زمت شفتيها ، وارتسم خطًا الغضب من أسفل أنفها حتى ذقنها المدبب ، واهتز قرطها الهلالى :

ـ ياخاطية !

ركعت الشابة جاثية ، ممسكة بذيل هدمة المرأة مستجيرة :

ـ غصب عنى ياخالة . خدعنى بدنى !

أشاحت الخالة برأسها وهى لا تزال قابضة على ضفيرتى البنت :

ـ العار أطول من العمر ياخاطية !

حررت الضفيرتين ، وأعطتها ظهرها ، ونظرت عبر النافذة فرأت على البعد حدأة مشرعة المخالب تنقض على دورى صغير وتقبض عليه ، ورأت الدورى يخفق بجناحين كسيرين ويطلق وهو فى أسر المخالب صوتا مستغيثا .

ـ مين ؟

حنّورة

ـ أهبل الكفر ؟ ياوكستك يامضاوى يابنت النواصف !

وعادت تنظر من النافذة .

ينبوع بخر ، وساقية على مدار ، وأشجار على النهر ، وصف من دواب يؤوب . وغيمة من سحب راحلة .

تحدثت الخالة لروحها «الجو منذر بعفرة الخماسين ، وستهب ريح السموم ، وستمتلىء عروق الصبايا بالدم السخن » .

نشطت الريح فتمتمت « فى الربيع تعم الخطايا وتزكم الأنوف الفضائح »

استدارت ناحية البنت ، كانت قد نهضت وجلست على الكنبة الخشب ، رأسها فى عبها تنفحم فى شهقات . شوّحت الخالة تجاهها وقالت :

ـ كل لذة من عمل الشيطان . نسيت نفسك ونسيت « أبوك » الكريم ابن الكرام . انهضى . نهضت « مضاوى » باكية . سألتها الخالة .

ـ وامتى كانت عملتك ؟

ـ من شهر ونص

ـ حد غيرك يعرف ؟

ـ الجازية بنت عمتى

ـ كمان . حتى سرك ما قدرش تستريه . ! ياسواد أيامك يا مضاوى ! صمتت الخالة قليلا ثم قالت لها .

ـ ودخلتك امته يا بنت ؟

ـ الخميس الجاى يا خالة وربنا يستر على ولاياه .

ـ استر يارب النهار المبارك . اسحبى أخوك وغورى من وشى .

خرجت من الدار ، وسارت على الجسر أفعمت روحها رائحة الزهرات التى تفوح من تلك الحقول القريبة . توقفت دموعها وشهقاتها وخف من قلبها الوجع وعندما سألها عبد المولى لم تبكين ؟ توجست منه وقالت له : أبدا . مفيش فقال لها الصغير . حد زعلك ؟ فقالت له : أبدا . قل روعها واكتسحتها الذكرى الآثمة .

كانت الشمس وسط السماء ساخنة ، وكانت تسند صدرها على حافة النافذة وتنظر عبر كثافة الشجرة التى تظلل أرض حديقة دارهم . رمت على ظهرها ضفيرتها وشدت بدنها وسمعت صوت ماء يصطفق ويأتيها من ناحية البئر المحفورة وسط جنينة دارهم . نظرت هناك بعين سليمة ولها رموش من ليل .

ـ مين هناك ؟

سمعت كركرة ضحكة ، وصوت حموم وكلمات بلاء منى .

ـ مين اللى هناك ؟

ضحك الأهبل ضحكة وعرة ، وهفت طائرة من فوق الفروع بومة أعماها النور .

ـ حنورة . واد يا حنورة .

نظرت من تحت الشجرة فرأت الولد عاريا فانتفضت روحها . وتسرب إليها الحنين مشبوبا ، فارتعشت وانتشت بمرأى الجسد الأعجم المتين ، وللحظة ودت أن تطول يدها وتتحسس ذراعيه وصدره ، ارتعشت حين فاجأتها مشاعرها الحرام . غادرت النافذة ووطئت ورق الشجر الجاف ، وسمعت غناءه مختلطا بلا معنى . .

ـ البنت الحلوة القمورة . . زى . . زى . . ال . . صـ . . و . . رة

أزاحت فرع البرتقالة وبرزت حتى حافة البئر . كان جسده يشر الماء منه ويبدو عضله ملفوفا ، وتكشف فيه بقع الشمس زغبا كصوف الغنم ، وكسفا من الشعر المجعد الملتف .

رماها بعينه البلهاء ، ونظرت شدقه المفتوح ، تطل منه أسنان قوية لامعة . غطس فى البير وغاب ثم اندفع خارجا محدثا جلبة .

ـ ميه . . حلـ . . و . .

وأطلق ضحكة الكبش .

ضحكت « مضاوى » لما رأت لعبه مع الماء ، وصاحت نشوانة ،

ـ حيوان أعجم ياأخواتى !

تحسست ذراعيه ، ومسحت بكفها صدره فجفل وأطلق ضحكا ، ثم أشار ناحية الشجر المظلل وصاح :

ـ فرسة النبى . . آه . . فر . . سة . . النبى .

تكمن تحت الورق بأرجلها الرفيعة ، لها خضرة الشجر ، برأسها عينان تحدقان . تنتظر دابة من دواب المولى تسعى لرزقها لتنقض عليها انقضاض الموت .

قرصت ثديه فأزاح يدها وأطلق ضحكة الكبش ، سدت فمه المفتوح بكفها جافلة :

ـ سد خشمك ياأهبل !

ماءت قطة وقط ولهان بالقرب من السور ، ثم اندفعت القطة صاعدة الى سطح الدار وفى ذيلها مرق الذكر مشرع الأذنين ، منتصب الذيل والشوارب .

ـ قل لى ياحنورة . . انت مش هتتجوز ياوله ؟

ضحك وأشار ناحية الشجرة :

ـ فرسة النبى . . فر . . سة . . النبى

تيقظت شهوتها لما تحرك جسد الفتى . ضغطت أسنانها ، محاولة أن توقف ضربات الدم فى بدنها والذى اتخذ مسارا تحت جلدها . أسقطت بقصد منديل رأسها وظهر شعرها الفاحم ، وحدقت فى عين الفتى فرأى شعاعا وبرقا .

أخذتْ بيده فخرج عاريا من البئر بطاعة الأطفال ، تنكشف عورته لقروش الشمس التى تستقر فوق الشجر ، من جسده ينساب الماء فى خطوط متقاطعة . سحبته وخطيا العتبة . دخلت به الدار وولجت معه إلى حجرتها وردت الباب . عطرته بماء الورد ، ومشطت شعره نظر نفسه فى المرآه فصهل كجواد سدت فمه بكفها وهمست بصوت مخنوق :

ـ اخرس ياأهبل . بلاش فضايح !

لامست جسده فطقت فى الحسدين شرارة النار ، وأتت من شواشى الدماغ للقلب ، وانداحت فى العروق لاهبة . أخذته فى حضنها .

انحلت الضفيرتان ، وانسدل على الكتفين كالسلب وقالت « آه » .

مزّع بيد الوحش صدر فستانها فتلألأ صدرها قرصين من عجين . خطف الأهبل الثدى فجفلت وهمست له بضعف :

ـ بالراحة . . بالراحة ياأهبل !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خافت عندما أحست بخيط الدم ينسرب على وركها ، لكنها كانت قد سقطت فى القرار حيث جاء خوفها متأخرا . كانت قد أغمضت عينيها وشربت من نهر ماؤه عسل وصرخت ملتذة فيما كانت مهرة الدار تخب فى الأرض البراح مقطوعة المقود ، مندفعة بضغط لحمها الحى ودمها السخن .

عند وصلت باب الدار تركت يد أخيها ، وطفرت من عينها دمعة وهمست :

ـ ياندمى !

●

«شعاع من شمس الصباح»

نهار الحنة قبل الفرح بيوم . استوى ديك الله الذى تقرع رأسه السماء ، والتى تأتى أجنحته بالريح ، والذى علمه المولى سبحانه أوقات الصلاة التى إذا جاء ميقاتها سبح بحمده تعالى « تبارك القدوس » فتجيبه ديكة الأرض داعية .

تنهض « مضاوى » طاردة فزع أحلامها وتتنهد ناظرة لصاحب العرش :

ـ يارب ياللى سترتنى فى الأول ، استرنى فى الآخر ، والى تستره ياكريم ميفضحوش مخلوق ! جُسْتْ وشوش الطواجن وحملت شالية حلبة البارح لزوم إفطار الأب والأعمام . استندت لجدار الحضير يدها على رأسها ، ويقلبها وجل وبصدرها عش عنكبوت . داخت البنت من الوقفة ، وأهل الدار لم يتيقظوا بعد . لم تنم ليلها وطاردتها النار فى الحلم والفراش .

على السلم اختل توازنها فسقطت شالية اللبن منفجرة . فزع « عبد المولى » من أحسن منام وخرج على الصوت المدوى . كانت أخته مستندة على الحائط تمسك بيدها دماغها ، واللبن المسكوب يخط على الأرض خطوطا . تأمل الطفل اللبن وصرخ بأعلى صوت :

ـ الحقى يامضاوى . . دود فى اللبن !

●

عقد النبق

تجثم شجرة نبق « المصاروة على جسر ترعة . . كسير . . . ، تمد أذرعها للماء وللجسر وعيال البلد . « حنورة » الأهبل رافع عصاه التوت يضرب الفروع فتسقط النبقات ، يملأ بها كفه ويصيح « النبق ، النبق ! » تجمع حوله الأولاد وشكلوا حلقة صائحين « العبيط أهه . العبيط أهه » . ردد معهم « العبيط أهه . العبيط أهه » وضج بضحك بلا عقل . اندفع « رحيم » وشده من ثوبه فلسعه بالعصا فاستجار بالجدار يهرش مؤخرته . هش بقية الغلمان وبقى يحدق ناحية الشمس العالية .

رمى للشمس بشمراته وقال « كل ياشمس » . انفرطت الحبات على الأرض عقداً من ثمر .

خلع العبيط ثوبه فتعرى جسده الفتى ولوح بالعصا وخبط الأرض كثور هائج . صاحت نسوة على « المرادة » استر نفسك ياجاهل « وانفجرن ضاحكات . صاحت إحداهن « طول ذراع يا اختى » طقت زغاريد فشوّح بالعصا ورقص عاريا وصاح بعلو الصوت :

ـ فرح . . فرح « مضاوى »

●

بندقية على الحائط

ختم الأب الصلاة ، وسكن هنيهة يردد الدعوات ويطلب الستر من الفضائح ثم شد قامته وقام . سوى طوق جلبابه وسحب مداسه وخطا ناحية الباب . دقت ساعة الجامع ثلاث دقات وانداح الرنين فى صحن الجامع الواسع . هف وطواط يضرب بجناحين مفرودين الأركان ، وتجمع العميان أسفل المنبر يتلون الآيات .

خاف الأب العمى والعجز وقلة القيمة ، وتاه فى حكمة الرب وأحكامه . نظر للسماء فرأى السحب تركض ، ففارقه يقينه ولم يستطع دفع حزنه . . همس : النبت لا يخضر فى الحقل المحصود ، ولا يذهب الموت المهانة » . وصل الدار فواجه زحمة الفرح . قال لامرأته :

ـ غيّرى شال العمة . الشال توسخ

انتهى للدار القديمة قابله ابنه وسأله :

ـ خير يابه ؟

ـ خير

جرت خلفه بنت ابنه وصاحت « جدى . . جدى » لكزها فى صدرها بقسوة وواصل سيره حتى غرفة الخزين .

كانت معلقة على الحائط بطول ذراعين ، بنّية ، داكنة ، مطموسة اللمعة ولها روحين وقلشين أصفر باهت . يتدلى دبشكها إلى أسفل ، معلقة على الحائط من سنين تشيع منها برودة الموت . هتف بابنه :

ـ نزل البندقية ، نظف الماسورة ، وزيت خزنة الطلقات ، عاوزها تضوى علشان تليق بفرح أختك « مضاوى » .

يوم الفرح زعبب الجو بترابه برقة محملة بغبرة الخماسين ، وبانت الشمس بيضاء فى العيون .

دخلت بحراية قاعتها ودست يدها فى كيس وأخرجت مسنا من حجر الصوان وسكبت عليه نقطة الزيت وأخذت تشحذ السكين « رائحة للموت ، ورائحة للدم الفائر . من يفتح الباب بخاطره على نار جهنم ، والبنت معذورة هزمها بدنها ودمها الفائر ، وانت « ياهانم » ستارة للعيب ، ومن يدك تولد الأفراح » . واجهت مرآة الدولاب وعقدت شعرها كعكة ، وتحسرت على جمالها الغارب « خبا العمر ، ووخط الشيب الجدائل ، والشكل فى المرآة المعتمة بهت » انحنت ماشطة البلد وسحبت شنطة كاكية وأخرجت أدواتها . . حق كريم بلون اللبن . . ملقاط حواجب من فضة . . بكرة من خيط رفيع . . ورق زواق بلون الورد لصبغ الخدود والشفاه .

صعدت سطح الدار ، بيدها السكين المشحوذ وحدقت فى الصبارة ، وسباطة البلح التى تتدلى على جدار الطين ، ودجاجات شرهة عليها البيض تنق ، فيما يصيح ديك النتاج رافعا عرفه القرمزى معلنا عن توحده وسط السرب . بناى الحمام معلقة على الجدار يهدل بداخلها من كل زوج الاناث .

أفلت الشمس وغامت ، واكتست البلد بغبرة ، وتصاعدت رائحة الطين والتراب .

جلست البلانة القديمة تحت جريد النخلة وأخذتها سنة من النوم . . مشت حتى الخرائب ورأت قمرا معلقا هناك ، والبنت ذات الجدائل وطفاء العين عارية الجسد ، ينكشف نهداها فاكهة حرام . . جرت ناحية البنت التى كانت تصرخ . . (الحمام) . . (الحمام) . طوف الحمام فوق الخرائب ثم طار حتى غاب . . صاحت ماشطة البلد . « ارفعى اللعنة ياأم هاشم » . خطفت الريح البنت وصاحت الخالة . . « ارجعى يابنت » . .

انتبهت على صوت الأذان ففاقت . . وسكنت الريح وصفا الجو . همست لنفسها . . « حلم . . اللهم اجعله خير » .

سارت ناحية بناى الحمام وقالت بصوت مسموع . « من يهرب من مكتوبه ؟ » والطريق مسدود ، وفخاخ المولى منصوبة لعباده » .

فتحت خزنة بالحائط وأخذت كوبا من الزجاج . أسرت حمامة وقبضت على جناحيها . خفقت الأجنحة وهدل الحمام . قلبتها على ظهرها فانتفض الطير بالخوف البدائى وانقلب بياض عينيه مستجيرا . جزت اليد القوية الرقبة الخضراء الضعيفة ، وخفقت المخالب متقوسة تدفع عنها فجاءة الموت الداهم . صفت الخالة دم الحمامة فى الكوب الزجاج ولمحت « حنورة » على الجسر يركب عصاه فى زفة العيال . . تمتمت فى حسرة : ـ كله منك ياأهبل ! مقدر ومكتوب .

حبة الكارم

دفع « سانبو » الجزار العجل اللبانى من مؤخرته . قاوم العجل وحرن وامتنع عن السير ، فدفعه الجزار دفعة زحفت به . . عصب « عبد المولى » جبهة العجل بمنديل أخضر مشغول بالترتر والخرز الملون ، وأخرج من جيبه حبة الكارم الصفراء . مررها بالخيط وعلقها حول رقبة العجل وسحبه . . دار فى الوسعاية سبع دورات تحوطه الزغاريد وطبول الفرح . . عاد حيث « سانبو » الذى أمسك بقوائم العجل وطرحه على الأرض ، وألقى بثقله عليه . . فرفر الحيوان ونخر ، واتسعت عيناه وحدقتا فى عيون الأطفال . . جز الجزار عنق البهيم بعد أن قال « باسم الله . . الله أكبر » . رفس البهيم الهواء وشخر من حنجرة مقطوعة . فزعت طيور الظهر وخافت العيال عندما اندفع من الحلق المجزوز تيار الدم ، مشكلا على الأرض بركة صغيرة ، حية وساخنة .

على العتبة أطلقت الأم زغرودة مجلجلة وصاحت بعلو الصوت :

ـ على شرف بنتى أذبح ، ليأكل الغنى والفقير ، ويشبع أهالى السكك

القربان

العصر زفت المزيكة الشوار . عربات حاملة نحاساً أصفر وأثاثاً ومراتب جديدة منجدة ، تسحبها خيول ضامرة ببطون هضيمة لا تكف عن ذب الذباب . . أسبتة مغطاة بفساتين العروس الملونة ، تحوى الخزين والشربات وأقماع السكر .

فى الليل شعت حارة « الساقية » بنور الكلوبات المعلقة فوق الساحة ، ورفرفت أعلام زينة من كل لون ، مشدودة بخيوط . استقرت المزيكة فى الساحة ، خلفها بقالة « الزوايدة » وأمامها قهوة « رشاد » ودار ألفيه » وشجرة النبق التى يمتطيها العيال للفرجة .

انطلقت المزامير ونافخات النحاس والطبلة الكبيرة دافعة بالنغم الى حوارى الكفر ، مختلطة بزغاريد البكارة

فى بيت العم يجلس العريس فى الطشت النحاس ، حوله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أترابه يشمرون أكمامهم المبتلة ، ويصبون على الجسد ماء الحموم الذى يدفع بصابون العرس المعطر . يجأرون فى نفس واحد :

الورد كان شوك . . من عرق النبى فتح .

ـ عريسنا والنبى . . والنبى . . والنبى . . فلة والنبى .

يخرج العريس عاريا من طشت الحموم ، ساترا عورته بين فخذيه ، واضعا عليها كفه بينما الكلمات المكشوفة تهوى على رأسه :

ـ شد حيلك ياعريس الليلة ليلتك ،

أمامه فى الزقاق دستة من الشمع تنير ، بلهب راقص ، وثلاثة كلوبات تفح النور على الزفة . أمه وخالاته ، وأحب أحبابهم ، قريبين وبعاد يطلقون الزغاريد ويرمون حصوات الملح التى تهمى كالمطر ، والليلة بدت للعين شبعة ، وآخر المدى مسكون بالفرح .

« مضاوى » بنت الكرام فى ثوب زفافها الأبيض المشغول ، يصرب قلبها جناح طائر ، وبين نفسها تتنهد « الستر يارب ! » ، ردت عليها شربات بنت عمتها :

ولا يهمك يابنت . . اسأليني أنا . . أخذ الوش زى قرصة البرغوث .

زاط « حنورة » رافعا عصاه مشيرا للنور القادم بالعريس عبر الزقاق وصاح بخبل :

ـ الزفة . . الزفة .

وكانت الخالة « هانم » الماشطة قد حضرت من العصر حاملة حقيبتها وزينت البنت بالأحمر والأخضر ، وشدت صدرها بمشد جديد ملون بلون القطن الأبيض ، ودعكت جسمها بماء الورد ، وزججت حاجبيها بالأسود الفاحم ، وحمرت شفتيها وخديها بلون التفاح ، وسرحت لها شعرها كبنات البنادر . . قالت لها « مضاوى » .

أحوالك ياخالة ، روحى فى ايدك !

خير يابنت الكرام

وأشاحت عنها بوجهها ، وخرجت من الحجرة إلى الساحة التى أمام البيت وزعقت فى البنات :

زغردوا يامقطوعين النفس !

دوت الزغاريد واستحكم الفرح بالدار ، وبدت الليلة كأنها لن تنقضى

رجعت الخالة للبنت ونظرت فى عينيها ، « فأسبلت « مضاوى » جفنيها ، وقالت لها الخالة :

ـ عاوزه صريخك يجيب آخر البلد ، ودم الحمام سره باتع !

حضر العريس والزفة للساحة فهاجت السهرة وصاحوا فيه « مرحب عريس الغفلة » . ابتسم الشاب الغشيم ، وحوطت أمه رقبته بلاسة حريروقالت دفى نفسك لتبرد ، ورد عليها الولد « أحمد » الجمال يبرد مين ياخالة أمينة . . حد يبرد وفى حضنه « مضاوى » ؟ »

خطا العريس حتى غرفة الجلوة ، فتعالت الزغاريد وتكاثف الزحام وارتفع الغناء ، صاخبا ومدويا . كشف عن وجه القمر الخمار الشفاف ونظر فى العين الوطفاء الكحيلة وقال فى نفسه « قمر يااخواتى » ثم قال « لمضاوى » مبارك يامضاوى ، عليكى وعليه » .

أسبلت البنت عينيها ، وضربته الخالة « هانم » فى صدره وقالت له « ملحوق على إيه بكرة تشبع » شق الأب الجمع وصاح فى الخالة « خلصونا ياخالة هانم . . الوقت تأخر ، والناس جاعت . . » سحبت الخالة شنطة القماش وأخرجت متاعها ووضعته تحت كرسى الجلوة ، وركنت بجوار الرجل كوب دم الحمام الذبيح .

أخلت الخالة الحجرة ، وأغلقت النافذة وتوقفت المزيكة عن الدق والنفخ .

أخذت الخالة ابهام العريس ولفت عليه منديله الأبيض ، ثم صاحت فيه بعدوانية مفاجئة :

هتعرف تأخذ الوش ؟

اضطرب الفتى الغشيم وقال :

ـ أعرف . . أعرف ياخاله

ردت عليه القادرة :

ـ لا هتعرف ولا حاجة . . خالينى أساعدك . رجالة آخر زمن !

اضطرب العريس وأعطاها اصبعه الملفوفة ، وأشرعتها المرأة ، وجلسا تحت الفخذين الذى تصر مضاوى على سترهما ، خجلة ، ومكسوفة ، نظر العريس لأسفل فشخطت فيه المرأة :

ـ أنت هتبص لى . . بص للعروس قمر أربعتاشر . . هات صباعك .

ولج الإبهام الأرض الحرام ، المحروثة ، ودخل براحته ، والشاب المضطرب غرقان فى عرقه . . . صرخت « مضاوى » الصرخة المدوية والمتفق عليها والتى عبرت ضفاف الليل . أسفل حجر العروس فكت الخالة المنديل ويقعته بدم الحمام الذبيح بقع فى حجم البريزة الفضة . . تحاملت مضاوى وقالت : « آه » سندها العريس إلى صدره ، وقال « خلاص » .

ففتحت الخالة الباب وسلمت للزحمة دم العروس المبقع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنديل ، فضجت الوسعاية بالزغاريد والهتاف ، وعاودت المزيكة عزفها وطبلها .

انطلقت أعيرة النار تتفجر فى الليل من مسدسات وبنادق ، واستحكم فى الليل صوت الأعيرة المنبثقة فى ومضات خاطفة فوق سطوح الدور ، وقرب النجوم .

رفرف المنديل فوق هامات الأعمام ، والأخوال ، علامة شرف العوائل :

ـ يابلحة ومقمعة . . شرفت اخواتك الأربعة !

جاءت الأم الحبيبة من المندرة المقابلة حاملة على رأسها « صنية الاتفاق » . . انفتحت ضلفتى باب الغرفة حتى تسع الصينية النحاس . . ظهرت « مضاوى » مستندة بظهرها للسرير فى مواجهة الباب ، بينما ينشغل عريسها بخلع جلبابه الكشمير ، والخالة « هانم » تجمع متاعها بضمير مستريح ، يلوح على وجهها بشر الخواتيم الطيبة وقد تحررت روحها ، وفارقتها هموم الأيام الماضية .

فى اللحظة ذاتها انفجر عيار النار ، واستقر فى قلب البنت « مضاوى » فصرخت وقالت « آه » ، أسندها الفتى لصدره وصرخ « الحقوق » فيما اندفق على الثوب الأبيض خيط من الدم أفزع الناس وتهاوت البنت وأسلمت روحها . وصرخ العريس « مضاوى »

من الوسعاية صاح صوت ، أو صوتان ، أو ثلاثة لا أحد يعرف :

ـ عيار . . عيار طائش .

القاهرة : سعيد الكفراوى

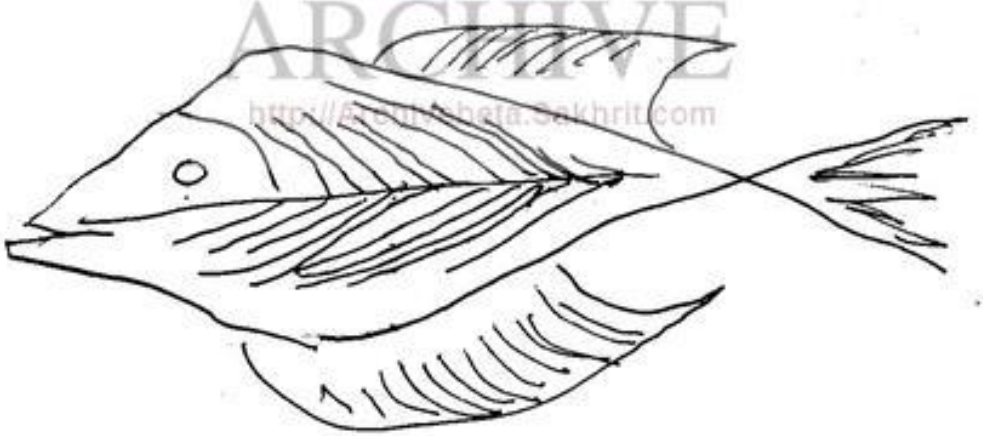

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طلعت سنوسى رضوان

قصة

دعوة للقتل الجميل

قبل أذان الفجر تختلط بقايا الأحلام بدوائر بنفسجية تحوم حول العينين ، لا تستسلم لإغراء العودة إلى الأحلام والاستغراق فى النوم ، تزيح البطانية عن جسدها ، تشعر بوخز فى الساقين . تميل بجذعها وتضغط بكفيها على الركبتين ، تتنهد ، تنهض من فوق الكنبة . تضىء المصباح ، تتجه ناحية سرير البنات وتتأكد من إحكام الغطاء عليهن ، تستدير حيث يرقد معتز على الكنبة الثانية بالغرفة ، تحكم الغطاء حوله ، يشعر بها . قال :

ـ سمعتك طول الليل تتوجعين .

قالت وهى ترتدى جلبابا من القطيفة الأسود فوق جلباب النوم :

ـ دا الروماتيزم . . مفيش حاجة . . يا حبيبى انت ثانوية عامة وخليك فى مذاكرتك .

قال :

ـ نفسى يا ماما تسمعى كلامى وبلاش الشغل خالص .

ابتسمت ، قبلته ، أحكمت الغطاء حول كتفيه ، أغلقت باب الحجرة ، أشعلت عود ثقاب وسارت بمحاذاة غرف الجيران . ظلام بنفسجى يواجهها كلما اقتربت من صالة البدروم . تصعد بضع درجات حتى تصل الى الدور الأرضى . ينتفض الجسد وهى تخرج من باب المنزل . تحنى ظهرها وتسرع خطاها وتنفخ فى كفيها تلمسا للدفء ، تخترق ميدان عابدين إلى ميدان العتبة ، تسمع أذان الفجر من أكثر من ميكروفون ، تقف انتظارا لتحرك أول أتوبيس ينقلها الى مصر الجديدة .

فى حوالى السادسة تصل منزل سيدتها ، تبدأ بإعداد الإفطار للأسرة ، تخرج لشراء الخضروات ، تعود لتبدأ بالنظافة اليومية ، ثم تدخل الحمام لغسل الملابس ثم تدخل المطبخ لإعداد الغداء . حوالى الواحدة ظهرا ترتدى جلبابها الأسود ، وتعطيها سيدتها أجرها وبعض الطعام المتبقى من اليوم الفائت ،وأحيانا بعض الملابس القديمة .

تفرح بحملها الثمين ، وتنسى آلام الروماتيزم ، وينتشى جسدها بملمس الشمس الدافىء ، وتفكر فى أولادها .

تقترب من بيتها وتشعر بسعادة المنتصر . نزلت درجات السلم . جلست الجارات أمام غرفهن فى صالة البدروم . العتمة أخف فى العودة . ألقت سلام العافية ، مدت إحدى الجارات يدها بمظروف ملون وقالت « جواب باسمك يا ست كريمة » .

القلب ينتفض . أسرعت إلى غرفتها ، تأملت الخطوط الحمراء على المظروف الأزرق ، حدقت فى الكلمات ، همست « جواب باسمى ؟ » . همت أن تفض المظروف ، أرخته فى حجرها ، تنهدت « آه . لو كنت أعرف أقرأ » . تجولت عيناها فى فراغ الحجرة الدامس ، توقفتا عند الصندوق الكرتونى تحت السرير ، طوقتها غلالة من بعض راحة . داخل الصندوق أطباق وملاعق وسكاكين لتجهيز البنات . غابت فى

الماضى . . « أبى مات قبل أن يولد أخى عبد الجواد . . وأمى تموت بعد الولادة بشهور . . كان عمرى عشر سنوات . . يمكن أقل ياكريمة . . اشتغلت فى مصنع صابون . . لم يكن لى صندوق كرتون مثل باقى البنات . . قلت هو أخى اليتيم وهو ابنى » .

انتبهتْ على خشخشة المظروف فى يدها . تأملته بعطف لا تعرف مصدره همست « معقول . . معقول يكون من عبد الجواد ؟ . . معقول يا عبد الجواد تفتكرنى بعدالقطيعة سنين وسنين !! » تنهدت وخفق قلبها بدعاء خاشع أن يكون الجواب من أخيها عبد الجواد وهمست « ياريت يصدق إحساسى علشان العيال يصدقوا أن لهم خال . . وأن كلامى كان على حق ! » .

كان يضايقها أن تحكى لأولادها عن خالهم فلا يصدقوها ، أو يتظاهرون بتصديقها وهم يغزون رؤوسهم عجبا . تلحظ سخريتهم ، تنهرهم .

يقولون : لنا خال ولا يزورنا ولا نزوره ؟ ! تقول : إنه مسافر إلى بلد بعيد .

يبتسمون بإشفاق ويقولون : طيب يفتكرك ولو بجواب !

تتظاهر بالغضب من أولادها . وتصيح فيهم « عيب يا اولاد ! . خالكم راجل محترم . . وفى يوم حاتعرفوا الحقيقة وتصدقوا كلامى . . خالكم واخد شهادة كبيرة . . ويشتغل محاسب قد الدنيا » .

يتوقف الحديث ، يتحول الغضب إلى دموع على الوجنتين المتغضنتين ، يلتف الأولاد حول جسدها الهزيل . يقبلون الوجه الأسمر والكفين المعروقتين ، يجففون دموعها ، يحبسون دموعهم ويهمسون « مصدقينك يا أمى مصدقينك » ، ثم يداعبونها ويطلبون منها المزيد من التفاصيل عن خالهم وعن حياتها معه .

تشعر بالراحة وهى تحكى . . . .

وفى وحدتها يتعاظم ألم المفاصل .

* * *

قامت تعد طعام الغداء ، قلبها يلهج يستعجل قدوم الأولاد . دخل معتز وسألها عن صحتها . جففت كفيها فى ذيل الجلباب ، أخرجت الخطاب من صدرها ، أعطته لابنها .

دق قلبها بشدة وهو يفض المظروف . دقات القلب تتحول إلى مطارق وهو يقرأ ، لم تصدق أذنيها . أخوها يدعوها لزيارته فى الإسكندرية ! طلبت من ابنها أن يعيد القراءة . توقف المطرق وانتظم النبض ، ابتسمت ، شردت ، رجعت إلى الوراء حتى لايسمع ابنها التساؤل فى صدرها : أخيرا افتكرتنى يا عبدا لجواد ! . معقول ؟ . معقول يا كريمة يكون - الحلم فى عز الضهر !

عندما رجعت البنات من أعمالهن ، قدمت الخطاب لكل بنت من بناتها حتى اللاتى لا يعرفن القراءة . تدور وسط بناتها بفرح . تصيح ضاحكة . . صدقتوا كلامى ؟ . عرفتوا بقى ان لكم خال ويسأل عليكم ؟ تتصايح البنات بسرور . تخطف الأم الخطاب وتقبله .

تساءلت عائشة يا ترى جايب هدايا معاه ؟

عينا كل بنت فى عيون الأخريات . يبتسمن . تنتقل العيون إلى الصندوق إلى الصندوق الكرتونى .

همست كل بنت لنفسها يا ترى جايب لى إيه ؟

قالت الأم :

— جهزوا نفسكم للسفر يوم الجمعة .

نبهتها البنات إلى مصاريف السفر . قالت المصاريف تتدبر . . خالكم ونفسه يشوفكم ، مش لازم نكسر بخاطره .

تذكرت انّ عليها شراء بعض الهدايا لأخيها . تراجعت فى موضوع تدبير تكاليف السفر .

* * *

تركب القطار للمرة الأولى . تشعر بالسعادة وبناتها عائشة وفكرية ونوال بجوارها . تمنت لو أنها اصطحبت كل البنات ومعهن معتز . قبل السفر احتارت ماذا تشترى لأخيها من هدايا . . فاكهة ؟ سكر ؟ صابون ؟ أرز ؟ كلما فكرت فى شىء اشترته ، فملأت سلتين كبيرتين تحت قدميها .

بناتها يتهامسن ويتضاحكن . تبتسم وتنظر إليهن بإعجاب ، تتأمل جرى الحقول . تشعر أن جروحا قديمة تذبل وتطيب . تتجاهل كلمات الجيران المرة عن أخيها الذى انفقت عليه شبابها ، وبعد أن حصل على الشهادة الكبيرة تركها وحيدة . ابتسمت وهى تتذكر فرحتها بنجاحه وهمست : هو أخى وابنى .

فى ميدان المحطة ركبت سيارة أجرة . كان السائق ودودا . أعطته العنوان . قال :

— المعمورة من أجمل الأماكن فى الأسكندرية .

تأملن الشوارع والبنايات والكورنيش . همست نوال :

— لو كنا فى الصيف كنا مشينا جنب البحر .

وقفت السيارة أمام إحدى العمارات الشاهقة . تقدمت

الأم من البواب وسألته عن أخيها . صحبها إلى المصعد . توقف فى الدور العاشر . هبط قلبها . ضغطت جرس الباب . فتحت الباب سيدة كاملة الزينة . ساد صمت ثقيل والسيدة تتفحص الغريبات .

قالت الأم :

ـ أنا كريمة . . . أخت . . . .

تلعثمت ثم أضافت :

ـ أخت البيه عبد الجواد

قالت السيدة بصوت يخلو من الانفعال .

ـ تفضل .

دخلت الأم وبناتها . أشارت السيدة لهن بالجلوس فى الصالة . وضعت الأم السلتين بجوار باب الشقة . تركتهن السيدة ولم تعلق بكلمة .

تغاضت الأم عن اللقاء الجاف . فكرت فى شكل أخيها ، هل ازداد طولا ، هل ازداد سمنة على سمنته ؟ وأولاده هل يشبهون ملامحه ، أولاده ، لماذا لم يأتوا لتراهم ؟ همست « دلوقتى تشوفيهم يا كريمة » . أرخت يديها فى حجرها وابتسمت فى رضا ، وقلبها يخفق استعجالا لرؤية أخيها .

داخت عيون البنات ما بين النجف الضخم المعلق فى السقف وبين امتداد الصالة إلى صالة أخرى . تذكرن مسلسلات التليفزيون ، وابتسمن فى رضا ، ونظرن لأمهن بإعجاب وهمسن : صدق كلامها عن الحال الغائب .

ازدادت ضربات الفرح فى قلب الأم وأخوها يتقدم نحوها . ازداد سمنة ، وكأنه ازداد طولا . فرحت أكثر . تأملت شعر رأسه اللامع كشعر النساء . ابتسمت . مدّ ذراعه ليصافحها . انكمش حضنها الخصيب الدافىء . انقبض الصدر ومال الجذع إلى الوراء ، اكتفت بمد الذراع كما أراد وحدد شكل السلام . لهفتها لا تختنق ، تقاوم ، مظهر عابر لا يقتل أشواق السنين . « يمكن المتعلمين لهم طريقتهم فى السلام يا كريمة » .

أمطرته بسيول من الأسئلة ، عن صحته وأين سافر وهل هو سعيد فى زواجه . ثم بصوت عاتب - كأنما تتذكر عرضا - حتى زواجك لم تخبرنى به . نسيت أن لك أختا . . . نسيت أننى كنت لك الأم .

يتضاحك متجاهلا كل ما يعكر صفو اللقاء . . مشاغل . . مشاغل يا كريمة . . بس أنا كنت عارف كل أخبارك . . ما تزعليش منى .

تبتسم . مش زعلانه يا عبد الجواد . قلب الأم يغضب وينسى . مادام افتكرتنى نسيت كل حاجة .

تغوص بعينيها فى وجهه . تتمنى أن تقوم وتلمس جسده . . تشم عرقه . . تتأكد من نبضاته التى انتظمت على صدرها . . تهدهده . . تدخله الحضن الثرى الدفىء . . ابتسمت وهى تراه عاريا ، تنظف مؤخرته وتدعك ظهره وتصب الماء الدافىء وتلفه فى الفوطة وتدخله صدرها سريعا ، وكأن أمراض البرد ذئاب تتخطف الأطفال . هل أذكره يا كريمة فلا أبخل عليه بالذكريات ، يستعيد قلبانا الماضى سويا ؟ . أيام الشقاء والشقاوة . . تعاسة اليتم والعوز ، وبهجة القلب وهو ينمو ويدخل المدارس والجامعة و . . .

ودول بناتك يا كريمة ؟

أفاقت ، ابتسمت ، نظرت الى بناتها بإعزاز ، هزت رأسها . غير اللى فى البيت . . . وآخر خلفتى ولد سميته معتز .

معتز اسم جميل .

آه . . أصل أبوه مات قبل ما اولده . تعرف يا عبد الجواد . . كل ما ابص لابنى معتز افتكرك و . . .

كادت أن تحكى عن دموع الوحشة والخوف من مجهول . سكتت .

وعايشة ازاى يا كريمة ؟

تتشابه الخفقات فى قلوب الأم وبناتها . أهو سؤال شفقة ؟ أم قياس لدفع الدين القديم ؟

أبو العيال كان عتالا فى شركة . طلع لنا قرشين معاش و . . .

توقف النبض فى قلوب البنات . . لا يا أمى . . لا تقولى إنك تخدمين فى البيوت . . . وآهى ماشية يا عبد الجواد يا أخويا .

همست عائشة فى أذان أمها : أنا عطشانة قوى ومكسوفة اتكلم .

ابتسمت الأم . قالت : والنبى شوية مية يا عبد الجواد . انت عارف السفر بيعطش .

نهض وهو يبتسم . قال : ازاى فاتت علىّ الحكاية دى ؟ !

عاد بعد قليل يحمل صينية عليها أكواب فارغة ودورق مياه وأربع زجاجات كوكاكولا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال : أصل المدام مشغولة فى المطبخ .. بتجهز لنا الغدا .. مسكينة .. واقفة لوحدها .. تصورى يا كريمة سألنا كثير على واحدة تكون بنت حلال .. علشان تساعد المدام . مش لاقيين .

سألت كريمة فى لهفة فرحة :

ـ يعنى انت خلاص ناوى تقعد فى مصر على طول ؟

ـ أبدا . أنا قاعد فى مصر شهرين وراجع السعودية تانى .

شهران ويعود حيث كان . شهران ويختفى فى غربته . شهران ويبدأ غياب جديد وتتجذر القطيعة ؟ حبست دموعها . لا مكان للأسى واللحظة طغيان الفرح . وهل يعود فينسى بعد أن تذكر ؟ أخرجت المنديل تجفف عرقها ، خرج الخطاب مع المنديل . لا أطمع فى أكثر من خطاب كل فترة ، أطمئن عليك وعلى أولادك .

أولاده ؟ أين أولاده ؟

أمال فين ولادك فين ؟ مش حانشوفهم واللاّ إيه ؟

دارى تلعثمه . قال : آه .. طبعا طبعا .

تقدمت الزوجة وقالت بصوت ثلجى : اتفضلوا السفرة جاهزة .

فرحت الأم بهذا الاهتمام ، والصوت الثلجى لم يمس حرارة الصدر الجياش .

همست الزوجة لزوجها وهى تهرس الطعام فى فمها :

ـ ادخل فى الموضوع .. مستنى إيه ؟

همس الزوج :

ـ اصبرى .. بعد الغدا أحسن .

بعد الغدا قال لأخته : ايه رأيك يا كريمة نشرب الشاى أنا وانت فى المكتب .. عايزك فى كلمتين .. والمدام تشرب الشاى مع البنات .

عايزنى فى كلمتين ؟ ! حماك الله يا أخى .. تختفى آلام المفاصل .. تزول أيام الشقاء يتبخر النكران . عايزنى فى كلمتين ؟ . يا فرحة القلب يتفتح على ود . لا يا أخى .. يكفينى أنك تذكرت .. يكفينى سؤالك عنى .. يكفينى اطمئنانى عليك .

عايز أمنا فى كلمتين ؟ تخفق القلوب بفرح طائش .. تحلق النظرات ، تطير ، تحط على الصندوق الكرتونى الساكن تحت السرير . يكون لكل بنت منا صندوق . تمتد الأحلام وتتأود الأذرع بحذر لذيذ من ثقل الحقائب الجلدية ، وربما تخشخش فى الصدور بعض النقود .

* * *

دخلا غرفة المكتب . قلب المرأة يصطخب وصوت الرجل يتسلل :

أنا عارف ان فى رقبتى دين لك يا كريمة .

يا حبيبى .. دا انت ابنى .

وقلت لازم أسدد الدين اللى علىّ .. وعلشان كده بعت لك الجواب .. خصوصا لما عرفت من بعض الأقارب ان عندك بنات .

لو البنات جنبى .. لو معتز هنا .. يسمعوا خالهم وهوّ بيتكلم ؟

أنا مسافر بعد شهرين السعودية . وعايز بنت ناس طيبين وأمينة تسافر معانا .. وقلت فى نفسى مفيش أحسن من بنت من بنات اختى .. و ..

ادارت وجهها بعيداً عنه . والصوت يأتى طنينا كالذباب فى غرفة خانقة .

وفى نفس الوقت أسدد الدين اللى فى رقبتى .. حا اعمل لها ٢٠٠ جنيه فى الشهر .. تتماسك .

مالك يا كريمة ؟ ساكتة ليه ؟ هناك بيسموها مربية ، مشرفة . وبعدين أنا خالها وحتكون فى عينى .

تتفجر صورة الطفل يبكى .. بطنه على ذراع والأخرى تنظف مؤخرته . أسئلة كثيرة تطن فى الرأس . تساءلت : ما جدوى الأسئلة ؟

وقفت البنات يتأملن وجه أمهن بفزع . ليس هو الوجه المحبب إليهن . بحثن عن وجه الأم فى الملامح الشبيهة . أسرعن إليها وتحاملت عليهن . أشارت إلى باب الشقة . وقع بصرها على السلتين الكبيرتين . قال عبد الجواد .. انتظرى حتى الصباح .. أنا كنت عايز أساعدك .

. . . . . .

فى طريق العودة سألت البنات عما حدث . غالبت الأم إحساسا بالحيرة والهزيمة ، وتساءلت هل أحكى لهن ما حدث ؟

طلعت سنوسى رضوان

حجاج حسن أدول

قصة

مهانة شارد الذهن

يتهمونني بأني دائم الشرود ومُدْمن لأحلام اليقظة ، لكنهم يبالغون . في عملي أصبحت باعثاً لسرور زملائي وزميلاتي وهدفا لفكاهاتهم . وهذا لا يعني بأني موضع سخرية أبدا . . فهم يحبونني وأحبهم . أتعثر أنا في نهاية العشرينات ، لم أتزوج بعد . . آه . . هنا بيت القصيد ، لم أتزوج بعد ، قطعا لم أصبح عانسا ، فأنا رجل ، ثم إني لست بقبيح ، بالعكس أنا وسيم ، وبشيء من الحظ سأكون في الشاشة الأول في ديوان عمل زحام من العاملين رجال وسيدات . صراحة أصبو إلى الأناث طبعا . هل هذا خطأ ؟ لا أظن ، فأنا كأي رجل تهدر في دمي تيارات عنيفة ، ولم أتزوج بعد . .

لذا إذا حدثتني زميلة وأطالت ، لا أشعر بها إلا كأنثى . . أنثى فقط ، لا أرى سوى شفتين تنفرجان وتنطبقان ولكني لا أسمع صوتا . أذهب بمحدثتي في شطحات خيالية بعيدة . . أفيق على قهقهة زملائي وزميلاتي وتعليقاتهم : عاد لشروده ! .

احترسي منه يافلانة فإن نظرته خبيثة ، ثم تعقيب رئيس القسم : (ما دام كبرت خلل أبوك يجوزك) دائما يكرر هذا القول السخيف ، وحين أدافع عن نفسي بأني لم أكن شاردا يكون الرد : إذن ماذا كانت تقول لك ؟ ولماذا لا يشرد ذهنك الا اذا حدثتك أنثى ؟ يالئيم ! . أحاصر .

أتهمت ظلما بأني تماديت في شرودي وكدت أطبع قبلة على خد فتاة من زميلاتي ! ربي . . هل تملكني الشرود إلى هذا المدى ؟ .

حدث يوما ، زميلة صارخة الجسد ، وقفت بجواري وأعطت ظهرها لي ، تحادث أخرى تحتل المكتب المجاور ، مالت بجسدها بحيث واجهني عجزها الضخم ، ولما كانت منشغلة في حديثها الذي طال وهي تدوّن ملاحظات وتقلب ملفات فقد كان عجزها يتمايل يمنه ويسره كأنه قرص رادار ضخم لا يلتقط سوى حدقتي عيني المتابعتين تصاعدت الضحكات أكثر حتى استدار العجز عن وجه غاضب أرسل إلى عبارات قاسية ، تنبهت لموقفي ، أحرجت لساعة ، لكن مر اليوم بسلام ومرح حتى إن السيدة صارخة الجسد نفسها ضحكت بخجل أولا ثم بدون خجل .

حدث شيء عجيب مع الأيام ، فقد أصبحت أنا في الديوان كله مقياسا لمدى أنوثة كل أنثى فيه ، فالتي تحظى بنظرتي الشاردة أنوثتها أعمق . من تخطف بصري بسرعة فهي اليوم أجمل . وتلك فستانها أحلى وهكذا . لا يضايقني سوى رئيس القسم في قوله المتكرر الممجوج : (ما دام كبرت خلل أبوك يجوزك) . . سخافة ! كيف يتزوج موظف ؟ . . أسكن وعائلتي في شقة تشاركنا فيها عائلة أخرى ، أملك القليل جدا في زمن سُمِّي فيه الألف من الجنيهات بالباكو ، والمليون بالأرنب وأبي لا يكاد يدبر عشاء إخوتي الصغار .

في يوم عصيب لا ينسى أهنت اهانة بالغة . بعد العمل اتجهت لأستقل الأتوبيس ، اقتربت من العمارة الجديدة التي أتابع نموها يوميا ، كادت تكتمل اثني عشر طابقا ، صاحبها

رجل غليظ لا يكبرنى الا بسنوات قليلة ، دائما يرتدى بدلة كاملة بدون ربطة عنق ، أجش الصوت ، يتحشرج صدره بصوت مسموع حتى وهو جالس فى مدخل عمارته . . آه . . كثيرا ما راودتنى أحلام اليقظة بأنى حصلت على شقة فى هذه العمارة ، وأن هذا الجلف الغليظ أعطانى شقة مقابل بضعة بواكى افترضت أنى أملكها ! أحلم أنه رق لحالى ورغبتى فى الزواج فوهبنى شقة بدون خلو . . هأ . . مرة واحدة حلمت بهذا ، ولم أكرر الحلم ، فتكوين هذا الثور الغليظ سحق حلمى وأطاره بحشرجة صدره .

فى هذا اليوم المؤلم إذا بفتاة بيضاء جميلة أمامى ، ذات شعر أصفر قصير يهتز كما يهتز بدنها فيتقافز قلبى ويشرد ذهنى . تسير جادة ، لكن جسدها ليس جادا ، فاهتزازاته خطيرة ، جمالها يلهب ، ترى . . هل سأتزوج يوما ؟ ضايقها صاحب العمارة الجلف عندما مرت من أمامه وهو يحشرج على مقعده . مضت الفتاة وأنا خلفها ، كان طريقنا واحدا حتى وصلنا لمحطة الأتوبيس ، وقفنا بين الزحام . لا أرفع عينى عنها . وأتى الأتوبيس ، زحام صعدنا إلى زحام . دفع ولكز ووطء أقدام على أقدام ، رائحة خليط العرق ، محطة واثنتان وإذا بى أقف خلف الشقراء الجميلة ، لم أقصد الحصول على هذا الوضع الرهيب ، لكن كان أن حصلت عليه ! ما أجمل جيدها شعرها القصير ترك أجمل عنق رأيته عاريا ، ناصع البياض هابطا فى انسياب ساحر ونداء عميق ليخفيه رداء شفاف . أشعر بجسدها ، الزحام يشتد والحشر يتضاغط أكثر وأكثر ، ثم لا أشعر بحشر ولا بشىء . اشرد تحملنى سحابة ، وردية أرانى أملك شقة فى عمارة الغليظ وأتزوج تلك البيضاء التى ألتصق بها تماما . أشعر بلذة ودفء ساحر . سعيد أنا بزواجى وزوجتى ، أستيقظ صباحا فإذا بزوجتى الجميلة أمامى تبتسم لى ، تودعنى وأذهب لعملى ، أعود سريعا لها ، إنها تنتظرنى ، أعطتنى ظهرها فى دلال ، غاضبة فقد تأخرت عليها دقائق . ما أجمل عنقها ! . لا أستطيع أن أتركك غاضبة ياشقرائى الرائعة . . أقبلك قبلة مصالحة أحتضن ظهرك الرقيق . . جيدك الناصع يجذب فمى اليه . . كم أنت جميلة . . نفرت زوجتى من يدى . . صرخت بقوة . . التفتت الى فى قسوة ، عجبا . . أفادر وجه زوجتى الجميل على حمل كل هذا الغضب القاسى ؟ ياعجرم ! ياسافل ! ما هذا ؟ أتلعن زوجها ؟ اختلطت تركيبيات الصور الذهنية فى رأسى . ياربى . . هوت على صفعة منها . ثم بصقة . . صفعة أخرى من راكب . . أنا لا أحلم ولكنى أتهزأ تتوالى الصفعات . سأدافع عن نفسى . أسأل البيضاء : ما بك ياآنسة ؟ زادت الصفعات وارتفعت اللعنات وأنا فى وجوم . وبين كل هذه الصفعات هوت لكمة كأنها ضربة مرزبة على رأسى . هزتنى اللكمة بشدة فلم أعد أرى ، وأذا بى أعرف صاحب اللكمة المرزبة من صوته . . إنه الغليظ صاحب العمارة ! من أين أتى ؟ وأين سيارته الفاخرة ؟ حشرجة صدره تقترب . أوعى ياجدع ، قالها الغليظ ، أعطانى لكمة أخرى من نفس النوع . لا أستطيع أن أقاوم ركاب اتوبيس كامل وبينهم هذا الثور الغليظ . أتاوه وأضع صفحة وجهى بين كفى ، يقل وعيى ويتراخى جسدى لكنى لا أغوص فكثافة الحشر تعلقنى شبه متدلى . لم أعد أسمع لعنات فقط لكمات وصفعات كأنها قرعات على طبلة مشدودة جلدُها جلدى . ثم تهبط لكمة الثور الغليظ كأنها عمارة تسقط على شخصى المتهالك . لكمات وصفعات . . ثم عمارة أخرى تسقط مع هبوط يد الثور .

تخف عنى الضربات واتسمع صراخا يردد كلمة حرام . . حرام . . تتكرر بصوت السيدات ثم الرجال . الآن أرفع من كل جانب لأنتصب واقفا ثم أدفع ناحية باب الأتوبيس . هل سيلفظنى من الأتوبيس وهو ينهب الأرض ؟ ياخوفى ! . هل سأتحمل القائى وأنا بهذا الضعف ؟ الأتوبيس يتوقف ، رجل عجوز قوى نوعا يساعدنى فى الهبوط ، أستند على الحائط منهوكا ، العجوز بمنديل يمسح وجهى . أشيح بوجهى عن منديله الذى تلوث بالدم وأنظر إلى الأتوبيس وهو يبدأ فى التحرك . أتبين البيضاء والثور الغليظ يقف خلفها فى مكانى المفقود تماما .

العجوز يحادثنى : أأنت بخير ؟ الحمد لله أنك خرجت سليما ، لكن . . لكن لم فعلت ذلك ؟ « مدام كبرت خلل أبوك يجوزك » . صدمتنى جملته . نظرت اليه ، ضحكت ، انفجرت فى الضحك ، العجوز يراقبنى مندهشا وأنا أضحك ، يضرب كفا بكف ، يبتعد وهو يحادث نفسه : أكيد عقله غير سليم . . وأنا أضحك ودموع من عينى تسيل وتختلط بلون أحمر يسيل من أنفى وفمى .

حجاج حسن ادول

قصة

رائحة الزهور البرية

(١) رزق أبو العلا

فى الطريق المؤدية للسوق ، والمعدية . وبموقف عربات الحنطور المرهقة تجد كشك (رزق أبو العلا) حيث تزكم أنفك لحظة عبورك رائحة الروث مختلطة برائحة الجرايد والكتب ، وثرثرة الباعة ، وصهيل الخيول الجائعة .

يجتمع أمامه أصدقائى . . يتصفحون الجرايد على مهل ، ويناقشونهاعلى مهل . . ويتركونهاعلى مهل .

قد تأخذ جريدة أو مجلة دون إخطاره ، فيغض الطرف ونكتشف عند المحاسبة أنه يرقب كل شىء . . لكنه لا يحرج ، ولا يطالب . . ولاينتظر ، وتربطنا به ألفة لا ندرى لها سببا ، ولا نحاول .

« ورزق أبو العلا يميز بين أصناف الكتب والمجلات ويدرك أثمانها ويترجم أسعار الدوريات الوافدة من درهم ، وريال ، وفلس ، وليرة ، وهللا . ويحسن استعمال جهاز الكمبيوتر فى رأسه الغجرى الملامح ، ويتركك تبحث عن الثمن فى الداخل تراجع حساباتك وفى النهاية تتفق معه .

لا يثرثر ويؤثر الاستماع ويقرأ أعماق كل منا رغم أنه لم يدخل مدرسة ولم يجلس الى معلم فى كتاب .

وكانت أذنه دائما معنا . . وقلبه . . تراه عابرا فيدخل قلبك دون إذن . وتدرك أنه يعيش فينا ، ونعيش فيه . ويفهم كل ما نقول ، ولا يتدخل . . وفى خلافاتنا لا يتدخل . . ولكننا فى النهاية نحكى له ونحكمه ونرتاح .

إذا سأله أحد عن عنوان أو عنوان أحد أصدقائى يقول له ، وفى وجهه صبح ، وفى عينيه مساء . .

-- انتظره هنا . . سوف يأتى .

وقد تطول فترة الانتظار ويمتد القلق فيلح السائل عن العنوان ولا يجد سوى إجابة هادئة .

-- تصفح الجرايد . . وانتظر . . هذا ميعاده . . سوف يأتى .

ومعذور (رزق أبو العلا) فهو حقيقة لا يعرف عنوان أحد . . ولا يجهد نفسه أو يشغل باله بمعرفة عنوان أحد . . لأنه لم يحاول . . ولأن « الأحد » سوف يأتى .

(٢) الرجل صاحب المنظار السميك .

سألت رزق عن الرجل صاحب المنظار السميك ، والبدلة الكاملة والحذاء اللامع الذى يأتى أمام الكشك الخشبى الأخضر وتتسمر قدماه ويأكل المعروضات بعينيه ويتوقف عند كل جريدة ويتلكأ عند كل كتاب ويقطف ما يشاء ويدفع ثمنه ، وأحيانا يؤجل الدفع ، ولا يبحث فى جيوبه عن حافظة . . ولا يراجع رزق ورزق لا يراجعه .

طلبت من باب العشم أن يعطينى عنه بعض المعلومات

التافهة ، التى لا تغنى لكنها تفك رمز الغموض الذى يغلّفه ، ويجعل للحبل الذى يربطنى به قيمه ومعنى . فقد خيل لى أن العيون تتجاوب ، ولكن . . لا أحد يستطيع أن يسأل . . تلتقى خيوط الأشعة الأفقية ، والرأسية ، ولكن الصمت أقوى .

كان الرجل يأخذ كل حاجاته ، ويمضى ، ويترك التساؤل بداخلى ينمو ، يتوحش ، وكان لا يلقى إلينا بالسلام . وكنت أرى له عذرا لا أدرى سببه .

كان رزق ابو العلا كعادته يجيب على سؤالى بسؤال . .

-- من ؟

وبعد أن أصفه له ، وأحدد السؤال . . يكون الرجل قد مضى كطيف . . ويبقى السؤال معلقا كغيره ، وتتمدد علامة الاستفهام .

أتحرق للإجابة ، ولا يمكننى أن أسأل سوى (رزق ابو العلا) . . ورزق يتركنى فى الزحام . . وأجد لديه المبرر لعدم الإجابة .

خجلت من نفسى فلم أعد أحاول ، فالأمر أصبح محرجا ، ومع الوقت عرفت نماذج كثيرة متشابهة تتعامل مع رزق . . وتتعامل مع الصمت فى رأسى .

(٣) رزق أبو العلا يلوح بالمفتاح .

الرجل الانيق أشيب الفودين ، صاحب المنظار السميك ، والبدلة المتكاملة صيفا وشتاء ، يقطف الجرايد والمجلات ، ويتصفح ما لا يأخذ . . ودون أن يسأل عن دوريات تأتى شحيحة كالمطر فى برمهات . . يدخل رزق ويحضرها من باطن الكشك الخشبى الأخضر ويناوله ، فيدفع الرجل ، ويتبادلان صمتاً ، واحيانا يغيض فى ابتسامة مرسومة على شفيته المرتعشتين ويمضى .

تتوقف عجلة الأحداث ، وتفقد التساؤلات معناها . . فرزق يحتفظ لنا فى الكشك بمثل هذه المجلات والجرايد ذوات الورق المصقول ، والسعر الرخيص .

ورغم أننى أصر على نزع حكاية الرجل من رأسى لكنى لا أزعم أنها غادرتنى ، فما زال بداخلى التساؤل ، وتحتل فى نفسى مكانا يستحيل تغافله أو اسقاطه من الحساب . . ورزق هو الوحيد الذى لديه النقط التى تحتاجها الحروف . . لكنه لا يفعل .

عندما تأهب الرجل للسؤال يسلم حاجاته ويمضى . قال رزق فى عتمة وجه :

ـ معك الله .

فى فقة من ضاع وليدها وعثرت عليه صدفة قلت :

ـ من ؟

قال وهو يعدل من هيئة الجرايد ، ويحميها بوضع الأحجار على صدرها حتى لا تطير .

ـ يحمل مسئولية أسر أبنائه الثلاثة .

تساءلت .

ـ ماتوا ؟

كان الذهن يرفض تصور هجرتهم ، أو تجنيدهم . . أو حتى موتهم ، فطريقة الإعلام تؤكد أن الأمر يختلف .

ـ الثلاثة يذهبون

يغيبون فترة ثم يعودون .

فى إصرار طفل ملحاح كثير السؤال :

ـ يذهبون الى أين ؟

قال رزق ابو العلا :

ـ كانوا أصدقائى مثلكم .

مازالوا أصدقائى مثلكم .

مثلكم يأتون هنا . عنوانهم الثابت هنا .

يقرأون الكتب . . ويقرأون المجلات .

ويفكرون

أعدت عليه السؤال ، ورجوته الاّ يغضب .

ـ يذهبون إلى أين ؟

صهلت بعض خيول الخاطير المهملة . . ضربت بحوافرها الأرض . اهتزت رأس رزق ، جاوبنى صمته .

لم تكن رغبتى فى معرفة الرجل تحمل الصدارة بقدر ما كان صدى السؤال .

ـ يذهبون الى أين ؟

قال رزق فى غيظ ، ولأول مرة يضيق صدره :

ـ ألم أقل لك ؟

لم أقدر على الاستمرار فى المجادلة .

ماتت فى قلبى الرغبة فى السؤال . .

والرغبة فى الاجابة .

طنطا : صالح السيد الصياد

قصة

القناديل .. والبحر

« يا إلهى ! . متى يطلع النهار ؟ !

قال لنفسه والألم يسحقه ، وسيل من النيران ينصب فى نخاعه الشوكى ويحرقه .

« لا بد أنها الحمى ! » . ترى هل سيصمد حتى يجىء الصباح ؟ . كان يود لو ينام بعض الوقت لكن الألم الذى راح إيقاعه يتصاعد فى دمه كان أقوى من أى مخدر .

تطلع إلى عقارب ساعته وتبين بصعوبة أنها الثالثة . . ومازال أمامه أكثر من ساعتين حتى بزوغ الفجر .

أصغى إلى صوت انهمار المطر على سقف « العشة » المصنوع من الأجروالبوص ، وتفوقع على نفسه أكثر وأكثر لشدة إحساسه بالبرد . كان المطر قد بدأ يهطل بغزارة وعنف ، لم يكف لحظة ولم يهدأ منذ هبط المساء .

أحس بالفزع من صوت الرعد والبرق الذى كان يلتمع على زجاج النوافذ المغلقة ، وضاعف من خوفه صوت الريح التى كانت تصفر بين الجدران الهشة ، وهدير الأمواج الذى ما انفك يعلو وينخفض .

« لماذا يا ترى تستيقظ الآلام حين يحل الظلام ؟ ، لماذا تتحين فرصة انفراد المرء بنفسه وعزلته فى فراشه لتغتاله ؟ .

تذكر كيف كان يستيقظ وقد دهمه الألم قبل انتصاف الليل بقليل ويظل يروح ويجىء فى الطرقة الطويلة الباردة المضاءة بلمبات النيون مستندا على الحوائط ، مهدهدا أوجاعه دونما جدوى ثم يكتشف فجأة أن كل الرفاق الجرحى فى العنابر المكدسة قد استيقظوا مثله واندمجوا فى كورس الأنين المتصاعد .

كان جراح العظام الذى عالجه قد نصحه وقتها ببتر ساقه لأنها - على حد قوله - لن تصمد طويلا ، فالوصلات العصبية تهتكت تماما . لكنه ارتعب وقتها من الفكرة ، وصمم على بقاء الساق فى مكانها حتى ، وإن تيبست بعد حين ومات فيها الإحساس ، وحتى لو اضطر إلى تركيب جهاز طبى للحركة يضاعف من إحساسه بعاهته .

لكنه لم يكن يتخيل وقتها حجم الآلام التى سيرزح تحتها ، ولا الثمن الفادح الذى سيدفعه نتيجة لتشبثه برأيه .

أغمض عينيه برهة وحاول أن يتناسى آلامه . فأشرقت على صفحة ذهنه صورة « هند » ودموعها فوق أهدابها السوداء الطويلة تأبى أن تنحدر ، وأحس بزلزال عنيف يعصف بإرادته وتصميمه ، ولولا أنها أولته ظهرها فى تلك اللحظة ومضت لكان قد ركع تحت قدميها وتوسل إليها ألا تتركه .

ترى ما الذى أتى به إلى هنا ؟ أى منفى هذا الذى اختاره لنفسه ؟ وأى سلوى تلك التى جاء يبحث عنها على هذا الشاطىء المقفر ؟ وهل يمكن للمرء أن يهرب من هواجسه وأحلامه ؟ .

فكر فى مضاعفة كمية الأقراص المنومة ليحظى ببضع ساعات يستريح فيها من آلامه . . لكنه عدل عن تفكيره ،

وقرر ألا يغمض له جفن حتى ينبلج الصبح ، خوفا من مداهمة ذلك الكابوس الذى أخذ يراوده منذ بضع ليال . كابوس كان يرى فيه صورة زملائه من الجنود الذين شوهتهم الحرب والذين رافقوه زمنا فى عنبر الجراحة وهم ينبعثون من رقادهم الطويل ملفوفين جميعا فى ضمادات بيضاء ، مبتورى الأذرع أو السيقان وقد اصطفوا فى ردهة المستشفى الكئيب يتقدمهم فوق مقعده المتحرك صديقه مجدى عامر .

كانوا يحيطون به - فى الحلم - ويندفعون لمعانقته كلهم دفعة واحدة فيغص حلقه بالدموع الحبيسة ويحس بالاختناق ، ولا يلبث أن يستيقظ فزعا وقد أغرق جسده فى بحر من عرق .

ترى أكانت لديه رغبة حقيقية فى الموت ؟ هل كان يتمنى لو لحق بزملائه الذين رحلوا ؟ ما الذى جعله يتقاعس إذن عن تحقيق أمنيته ؟ هل كان يأمل فى شىء لم يتحقق ؟ !

لم يستطع الوصول بعقله المجهد إلى إجابة محددة ، ولا استطاع أن يزيح عن ذهنه المكدود تلك الهواجس الملحة ، لكنه تذكر مشهد قناديل البحر التى رآها فى الظهيرة على الشاطىء وهى تخرج أفواجا فوق موجات البحر لتلقى حتفها على الرمال .

ترى هل كانت تنتحر باختيارها ؟ . . وهل جاء إلى هنا هو أيضا ليموت فى عزلته باختياره ؟

أصغى الى صوت البحر الذى استكانت أمواجه ، وتحولت شيئا فشيئا إلى وشيش هامس ومنتظم ، وانسحبت الريح مرة واحدة إلى مكمنها الغائر ، وتباطأ إيقاع المطر وخف عنفوانه ثم ما لبث ان انقطع . وأحس بسكون العالم من حوله يتسلل إلى نفسه تدريجيا وقرر أن يخرج ليشاهد البحر لحظة الشروق .

* * *

تناول بعض الأقراص المسكنة ثم لف جسده فى بطانية ثقيلة ، وتقدم نحو الشرفة . تطلع من خلال زجاجها المغلق إلى صفحة البحر المظلمة ، ولاحظ كيف بدأ المد يزحف على طول الشاطىء .

فتح زجاج الشرفة متهيبا وخرج ، كان الجو قد بدأ يميل إلى الدفء ، أضاء مصباح النور ليبدد خوفه واقتعد كرسيا قرب السياج العريض .

روعه منظر القناديل الزرقاء فى الحبل المتدلى من ماسورة الحمام وقد جحظت عيناه وهو مستلق فوق الكرسى ذى العجلات .

وتذكر آخر مرة شاهده فيها عقب الموقف العاصف الذى حدث بينه وبين زوجته . كان يصرخ فيها بحدة ، ويرجوها ألا تزوره يوميا فى المستشفى كما تفعل ، وحين عاتبه على خشونته معها قال له إنه أرغم نفسه على هذه القسوة ، وإنه كان مضطرا لذلك إذ كان على يقين من أنه سيظل ما بقى من عمره - اذا كان له عمر - مجرد جثة متحركة ، وسوف يكون عبئا على زوجته المسكينة وعلى الآخرين ، مادام حيا . . وأنه لأهون عليه أن يموت بدلا من الاستمرار فى الحياة مع العجز الشائن .

لماذا إذن عجز هو عن اتخاذ قراره ؟ . لماذا جبن وتخاذل وجاء الى هنا لينفرد بنفسه ويجتر آلامه ؟ . هل صار يستعذب إيلام النفس . . وإيلام الآخرين ؟ .

تذكر دموعها وهى تلتمع على أهدابها فى صمت ، وتشبثها بعنقه للمرة الأخيرة وهى تقول : أرجوك لا تضيعنى . . اذا كنت تحبنى حقا ، فلا بد أن تتخذ القرار الآن . وإلا فلن تراني بعد ذلك أبدا .

كيف طاوعه قلبه على ارتكاب هذه القسوة ، وبمثل هذا الإصرار ، تجاه الإنسان الوحيد الذى يعرف مدى حبه ؟ لقد جاءته فى صباح اليوم الذى سيعقد فيه عقد قرانها على قريب لها لتمنحه فرصة أخيرة ، لكنه أهدرها .

كان بإمكانه أن يطاوعها . . كان بإمكانه أن يتزوجها . لكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة خوفا من المستقبل . . خوفا من نظرة الندم التى قد يلمحها فى عينيها ذات يوم ، وخوفا من استمرار الحياة بينهما بعد ذلك تحت مظلة الإشفاق على حد تعبير صديقه الراحل .

خرج من الشرفة ، وراح يتمشى على الشاطىء . لم يحاول أن يمضى بعيدا . . حتى لا يصعب عليه الرجوع . كانت الأمواج الصغيرة تقفز على ساقيه من آن لآخر . لم تكن المياه باردة كما تصور . تذكر دفء المياه فى منطقة الشيخ زويد التى زارها بالأمس ، وشفافية البحر التى تنم عن القاع الأشهب عبر مسافات طويلة فى العمق . وبعدها ذهبوا لزيارة إلى مستعمرة ياميت . أفزعه منظر الدمار والتخريب المتعمد وروعه منظر الأرض السوداء المحترقة . . وشعر بالغضب يتأجج فى صدره . ولما عرجوا على رفح وشاهد بعينيه السلك الشائك الذى يقسم البلدة الى نصفين وشاهد جنود العدو فوق البرج وقد نصبت فوق أسواره المدافع الرشاشة ، وهم يرتدون البنطلون « الشورت » ويحتسون علب البيرة الأمريكانى ويرقبون الأهالى الذين يحادث بعضهم بعضا عبر الأسلاك

أشاح بوجهه ألما وتأسى على أرواح زملائه الذين ماتوا ومزقت أشلاؤهم من أجل استرداد هذه الأرض .

واصطدمت ساقه المصابة فى تلك اللحظة بأحد القناديل الميتة فاقشعر جسده ، وتذكر مرة أخرى ذلك الفيلم الذى كان قد شاهده فى التليفزيون عن حادث انتحار مجموعة كبيرة من الحيتان خرجت باختيارها من البحر لتلقى حتفها على الشاطىء .

ترى هل كانت تعلن بذلك الفعل عن احتجاجها الأخرس على واقع فرض عليها ، واقع غاشم تأبى أن تتكيف معه أو تقبله ؟

ربما . . ربما . أنه لم يعد يدرى شيئا .

تطلع الى صفحة السماء التى كانت تزداد حلكه مع اقتراب الفجر . كان يعرف من سابق خبرته أن تلك هى اللحظة التى تسبق انبثاق النور من قلب الظلام . كان يحلو له أن يرقب مجىء هذه اللحظة حينما كان يتولى الحراسة فى نوبة « الشنجى » . كانت الصحراء الشاسعة من حوله تبعث الرهبة فى دخيلته فى البداية ، لكنه حينما بدأ يألفها ، عشقها وأصبحت تدخل السكينة إلى نفسه . كان يحلم وقتها وهو مفتوح العينين . كان يجتر أحلامه الكبيرة عن حبيبته هند . . ويستعيد ذكرياته معها ويرسم فى خياله أبعاد المستقبل الذى سيبنياته معا . بعد أن تمضى أيام الحرب . . لكن يا لضياع الأمال والأحلام !

ترى هل مازال فى العمر بقية لأية أوهام ؟ . هل ضاعت الفرصة الأخيرة حقا من بين يديه إلى الأبد ؟ ـ وإذن ما الذى ينبغى أن يفعله بحياته . إذا كان الأمر كذلك ؟ هل ينتحر مثل الحيتان وقناديل البحر الخرساء ؟ .

ما العمل ؟ .

هذا هو السؤال . الذى سيظل معلقا لفترة لا يدرى مداها ، حتى ينتهى تردده وتذبذب إرادته .

دار ببصره عبر غابة النخيل الشاهقة المنتصبة فى شموخ على طول الشواطىء الممتدة عبر الأفق . وجر ساقيه للوراء واستند بكتفه على السياج الحجرى للشرفة ، وتطلع إلى قبة السماء الهائلة من فوقه . كانت الظلمة قد بدأت تتراجع وتشف ، وكان هناك بصيص من نور هو مزيج من الأزرق والفضى قد بدأ يعلن عن نفسه باستحياء ولكن بإصرار لا يحيد . . لينبىء عن نهار - حتما - سوف يولد مع الفجر الجديد .

القاهرة : عاطف فتحى

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

قصة

ليلة.. بألف ليلة وليلة

صوت فرقعة دوى فى الغابة . . أسرعت جموع من مختلف الحيوانات صوب الصوت لتتبين سببه ، وجدوا شجرة ضخمة مقتلعة من الأرض . . وقفوا مندهشين . . كيف يمكن أن تقع مثل هذه الشجرة ؟ ، قال أحدهم :

ـ لا شك أن عاصفة الأمس اقتلعتها

فجأة صرخ قرد :

ـ نقود !! . .

نظروا حيث أشار ليجدوا حقيبة كبيرة انخلع غطاؤها وظهرت بداخلها رزم من الأوراق الملونة ، يبدو أن لص خزائن أخفاها تحت الشجرة حتى يخرج من السجن أو يتمكن من الهرب ، قال أكثر من حيوان :

ـ ما معنى نقود هذه ؟ . .

رد القرد :

ـ إنها شىء مهم جدا عند الإنسان ، لقد شاهدت منذ ربع ساعة فقط رجلا يمسك بمسدسه فى وجه رجل آخر وهو يقول له « أعطنى النقود بيدك بدلا من أن آخذها من جيب جثتك ! »

استغرب حيوان آخر :

ـ يا آلهى ! . . تعنى أنه كان على استعداد لقتل أخيه من أجل هذه الأوراق ؟! . .

وهمهم حيوان ثالث :

ـ لا بد إذن تكون شيئا بالغ الأهمية ! . .

قال حيوان رابع :

ـ ليتنا نعرف فيم يستخدمها الإنسان . . ربما استفدنا منها نحن أيضا . .

وتساءل حيوان خامس :

ـ أين ذهب هذا الإنسان بعد أن أخذ تلك الأوراق من زميله ؟

رد القرد وهو يشير بيده :

ـ ركب سيارته وسار فى هذا الاتجاه . .

صاحوا جميعا :

ـ إذان فلنحاول اللحاق به لنرى ماذا يصنع .

انطلقت من الغابة مجموعة الحيوانات تسير فى الاتجاه الذى أشار إليه القرد . . مقتفية أثر السيارة التى يركبها ذلك الإنسان ، كانت المجموعة خليطا من أنواع متنافرة من الحيوانات

لم يكن صعبا عليها أن تلحق بالإنسان وتتعقبه . . حتى وصل إلى فندق من أفخم فنادق المدينة ، أمام شباك المدخل أخرج بعض النقود وقدمها لإنسان آخر يجلس إلى مكتب أنيق . . ليتناول منه بدلا عنها عدة أوراق أخرى . . خرج بها سعيدا ! ، وتبادلت الحيوانات النظرات فيما بينها بدهشة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخيرا تقدمت إحدى الببغاوات من الإنسان الأنيق وسألته :

ـ ماذا أخذ هذا الإنسان مقابل النقود التى أعطاها لك ؟

ـ لقد أخذ تذاكر يحضر بها هو وأصدقاؤه الحفلة الكبرى . . حفلة رأس السنة . .

ـ وهل حفلة رأس السنة هذه جميلة ؟ . .

ـ جدا . . إنها ليلة بألف ليلة وليلة ! . .

ـ وكم ثمن التذكرة ؟

ـ مائة جنيه . . بالعشاء والتمبولا . .

ـ إذن أعطنا مائة تذكرة . . لنا جميعا . .

ـ آسف . . لا أعتقد أن إدارة الفندق سترحب بدخول الحيوانات . .

تداولت الحيوانات فيما بينها قليلا لتعاود الببغاء الحديث :

ـ سندفع لك ثلاثمائة جنيه ثمنا للتذكرة الواحدة . . أى ثلاثين ألفا للتذاكر المائة . . فما رأيك ؟

كاد الموظف يقفز من مكانه فرحا وأسرع إلى المدير . . يزف إليه البشرى السارة ، لكن المدير احتد عليه :

ـ هل جننت حتى تدخل الحيوانات إلى الفندق ؟ ، بينما أنا لا أسمح حتى لأى إنسان عادى بالدخول . . وإنما نختار أعلاهم مكانة وأرقاهم تصرفا وأوفرهم احتراما وأكثرهم أناقة وتحضرا . .

ـ لكنى أقطع التذكرة لأى شخص يدفع دون أن أسأله أية معلومات عنه أو . . .

قاطعه :

ـ بالطبع ولكن . . هل تعلم لماذا رفعنا ثمن التذكرة إلى مائة جنيه ؟ . .

ـ طبعا لارتفاع أسعار المأكولات والخدمات والهدايا . .

ـ كل هذا حقيقى فعلا . . لكن الأهم هو أننى بهذا أحدد مستوى الذين يحضرون دون أية أسئلة أو استعلامات ، فمن يدفع مثل هذا المبلغ لا بد أنه من علية القوم المرموقين . .

نظر الموظف الشاب إلى مديره بانبهار فقال الأخير متفاخرا :

ـ هذا هو الفرق بين تخطيطات الفندقة الحديثة التى تعلمناها فى معاهد متخصصة . . وبين الفندقة القديمة . . أى كلام ! . .

عاد عامل التذاكر إلى الحيوانات معتذرا . . فبدأت تلك تنسحب وقد رانت على وجوهها أمارات الإحباط وخيبة الأمل .

عقارب الساعة تجرى ، مرة أخرى يتغلب الليل ، الساعة تدق العاشرة ، وقف مدير الفندق بجوار قاطع التذاكر . . وراح يشير برأسه تجاه الوافدين وكأنه يقول له « أرأيت صدق نظريتى ؟ » ، فعلا كان المتوافدون على المكان نخبة من أرقى نجوم المجتمع . . يرتدون أفخر بذلات وفساتين السهرة ، وقد تحلت النساء بقلادات الماس ، والجميع يتصرفون بطريقة متحضرة .

الرجال يخلعون عن مرافقاتهم « كابات » الفراء ثم يقدمونها للوصفاء المعينين ، بعدها يسرعون إلى الموائد فيسحبون الكراسى لتجلس السيدات أولا ، كلماتهم زقزقة عصافير . . وبسماتهم تفتح أزهار . . ورقصاتهم تمايل أغصان . .

ويبدأ السقاة فى توزيع ذلك السائل الأصفر الساحر على الموجودين ، ترى ماذا يفعل السائل بالناس من أعاجيب ؟ ، وتمر ساعة أخرى . . فينتهى المدير من عملياته الحسابية لتلك الليلة . . ويبدأ يشعر بالجوع ، عندئذ يتذكر تلك المائدة المحجوزة له بالقاعة الكبرى . .

يفتح المدير الباب فيفاجأ بالرواد فى حالة صخب فظيعة . . يتخاطفون المأكولات . . خاصة قطع اللحم . . بأصابعهم . . بل ويمدون تلك الأصابع إلى لحم آخر . . حى !! ، بينما يضحك الجميع ضحكات غليظة . . وهم يقذفون بعضهم بعضا بالكرات وأدوات المائدة و . . بذىء الكلمات ، حتى ساد القاعة كلها جو بشع من الصراخ والعربدة والعرى والمجون الهستيرى . . بشع . . بشع . . بشع ! ، أسرع المدير ينسحب من القاعة يغلق الباب من خلفه . . ثم اتجه ثائرا إلى عامل التذاكر ليصرخ فيه :

ـ استعد غدا للمثول أمام لجنة تحقيق ، أبعد كافة تحذيراتى لك . . تنفذ فكرتك المجنونة بإدخال كل تلك الحيوانات إلى الحفل ؟؟ ، ومما يزيد المصيبة أن بعضا منها حيوانات متوحشة !! . .

العامل المسكين الذى كان النوم قد بدأ يداعب أجفانه يصاب بالذهول . . فلا يستطيع الكلام ، وعندما يجد صوته أخيرا يكون المدير قد غادره . . فبدا وكأنه يحدث نفسه :

ـ أنا ؟! . . أدخلت حيوانات ؟! . . أنا ؟ . . لكننى لم أدخل أية حيوانات على الإطلاق !! . .

كان المدير بدوره يسير وهو يحدث نفسه :

ـ اللغز الذى لا أستطيع فهمه . . هو كيف دخلت الحيوانات دون أن أراها . . رغم قرب مكتبى من القاعة ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى نفس اللحظة كانت قبيلة الحيوانات قد عادت إلى مكانها بالغابة ، بعد فترة قطع الثور الصمت المخيم متسائلا :

– هل معنى ذلك أننا لن نستطيع الاستفادة من هذه النقود على الإطلاق ؟ . .

رد الثعلب :

– بل سنستفيد ، ألا ترون الليلة شديدة البرودة ؟ . . أذن فبإمكاننا أن نوقد فيها النار فتمنحنا شيئا من الدفء . .

هلل الباقون استحسانا للفكرة ، ومن ثم خبط القرد زلطتين وأشعل النار فى الأوراق المالية ، التفت باقى الحيوانات حولها فى حلقة واسعة ، ومضوا يستدفئون وهم فى غاية من السكون والهدوء . . فى حين راح القمر يتسلق السماء فوقهم حتى وصل إلى قمتها . . متألقا كما بروش من الماس على كتف فستان سهرة من المخمل الأسود .

إحسان كمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود عبد الفتاح

قصـــة

بـــلح الشـــام

الواجهة الزجاجيَّة ــ أمام عينيه ــ حاجز صلد ، أملس وقاس ، يحرس دنيا العسل القابعة وراءه فى بهاء ، استند بأصابعه العشرة على الواجهة . قامة الصغير لا ترقى لرؤية صفوف الحلوى المتراصة ألواناً لامعةً تضوى بلون العسل . . مسح يديه فى بنطاله ثم عاود الاستناد .

تذكَّر أن لصاحبه وجهاً وقحاً ــ كبرت صورته خلف الواجهة ، ارتعشت فى زجاجها ــ ثم عاودت الاختباء فى حذر معادٍ وراء جدارها الشفاف ، لما يشوفه يندفع ــ سهماً ــ إليه ، مختبئاً وراء ظهره سياط الكلمات الموجعة ، أمس قال له : أبويا جاب لنا لديدة ومشمشية ومشبِّك من دمياط ، أيام أخرى سمع منه (أبو فروة) و(عيش السرايا)، محفورة هذه الأسماء ، مرشوقة كسكين موجع فى قلب الصغير . . لم لا يخاصمه ؟

شدته خلف الواجهة ــ أصابع مصلية بالعسل ، ترقد فيها تجاويف متموجةٌ وراقصة ، تمتد بطولها ود لو كان بالزجاج كوة ينفذ منها ، يقبض بأصابعه على الأصابع الحلوة ــ يتيه بها ، فى حيهم سال ريقه ، ثم جف ملتاعاً ــ لما عادت صورة صاحبه ، على الواجهة تهتز فى قحة معاندة ، أفاق الصغير لما بوغت بعينى البائع تبينان من وراء الواجهة مصوِّبة عداءهما ، إليه ، مشوحاً له أن يبتعد ، نزل من فوق الحجر الصغير . . تراجع منكسراً دار حول المحل دورة . . دورتين ثلاثة فى كل مرة كان يشيع للأصابع الحلوة نظرة شوق ، فتتقوَّس شفتاه ، ويسكن عينيه كمد محرق . . لو فقط يعرف .

توقف ــ مبتعدا قليلاً ــ أمام بوابة المحل ، رقص عصفور فى قلبه لما رأى الأصابع الحلوة تتقافز بين يدى البائع ، ثم تستقر فى علبةٍ ورقية ، يحكم إغلاقها ، ثم يقدمها لرجل يقف مطوِّقاً ابنه . راقبها الصغير ، اتجها صوب بوابة المحل ، وقبالته بجيبان ، لقدمها إحساس ظفر يكمن فى قلبه ، خاطر فى رأسه برق ، دفَّأ أصابعه المرتعشة ، خلفها تماما سار ، تقدم حتى صار بمحاذاتها ، لكنه أبطأ ثانية .

ثم معاوداً المحاولة ، فرح بجلبة الشارع وصخبه الزاعق تقدَّم منها ، عيناه معلقتان بالعلبة الورقية لا تريم . . ثم هامساً : والنبى . . اللى فى العلبة ده . . اسمه إيه ؟ بانت دهشة وقور فى عينى الرجل ، ثم مقطباً حاجبيه بغضب عابر . . متعجلاً بالمسير : بلح الشام : جليلاً وباهراً انساب الاسم لأذنيه ، فكر فى أن الشام بلاد بعيدة . . بعيدة ، ملأه بهاء الاسم . . بعينين ذاهلتين حبوراً استدار مردداً : بلح الشام . . بلح الشام . . هو الذى سيقول له حين يراه : أبويا جاب لنا امبارح بلح الشام . . عمرك شفت بلح الشام ؟

ثم انخفض صوته قليلاً : عمرك ؟

طنطا : محمود عبد الفتاح

محمد أحمد عبد العال

قصة المنـــفى

- ١ -

عندما رأيته لم أصدق عينى . . أهو صديق العمر إذن ؟ آه . . كم من الأيام مرت وصورته لا تفارقنى ! . كم كنت أود أن أراه . . كم أنا مشتاق لأيامنا الطفولية التى ما رسنا فيها كل أشكال البراءة . . كم . . كم . . اندفعت نحوه . . فردت ذراعى على كامل الامتداد . . أريد أن أحتضنه . . أن أحتويه فى صدرى . . وعلى شفتى نبتت ابتسامة كانت مخبوءة . . كانت أسيرة وانطلقت . . ناديته « صديق العمر !» . . بدهشة نظر إلىّ . . متجاهلاً ذراعى الممدودتين وقال : سيادتك تعرفنى ؟!

- ٢ -

كثيراً ما كنت أمر من أمامه.ذلك المقهى . . أبوابه المغلقة حيث لا يبين الناس إلا من الجزء الزجاجى فيها . . تأتينى أصواتهم وأصوات الزهر والقشاط . . ووجوههم التى تبدو منهومة ممصوصة حتى النخاع فى اللعب . . كثيراً ما كنت أمر من أمامه.ذلك المقهى وأود أن أدخله . . أتمنى أن ألعب معهم .

قررت أن أدخله . . ذلك المقهى . . ولجت وفى قلبى رعشة الوجل وجرأة المغامرة . . نظر اللاعبون إلىّ فى استغراب وبغض . . وجاءنى النادل قائلاً : المقهى مغلق . . لسنا على استعداد لاستقبال أحد ، فقلت : وهؤلاء الجالسون ؟ قال : هم أصحاب المقهى : قلت : كل هؤلاء أصحاب المقهى ! قال : لا شأن لك . . ارجع من حيث أتيت .

- ٣ -

عندما رآنى لم يصدق عينيه . . أأنا صديق العمر إذن . . آه . . كم من الأيام مرت وصورتى لا تفارقه . . كم كان يود لو رآنى . . كم هو مشتاق لأيامنا الطفولية التى مارسنا فيها كل أشكال البراءة . . كم . . كم . . اندفع نحوى . . فرد ذراعيه عل كامل الامتداد . . يريد أن يحتضننى . . أن يحتوينى فى صدره . . وعلى شفتيه نبتت ابتسامة كانت مخبوءة . . كانت أسيرة وانطلقت . . ناداني « صديق العمر » بدهشة نظرت إليه . . متجاهلاً ذراعيه الممدودتين وقلت : سيادتك تعرفنى ؟!

المنيا : محمد أحمد عبد العال

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمرو محمد عبد الحميد

قصـــة

ظمأ لنهـــر الملـــح

حسونه !!

هـو بعينه حسونة ولد عبد العاطى ! لم تتغير كثيراً أيها الشقى ، فقط أخيرا لبست الجينز وطوقت رقبتك بسلسلة تتدلى على وجه الرئيس الأمريكى المرسوم على فانلتك ! والله زمان يا حسونة ! ها هى الذكريات تتداعى أمامى ، أتذكر يا ولد ، كنت تقول حين كانت تلمنا أمسيات الصيف : « لو أغمض عينى وأفتحها لأجد نفسى فى طائرة نفاثة كالتى يقودها بطل الفيلم الأمـريكى ، تـلاصقنى (بهيـة) عـاريـة إلا من قطعتين !!» ،

كنا نقهقه كثيرا لسماعنا أحلام صحوك يا صديقنا الطائش ، الولهان بالنوم ، المتيم بسرقة الدجاج كيما تتمكن من دفع ثمن تذاكر سينما « الكاوبوى » فى المدينة ! وكانت توقظك جلجلة الضحكات ويستقبلك القش الذى يرميه الأولاد فى وجهك ، ثم يركضون كلهم ـ عداى ـ خوفاً من بطش قبضتك الغليظة ! وبعد أن تفرغ من مطاردتهم كنت تعود متعبا لتستلقى جوارى ، فأشم رائحة عرقك وأسمع همهمتك :

« ساريكم ياأولاد الكلب » ! ثم تلتفت إلىّ وتيألنى :

- ماذا كنت أقول !

- كنت بجوارها على النفاثة !

- منْ ؟

- بهية !

والله زمان يا حسونة ! حتماً سأذكرك بمواقفك المضحكة ، حينما كان ينادى عليك العم أبو المعاطى ـ والدك ـ لتعاونه فى رى الغيط ، كنت ساعتها تسرع فتندس فى شونة التبن وتطلب من الأولاد أن يهيلوا عليك التبن حتى لا يبين لك أثر !، و . . بلغ منى الشوق مداه ، تقدمت إلى حسونة ـ كنت لا أزال أحمل حقيبه أسفارى ـ توقفت قبالته عله يسارع نحوى لكن يبدو أن السنين قد أنسته صورتى ، هتفت باسمه ، تأملنى باستغراب برهة ، ثم أشاح بوجهه بعيدا ، قلت : أنسيتنى يا حسونة ؟! قال بحزن : هل . . هل رأيتها ؟

- منْ ؟

- بهية ! قالها فى وله ثم أخذ يركض على حافة الترعة الجافة تملكنى الذهول ، سرت بتثاقل قاصدا منزلنا ، عزمت أن أسأل أول من يلقانى ماذا جرى لحسونة ولد عبد العاطى ؟

ساقلته ـ سوهاج : عمرو محمد عبد الحميد

ناجى الجوادى

قصـــة

حـــكاية عـــكازين

ريح عاتية باردة تحاول نزع البرانيس الدكناء والبيضاء التى التفع بها الرجال المجتمعون أمام دار « الحاج عمارة » وقريبا منها فى انتظار جنازة رب البيت الذى قضى نحبه الليلة البارحة إثر مرض لم يمهله طويلا وكانت الشمس بين الحين والآخر تنجو من قبضة السحاب ، أو يسمح لها بإطلالة قصيرة تبعث خلالها دفئا لذيذا لا تسكن إليه الأجسام المقرورة لحظة حتى يختفى وتحتجب الشمس من جديد وراء السحاب .

- غريب أمر قريتنا هذه ، تجمع المآتم والأحزان شمل أهليها أكثر من الأعراس والأفراح !

قالها أحد الرجال لمن حوله وهو يرى وفود المعزين على الدار فى ازدياد ، حتى لكأنه لم يتخلف أحد من القرية

- الموت محك أصدق من الفرح للصلات بين الناس وحقيقة المشاعر . . وكانت النسوة يتقاطرن على البيت معزيات ويمكثن هناك إلى ما بعد خروج الجنازة .

ألوان من حديث الجد والهزل يخوض فيها الرجال المجتمعون تحمل بعضهم أحيانا على الضحك فتنطفىء الابتسامات سريعا على الشفاه احتراما للموقف أو يخفونها تحت البرانيس . وكان أغلب الحديث يدور حول « الحاج عمارة » وأيامه الأخيرة ومشاريعه الزراعية التى كان يحلم بتحقيقها ، وصلة وفاته المفاجئة بحادثة سقوطه منذ أسبوعين من ظهر بغل كان يركبه ، فأصبح لا يقوى على السير البطىء إلا بالتوكؤ على عكازين . قال واحد :

- صحيح إن عظم المتقدم فى السن يصبح هشا وسريع التأثر بالصدمات . . أمّا الموت فهو أجل وكتاب . . قضاء وقدر . . لا غير . .

فى تلك اللّحظات مرت « ذهبية » بجماعة من الشبان الواقفين تحت الحطى فى عصبّية واضحة وتلقى على من حولها نظرات زائغة متقدة وهى فى طريقها حافية القدمين إلى منزل المتوفى ، غير مبالية بالريح القوية التى تنفخ فى ملاءتها الحمراء المعفرة بالتراب ، فتكشف عمّا فوق ركبتيها ويظهر فخذاها النحيلان كالمغزلين ، فيغضى من يستحى ويتأمل من لا يرى مانعا فى التحديق . . عابثها شاب بكلمة أغضبتها فغمغمت بكلمات لم تفهم وواصلت سيرها حتى دلفت إلى الدار .

تعجب الناس من هذه الفتاة التى شفاها الله وهداها فأصبحت تعرف واجب العزاء والمواساة وتسعى إلى تقديمه مع النساء العاقلات ، وهى التى عرفت لدى كلّ أهل القرية بقدر غير قليل من البلاهة والعته . .

دخلت «ذهبية» إلى المنزل فألفت نساء القرية ــ ومعهن أمها ــ مجتمعات فى كبرى حجراته تنطق ملامحهن بالغم والحزن وتشى عيونهن المحمّرة بطول البكاء تتوسطهن أرملة «الحاج عمارة» وهى لا تزال فى نشيج لا ينقطع . . اتجهت ذهبية وأعلمتها فى جرأة أدهشت جميع النسوة أنها ما جاءت إلاّ لتستعيد عكازى أبيها اللّذين استعارهما زوجها قبل وفاته من أمها . . حدجتها كل الحاضرات بنظرات اللوم والتأنيب على

مطالبتها بالعكازين فى هذه الساعة والرجل لم يدفن بعد ، ثمّ تودد إليها أن ترجىء الطلب إلى يومين أو ثلاثة أو إلى صباح الغد على الأقل لكنها أصرّت على ألا تعود إلى البيت إلاّ بهما . . قالت لهنّ :

ــ ما حاجة ميّت إلى عكازين ؟ . . لم تجد نساء الدار سبيلا إلى التخلص من إلحاحها إلاّ بالبحث لها عن العكازين فى أرجاء المنزل وتسليمهما إياها ، فخرجت تحملهما منتصرة كمن استعاد حقا له كان ضائعا وعندئذ أدرك من كان خارج الدار أن « ذهبية » لم تأت مواساة أو معزية وإنّما جاءت لتسترجع عكازى أبيها . تساءل بعضهم فى خبث :

- من سوف يستعملها بعد الحاج عمارة ؟

- كلّ من ملّ الحياة الدنيا وتاق إلى الدار الأخرى .

وتذاكر الناس حكاية هذين العكازين اللّذين كانا شؤما على من توكأ عليهما فعجلا به إلى النهاية .

كان دخولها إلى القرية فى الشتاء الماضى عندما سقط لوح من الخشب سميك طويل على شيخ من عمال البناء بالقرية فكسر رجله ، وقعد عن العمل حتى ساءت حاله ، فكتبت زوجه إلى ابنها العامل فى أوروبا منذ سنين تعلمه بالحادث وترجو منه فى إلحاح واستعطاف أن يوافى أباه سريعا بما تيسر من المال إنقاذا للأسرة مما بات يتهددها من الخصاصة والبؤس ولم يمض أسبوعان حتى اتصل الأب عن طريق البريد بعكازين من البلاستيك الصلب . . خفيفين مريحين ، بكليهما مقبض لليد ومستند للساعد والإبط أما طلب المال فقد أطفأ عنه الضوء متجاهلا غير واعد أو معتذر ولم يطل استعمال الشيخ للعكازين حتى دب فى جسمه الوهن ولزم الفراش ، وذات فجر أسلم الروح باريها ، وظل العكازان بعده معلقين بجدار الغرفة حتى جاء يستعيرهما رجل من القرية بترت إحدى رجليه بالمستشفى ولكن العلة اشتدت به فبتروا رجله الثانية ثم وافته المنية على عجل ، وعاد العكازان إلى مكانهما بالجدار ولم ينزلا منه إلا حين أرسل الحاج عمارة للتوكؤ عليهما إثر سقوطه من ظهر البغل ، وقد مانعت « ذهبية » فى إعطائهما إياه لأنه كان دائما ينهرها وينهاها عن هذرها وفاحش القول عندما تلتقى مع الرجال والنساء فى ساحة البئر لجلب الماء ، لكن أمها سلمته العكازين غير مكترثة باعتراض البنت المعتوهة .

تعالت من وسط الدار صرخات قوية حادة كانت للرجال المنتظرين ايذانا بأن النعش فى طريقه إلى خارج البيت . فنهضوا جميعا استعدادا للسير وراءه ، وكان حديث بعضهم عن العكازين لا يزال متواصلا فى حدة حينا وفى حوار هادىء رصين أحيانا . وكان ممن تحمسوا للخوض فيه شاب ملتح يلبس جلبابا أبيض ، تحدّث فى إصرار عن اللعنة الكبرى التى حلت بالقرية بسبب العكازين المستوردين من الغرب . . كانا شؤما على قريتنا . . لا غفر الله ذنب من أرسلهما إلينا كان المكسور منها أو الأعرج ويتوكأ على عصا تقطع من شجرة أو يصنعها نجارونا من الخشب فيكون له فيها البركة وطول العمر . . وقد لاقى مجادلوه كثيرا من العسر فى إقناعه بأنه يفسر الأشياء بمنطق غريب وأنه يطالع الدنيا من ثقب إبرة كما قال له ذلك السيد حامد معلم بمدرسة القرية ، وفجأة قال الشاب الملتحى لمن حوله فى تصميم :

- لابد من أن أريح القرية من هذين العكازين .

وانطلق مسرعا حتى أدرك « ذهبية » قبل أن تبلغ البيت فافتك منها العكازين وكسرهما وتركها تبكى ضعفها وعجزها وغياب الحامى والنصير فى ذلك المكان الخالى ، ثم التحق بالمقبرة ، وفى أوّل جدث متهدم صادفه فى طريقه ألقى قطع العكازين المحطمين ومضى يتابع سيره ، فوجد الناس يوارون الميت التراب ثم بسط كفيه مع الجماعة يتلو الفاتحة . .

تونس : ناجى الجوادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود علوان

قصة

قصتان قصيرتان

• الطبول

فى ساعات الفجر ـ عند السكون البارد ـ أو عند الظهيرة ، وأنا وحدى أو بين الناس ، آلاف الناس ، فى الميادين والشوارع ، وفى الحارات ، فى كل مكان ، كانت تتهادى لسمعى أصوات الطبول ، أسمع دقاتها تأتى من بعيد ، من أبعد مكان ، كانت نغمة واحدة مهيبة لها صدى بعيد وكأنما كانت تدقها يد الجن ، كنت أميزها بين الأصوات ، ومما يدعو للدهشة أن دقاتها كانت تبدو واضحة جلية عندما تزيد جلبة الميادين وحركة الناس . .

كنت عندما أصحو كل يوم أسمعها آتية من بعيد لها نفس الصدى ، لكنها تتماوج فى نفس قصير وتختفى لتعاود الظهور مرة أخرى فى الشوارع والممرات وفى الأنفاق والمبانى الخالية . .

ذات مرة عندما كنت أمرق بين الحقول المتاخمة للمدينة هائماً على وجهى ، سمعت إلى الطبول وكأنها ولدت من نقطة الأفق فوق السحاب والغيطان ، وهى فى سعيها تزيد قوة حتى تصل إلى ، ويزيد الصدى المهيب حتى لم تعد أذنى تقدر على سماع أصوات الدقات الضخمة للطبول ، أتلفت حولى فكأنها أصبحت فوق رأسى ، وأرسل بصرى هنا وهناك بلا جدوى ، أبحث عن الأكف المجنونة ؟ وينهمر على جسدى العرق ، وتنتفض دقات قلبى بقوة ، فتختلط بدقات الطبول ، ويكونان نغماً واحدا عاليا ، وعندما أوشك على السقوط ، عندئذ . . تخفت أصوات الطبول رويداً . . رويداً . فكأنما هو الضباب ينقشع تحت شمس الصباح ، بعدها أسمع صوت السكون . .

صوت الكون المعتاد ، وتهب نسمات طرية على وجهى فأفيق ، وأعرف أننى سوف أسمع دقات الطبول ، إن عاجلاً أو آجلاً ، هنا أو فى أى مكان آخر .

• طفل . . وصحراء

حينما لاحت أمامى تبات الصحراء . . أدركت أننى ذاهب لتوى إلى الجحيم . . كانت الرمال تمتد إلى الأمام بلا نهاية . . من خلفى تغيب الأراضى القليلة الخضراء المزروعة بمياه الآبار ، شعرت بالانقباض حين بدأت تترامى عند الافق قبور القرية الصحراوية متناثرة كبقع بيضاء تتحدى الزمن بوجودها الأبدى . . كانت ما تزال وحدتى العسكرية متناهية البعد مخفية فى بطن الرمال عند الأفق حيث أوشكت الشمس أن تغيب مخلفة بحارا من الألوان الحمراء على الأرض ، أوحى لى ذلك كله بالتوقف ، كنت أحاول النسيان بسماع صوت قدمى وهما بغوصان فى الرمال المرة بعد المرة بلا نهاية . . ها هما قدماى فوق الرمل . . والحذاء العسكرى الضخم قد تعفر وضاعت لمعته تماما . . وفى اللحظة التى حملت فيها حقيبتى مرة أخرى متوجها إلى الأمام فوجئت بظل طفل صغير فى مواجهتى . . كان يحمل

حقيبة كتبه الصغيرة ويرتدى مريلة المدرسة الصفراء ، كانت نظيفة بالية عند الأطراف ، وكان الطفل يبتسم ابتسامة خجولة لوّنت وجهه الصغير الرقيق بلون مضيء عجيب ، مدّ لى يده مصافحا،مددت له يدى وأنا أقف مذهولا بالفعل ، تركنى ومضى فى الاتجاه المضاد ، وعندما أخذ يبتعد ـ وكانت لا تزال حرارة يده فى يدى ـ لم أملك نفسى من البكاء بشدة .

محمود علوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد غريب جودة

قصة: الأوسمة

لا شك أن الرئيس « لويس فرناندو » رجل دولة ذو ميول ديمقراطية واضحة خصوصا وقد أضافت جاذبيته وخفة ظله الكثير الى عناصر نجاحه . . لكن التكوين النفسى للرجل شابة عيب خطير ، فهو سريع الغضب ومتى تولاه الغضب راح يميل الى الجموح والعناد وسلاطة اللسان . . . وقد ورثه هذا الخلق قدرا كبيرا من العداء والخصومة السياسية كان فى غنى عنهما ، وأدى إلى افتعال الكثير من الأزمات السياسية وتلبد سماء العاصمة بالغيوم مرارا . . . لكن الأزمات كانت فى أغلب الأحيان تنفرج سريعا والغيوم تنقشع ، فلا يبقى منها فى النهاية إلا ما تتركه العروض المسرحية من أثر فى نفوس أبطالها والمشاهدين معا . . . وهذا على وجه الدقة ما حدث أخيرا عندما انعقدت الدورة البرلمانية لمناقشة بيان الحكومة ، فقد فتحت المعارضة كل مدافعها على رئيس الحكومة وأضرمت النيران تماما فى كل بنود البيان . . فلم يستطع الرجل الأكاديمى المهذب أن يتصدى لنواب المعارضة بمنطقه النظرى فتمكنوا من إحراجه تماما وكادوا يكسبون نواب الحزب الحاكم إلى صفوفهم لولا أن أسرع الرئيس فرناندو إلى البرلمان لمواجهة الشر قبل أن يستفحل . .

راح لويس فرناندو يفسر وجهة نظر حكومته ويبين لممثلى الشعب أن اعتراضاتهم إنما تنصب على جوانب فنية لا يملك هو ورئيس الحكومة تعديلا لها بعد أن قال الفنيون كلمتهم . . . . لكن ثورة النواب لم تهدأ ولم يكفوا عن مقاطعة الرئيس خصوصا عندما تطرق هذا إلى السياسة الزراعية وراح ينوه بالمشروعات التى أقدمت عليها الحكومة ، فراحوا يقاطعونه ويطلقون شعاراتهم ضد حزبه وحكومته حتى أثاروا حنقه تماما . . لكنه تمسك بأهداب الصبر وكبت ما بداخله من الانفعالات وواصل إلقاء البيان ، حتى جاءت لحظة انبرى له فيها نائب بارز وسأله مستنكرا :

ــ وماذا إذن يأكل الشعب ؟

وقعت الكلمات على الرئيس فرناندو وقوع القشة التى قصمت ظهر البعير فثار بركان غضبه وإندفع كالثور الهائج قائلا : ــ فليأكلوا ما فى المراحيض . . ولتكن أنت أولهم . .

أفلتت الكلمات البغضية رغما عن أنف الرئيس فرناندو . . فأسرع بضرب المنضدة بقبضته حنقا ثم قعد بعد أن أطاح بما فى يده من أوراق . . وتناول قدح الماء ليرتشف القليل منه وأطرق برأسه . . . . أما النواب قد وجموا تماما وران عليهم صمت ثقيل . .

بعد برهة إقترب رئيس البرلمان من الرئيس فرناندو وتبادل معه الهمس قليلا . . ثم لوى عنقه نحو مكبر الصوت وأعلن بصوت خفيض رفع الجلسة الى ما بعد عطلة نهاية الأسبوع ، فنهض النواب وعلا لغطهم فجأة بعد أن طال بهم الصمت . .

* * *

فى مساء ذلك اليوم وفى خضم المناقشات التى استعرت فى طول البلاد وعرضها حول موقف الرئيس والقنبلة التى فجرها تحت قبة البرلمان ، أعلنت قناة التليفزيون الحكومية عن تقديم حلقة خاصة من برنامج « مسيرة العلم » سجلت بعد ظهر اليوم

نفسه من المركز العصرى للبحوث العلمية ... وقد ألح المذيعون وبالغوا فى الإعلان عن هذه الحلقة حتى ظفرت باهتمام الجماهير ، وعندما عرضت أخيرا لم تكن حلقة تقليدية بل مجرد تسجيل لوقائع مؤتمر صحفى محدود عقده الدكتور « أوزوالدو » كبير باحثى الكيمياء بالمركز .... وقد أعلن الدكتور فى نجومية وتألق أن ما حدث تحت قبة البرلمان صباح ذلك اليوم وأساءت الجماهير فهم أبعاده إنما هو « ثورة علمية بكل المقاييس » وأن الرئيس لويس فرناندو قد وضع البلاد لتوه على الطريق الصحيح لحل مشكلة الغذاء باقتراحه تحويل مخلفات الصرف الصحى إلى أغذية صالحة للآدميين .. وأعلن العالم الكبير أنه سيشرع مع طاقم باحثى الكيمياء بالمركز فى سلسلة من البحوث هدفها التمهيد لتنفيذ المشروع العظيم « وجبات فرناندو لكل فم » ...

• • •

فى صباح اليوم التالى وهو عطلة نهاية الأسبوع تأخر صدور جريدة « الحق » لكى يتضمن عددها الجديد مقالا هاما لرئيس التحرير « مانويل أوجستينو » .. وعندما صدر العدد فعلا بعد ساعة من شروق الشمس كانت صفحتها الأولى تحوى على غير العادة مقالا واحدا كبيرا للأستاذ أوجستينو يهنىء فيه الرئيس فرناندو بإنتفاضته العلمية الجبارة ويعلن مباركته لبرنامج بحوث وجبات فرناندو .. ولم تفت الأستاذ أوجستينو المطالبة بتعيين الدكتور أوزوالدو وزيرا للبحث العلمى بإعتباره مثالا للباحث الوطنى الذى تلتقى طموحاته العلمية مع الخطوط العريضة لسياسة بلاده .....

راحت ردود الفعل تتوالى دون توقف ، ففى مساء ذلك اليوم قدم برنامج « الكاميرا مع رجل الشارع » حلقة دسمة للغاية تحدث فيها العديد من أفراد الشعب عن وجهات نظرهم فى الثورة التكنولوجية التى أطلق شرارتها الرئيس فرناندو ونظر لها كل من الدكتور أوزوالدو والأستاذ أوجستينو ... وبدا واضحا ــ من خلال البرنامج ــ أن الأمة بكل طوائفها تؤيد مسيرة الرئيس فرناندو تأييدا منقطع النظير وتبارك خطوته الجبارة بلا تحفظ ... فقد أعلن محام شهير عن سروره البالغ برؤية بلاده تسبق الدول المتقدمة فى ركب العلم ذاته .. وأعلن بائع سمك أنه ينتظر على أحر من الجمر وصول الوجبات الجديدة إلى الأسواق لكى يحقق حلم عمره فى التخلى عن تجارته المقززة التى أضاع فيها أحلى سنى شبابه .. وأعلنت ربة بيت عن سعادتها الغامرة بنهج الرخاء الذى اتبعه الزعيم ورجت أن تكون الوجبات الجديدة جاهزة للتقديم على المائدة لتوفر للنساء وقتهن وعافيتهن .. وأعلن رجل أعمال ثرى عن تحرقه شوقا لتصدير وجبات ناندو وبشر بأن شركاته ستستعد لهذا الحدث العظيم بأحدث وسائل التعبئة والتغليف .. كما أفصحت راقصة عريقة فى فنها عن رغبتها فى إحياء حفل ساهر تتبرع بدخله لتمويل بحوث الدكتور أوزوالدو ..

أما الرئيس فرناندو الذى كان يقضى عطلة نهاية الاسبوع كعادته فى صيد السمك فى بحيرة « ما ها كوكا » على بعد مائة كيلو متر من العاصمة فقد فوجىء تماما بتطورات الأحداث عند عودته إلى قصر الرئاسة .. وبعد وقوفه على كافة التفاصيل تحادث هاتفيا مع رئيس البرلمان ورتب معه تأجيل استئناف الدورة البرلمانية ليومين آخرين ... وقبيل ظهر أول أيام الاسبوع أعلنت وسائل الإعلام عن حفل يقيمه الرئيس فرناندو فى حديقة قصر الرئاسة من أجل تكريم بعض الشخصيات .. وقد أثار غموض البيان وإقتضابه تساؤلات الناس ، ورأى بعضهم أن المعنى بالتكريم وهو الدكتور أوزوالدو ... وعندما بدأت كاميرات التليفزيون فى نقل وقائع حفل التكريم تأكد أصحاب هذا الرأى من صدق حدسهم ، فقد رأوا الدكتور أوزوالدو والأستاذ أوجستينو وهم جلوس فى الصف الأول من المقاعد فى مواجهة المنصة البسيطة التى لم تزد عن منضدة كبيرة الحجم وضعت على قاعدة خشبية قليلة الإرتفاع ...

• • •

تسلطت الأضواء والكاميرات على وجه الرئيس عند خروجه من المبنى إلى الحديقة .. وقد بدا ضاحكا بشوشا وفى حالة من المرح الزائد ... سار فى رشاقة نحو المنصة وهو يؤمىء للحاضرين محييا ، وأمسك بمكبر الصوت وبادر بالحديث دون أن يقدمه مقدم ...

قال الرئيس : ــ منذ يومين أنهيت حديثى فى البرلمان على نحو معين تعرفونه ..

وأطرق مبتسما وهو يغالب الضحك ثم استرسل :

وقد غادرت البرلمان متوقعا ردود فعل كبيرة لما قلته دون أن يخطر ببالى أن تجىء ردود الفعل على النحو الذى جاءت عليه فعلا ..

وتمكن من إخماد ضحكة أخرى واستطرد قائلا :

ــ أعتقد أن الفضل فى توجيه الأمور على هذا النحو الرشيد يرجع إلى عالم الكيمياء الفذ الدكتور أوزوالدو والصحفى اللامع الأستاذ أوجستينو والإعلامية القديرة السيدة ايزابيلا هرناندير .. لذا أرجو ان تسمحوا لى بمنح هؤلاء السادة .. باسمكم جميعا .. أوسمة من الطبقة الأولى تمنح لأول مرة فى بلادنا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سرت موجة من التصفيق المتخاذل وإرتسمت على وجوه الحاضرين أمارات الحيرة والذهول . . أما الرجلان والسيدة فقد نهضوا وأسرعوا واحدا فى أثر الآخر لتلقى الأوسمة من أحد موظفى قصر الرئاسة ووجوههم تفيض بالبشر . . .

وراح الرئيس فرناندو يرقب حركة الثلاثة بإبتسامة ذات مغزى ، وعندما هم الدكتور أوزوالدو بالتوجه لمصافحته رده حارس الرئيس بإشارة حاسمة من يده فأذعن هو ورفاقه لما خالوه مجرد إجراء أمنى وإكتفوا جميعا بتحية الرئيس برفع راحة اليد فجاوبهم بنصف إيماءة من رأسه . .

ثم عاود الثلاثة الجلوس وعاود لويس فرناندو حديثه :

ــ وبالطبع لم أنس الذين عاونوا هؤلاء القادة والذين تلقفوا منهم أفكارهم وواصلوا توجيه الأمور فى مسارها العظيم الذى عرفته الأمة . . هؤلاء جميعا بما فيهم رجال الصحافة وكبار المتحدثين فى البرنامج التليفزيونى الذى استمتعت بمشاهدة تسجيل له استمتاعى بإحدى روائع موليير . هؤلاء جميعا أهديهم باسمكم الطبقة الثانية لنفس الوسام . . وهذه قائمة بأسمائهم لتنشرها صحف الصباح . . .

علت أمارات الحيرة وجوه القوم وأدرك بعضهم أن وراء ظاهر الأمور شيئا ما خصوصا بعد تلك الإشارة الغامضة لروائع موليير . . أما الرئيس فقد عاود الحديث مستدركا :

بالمناسبة . . أفضل أن تطلقوا على الوجبات إياها اسم « وجبات أوزوالدو » . . فالدكتور أحق بإطلاق إسمه عليها . .

وأطرق بشفتين مزمومتين وحاجبين مرفوعين ثم قال وعيناه تلتمعان فى خبث شديد :

والآن بقى أن يعرف ضيوف الشرف ماهية الأوسمة التى كافأناهم بها الليلة . .

وأفلتت منه ضحكة وهو يضع النقط على الحروف :

ــ الوسام الذى خلعناه على الدكتور أوزوالدو والأستاذ أوجستينو والسيدة هرنانديز هو وسام النفاق من الطبقة الأولى . . .

إنفجر الحاضرون فى ضحك هستيرى وعلت أصوات قرقعة أكفهم على نحو ينم عن الدهشة الصارخة من الموقف الماثل أمامهم . . . . .

تريث الرئيس فرناندو برهة ثم أطلق لحنجرته العنان ليعلو صوته على ضجة الجمع الحاشد وهو يواصل تفسير الأمور :

ــ أما الوسام الذى خلعناه على بقية الأذناب فهو وسام النفاق من الدرجة الثانية وسيجدون ذلك مدونا على القطعة النحاسية . . .

ثم إبتسم فى خبث شديد وقال بنبرة هادئة وقد سكنت عاصفة الضحك :

ــ بقى لى رجاء خاص أتمنى أن يلبيه الدكتور أوزوالدو . . وهو خير ملب طالما أنا جالس على مقعد الرئاسة . . فعندما ينتهى من بحوثه العظيمة ويتوصل الى إعداد وجباته الشهية أرجو أن يدعو كل من نالوا أو سمتنا اليوم إلى وليمة عامرة بهذه الوجبات . . وليته يخص نفسه ويخصهم بها ما دامت بهم الحياة . . فهم أحق الناس بطعمها اللذيذ ورائحتها الذكية . . . .

محمد غريب جودة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية

آبـــاء ، وأبنـــاء

مسرحية فى ثلاثة مشاهد

أحمد دمرداش حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصيات . . أسرة مكونة من . .

الأب	الأم
الإبن الأول	الإبن الثانى
الإبنة	الخادم

المنظر الأول : حجرة متسعة تبدو كحجرة اجتماعات . الخادم ممدد بلا حراك على مائدة اجتماعات تتوسط الحجرة . . فى المواجهة نافذة تحجبها ستارة من المخمل (يدخل الإبن الثانى ، وبيده منامة . . يقترب من الخادم ، ثم يضع أذنه على صدره وينصت . .)

الإبن الثانى (مشيحا ، وهو يرفع رأسه عن صدر الخادم) فات وقت المنامة . . إنه فى حاجة إلى كفن !

(يدخل الإبن الأول)

الإبن الأول : (بنبرة ساخره) احضرت المنامة ؟

الإبن الثانى : (ملوحا بالمنامة) ها هى . .

الإبن الأول : لقد أمرت الأم بمنحه أفضل ما لديك . .

الإبن الثانى : وهذه أفضل ما لدى . .

الإبن الأول : لديك ما هو أفضل .

الإبن الثانى : وما لديك ؟

الإبن الأول : تعلم أنه لا يناسب جسده . .

الإبن الثانى : (مشيراً نحو الخادم) تحسسه ، إن كنت لا ترى ما تبقى من هذا الجسد (مشيحا) لتنهى هذا الأمر قبل أن تحضر الأم ويشجى أسماعنا مزمار التأنيب . .

(يخلعان جلباب الخادم ـ الذى يبدو كما لو كان بلا عظام بفعل الغيبوبة ـ ثم يحشوان جسده فى المنامة) .

الإبن الأول : (وهو يتراجع ويتأمل الخادم) تبدو واسعة بعض الشىء !

الإبن الثانى : لا شىء يأتى مطابقا لما نريد . . فما الذى تنتظره من الموتى ؟

(تدخل الأم وعلى ساعدها روب منزلى من الحرير)

الإبن الثانى : (مشيراً إلى الروب) أماه . . إنه الباريسى

أفضل ما عندى !

الأم : حالته تمنحه الحق فيه . .

الإبن الثانى : إنه مجرد خادم ، سواء كان حيا أو ميتا !

الأم : مدة خدمته جعلته كواحد منا (تلقى بالروب على المنضدة) أُلبساه ، وسأرى إن كان مدير المستشفى قد تأهب لاستقباله . .

(تتحرك الأم متجهة نحو الخارج ، ثم تتوقف وتنظر إلى جلباب الخادم القابع على المنضدة . . تتقدم وتلتقط الجلباب بأطراف أصابعها ، ثم تلقى به من النافذة)

الأم : (للابن الثانى) لا تنظر إلىّ هكذا ! (بنبرة آمرة) تحرك واجعله يبدو مثلنا . .

(تنصرف)

الإبن الثانى : وهو فى غيبوبة الإحتضار تتبدى انسانيتها ! أين كانت عندما كان يعوى من الألم ؟

الإبن الأول : كانت بجواره !

الإبن الثانى : وماذا كانت تفعل بجواره ؟ تغمر فمه بعصير الليمون ليعيده القىء مرة اخرى إلى كفها !

الإبن الأول : ما كانت تتصور أن مرضه بهذه الخطورة . .

(يتحرك الإبن الثانى ويقف عند رأس الخادم)

الإبن الثانى : (بنبرة بها مسحة اشفاق) القوة التى كانت ترفع مقدمة السيارة ، وتنتظر حتى يقوم أحدنا بتغيير الإطار . . هذى القوة ظلت تذوب إلى أن اصبح عنق صاحبها فى حجم الإصبع (بابتسامة شاحبة) وطوال عملية الإذابة ظلت مصرة على تصورها بأن ما به لا يزيد عن كونه نزلة برد !

الإبن الأول : إنك لا تشك فقط فى إنسانية الأم ، بل تفصح عن هذا الشك !

الإبن الثانى : (مع هزة من كتفيه) الحقيقة يمكن الإفصاح عنها . فى أى وقت (بنعومة) لكن هذا يتطلب أن يكون المرء متجردًا من بعض الأمور الشخصية ، كالحصول على فيلا لإتمام زواجه ، أو . .

الإبن الأول : (بوجه مكفهر) لسانك يستحق القـ . .

الإبن الثانى : (بإشارة توقف من راحته) للإحتضار حرمته ! (وهو يتناول الروب) أرجو أن نصنع منه شيئا ترضى عنه الأم . .

(يرفعان الخادم ، ثم يشرعان فى لف جسده بالروب . . يدخل الأب ويظل يرقبهما برهة)

الأب : (بنبرة إعجاب) من شابه أباه . .

الإبن الأول : (بحرارة) طموحنا ، هو التشبه بك .

الإبن الثانى : (لأخيه) تحدث عن نفسك . .

الأب : ألديك اعتراض ؟

الإبن الثانى : (وهو يحكم الروب حول صدر الخادم) ما تنتجه الحياة ، دوما يأتى مختلفا . .

(يجلس الأب على رأس المائدة)

الأب : إجلسا .

(يجلس الإبن الأول على الفور . . يتراجع الإبن الثانى ويتأمل الخادم ، ثم يتقدم نحوه ، وبتؤدة يقوم بتصحيح وضع الروب حول جسده . . يتراجع ويتأمل الخادم ، ثم يهز رأسه بعلامة رضى ، يتقدم بعدها ويجلس فى مواجهة أخيه ؛ متجاهلا نظرة السخط من عين الأب)

الأب : أنهيت ما كان يشغلك ؟

الإبن الثانى : (ناظراً فى اتجاه الخادم) وعلى خير وجه !

(برهة صمت ، يبدو الأب خلالها محدقا فى نقطة فى الفراغ)

الأب : ما كنت أتصور أن التصرف الفردى أمر وارد فى مجال العمل !

الإبن الأول : لم يحدث هذا ، ولن . .

الأب : لا تتسرع . . لقد حدث وبجرأة مبعثها العلاقة التى تجمعنا .

الإبن الأول : (بخفوة) حدث ! . . ممن ؟

الأب : ممن طلب من البنك ـ مؤخراً ـ تسهيلاً ائتمانياً لحسابه الخاص . .

الإبن الثانى : (ببرود) أعتقد أن مدير البنك لم يضن عليك بإسمه ؟

الأب : (محدقا فيه) لم فعلت هذا ؟

الإبن الثانى : (بعد أن يسترخى ظهره على مسند المقعد) سئمت لعبة جلب معطر المرحاض من الخارج ، وبيعه فى الداخل . .

الإبن الأول : الشركة لا تجلب معطر المرحاض فقط !

الإبن الثانى : (بابتسامة مستخفة) آسف . . ومعطر الجو والإبط وما بين الساقين (بملامح ممتعضة) لعبة أثبت من لا يعرف كيف يرسم اسمه ، قدرته عليها . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأب : (مقلداً امتعاض الإبن) ورغم هذا ما كان لكما أن تنجحا فيها ، لولا مساندتى ، و . .

الإبن الثانى : ونقود الأم . .

الأب : هذه كانت البداية . . أما الدفقات الحاسمة فمازلت أجلبها لكما من البنك . .

الإبن الثانى : (مشيراً إلى الخادم) قد يكون سمعه مازال يعمل .

الأب : (متجاهلاً تلميح الإبن) ماذا تبغى من وراء هذا القرض ؟

الإبن الثانى : صنع ما يصعب على الآخرين صنعه .

الأب : (بانفعال) يبدو أن نوبة الصناعة قد عاودتك ! (موجها سبابته نحوه) اسمعها جيداً لأنك لن تسمعها منى مرة أخرى . . المكن لا يعنى سوى شيئين ، الإنفاق وقلق انتظار العائد . .

الإبن الثانى : وقد يعنى أيضا ، التمايز وتحقيق الذات .

الأب : (مشيحا بوجهه) لن تحصل على هذا القرض .

الإبن الثانى : إذن ، ليس أمامى سوى الإنسحاب من الشركة .

الأب : (مشيراً فى اتجاه الإبن الأول) سيبقى هو . .

الإبن الثانى : إنك لم تترك فيه ما يجعل « هو » هذه تشير إلى شىء .

الإبن الأول : (للأب بنبرة شاكية) لقد أدمن الإساءة ! . .

(تدخل الأم . . ينهض الشقيقان . . تجلس الأم)

الأم : يمكنكما الذهاب به . . مدير المستشفى فى انتظاره .

(يحملان الخادم ، وقبل أن ينصرفا . .)

الأم : انتظرا . .

(تنهض الأم ، وتقوم بتسوية شعر الخادم ، ثم تحكم الروب حول جسده)

الأم : والآن اذهبا . .

(ينصرف الشقيقان بالخادم . . تجلس الأم)

الأب : (ساهماً) تمرد الصغير ينمو كسرطان !

الأم : (بمرارة) حتى الفراغ ، لا نستطيع أن نبقى راحتنا مطبقة عليه طويلا . . (تدخل الإبنة وتظل واقفة)

الأب : إجلسى .

الإبنة : (تجلس بجوار الأم)

: (بخفوة للأم) أين هو ؟

الأم : ذهبا به إلى المستشفى .

الإبنة : أخيراً !

الأب : ماذا تعنين بأخيراً ؟

الإبنة : (مرتبكة) لا . . لا شىء . .

(برهة صمت يحدق فيها الأب خلالها بنظرات شك ، ثم ينهض وينصرف)

الأم : (بغضب) إن لم تخب أوهامك ، سيحترق هذا البيت . .

الإبنة : (مشيحة بوجهها) ليست أوهاماً . . لقد أهملته حتى الموت !

الأم : مدير المستشفى الآن فى شرف انتظاره .

الإبنة : كدعاية للأسرة . .

الأم : (بانفعال) ألا تخجلين ؟ لقد ظننت أن فعلتك الشائنة سوف تجعل رأسك ينخفض قليلا !

الإبنة : لِمَ ينخفض ؟ والقصاص لم يلحق به ، وإنما تجرعه الخادم عن آخره !

الأم : (وقد قست ملامحها) لقد غرر بك .

الإبنة : بمحض إرادتى كنت أذهب اليه .

الأم : (بنبرة متأسية) لم ؟ وهو أحقر من أن يلامس ثوبك !

الإبنة : الجديرون بملامستى ، عيونهم ـ المتقدة بشبق التملك ـ تصيبنى بالغثيان .

الأم : (وأصابعها تنقر المنضدة) وعينا الخادم ؟

الإبنة : (بخفوة وهى تغالب عواطفها) عيناه . . مرآى كان يثير فيهما إبتهالاً لاينشد سوى التقاء النظرات ، لكننى لم أكن أكتفى بهذا (وهى تتحسس وجهها) برودة أنامله على وجهى كلما التقينا ، كانت تعنى أن حرارة رهبتى بداخله لا تخبو ، إنه . .

الأم : كفى . . لا تتبجحى بالمزيد .

(برهة صمت)

الأم : (بخفوت) لننسى هذا الأمر .

الإبنة : . . .

الأم : (بنبرة آمرة) لابد من نسيانه .

الإبنة : (ناهضة) سأحاول . . .

(تنصرف الإبنة . . تضع الأم رأسها بين راحتيها . . يدخل الإبن الأول ويجلس فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواجهتها) .

الأم : مات ؟

الإبن الأول : فى الطريق وقد عدنا به .

الأم : أين هو ؟

الإبن الأول : فى البدروم .

الأم : (ناظرة إليه) سنشيعه من مسجد الشركة .

الإبن الأول : رتبت الأمر عل هذا . .

ستـــار

المشهد الثانى

المنظر : نفس الحجرة .

(الإبن الثانى ممدد على المنضدة ، ويبدو مهمل الثياب . . تدخل الأم)

الأم : إلى هذا الدرك هوى بك الإستخفاف !

الإبن الثانى : (مشرئباً برأسه) الموتى هنا يحظون بالرعاية . .

الأم : إنهض . .

الإبن الثانى : قد تعاوده الأحاسيس عندما يرانى هكذا . .

الأم : (وهى تدنو منه) ما الذى تريده ؟

الإبن الثانى : حصتى فى الشركة . .

الأم : إنهض . .

(ينهض ، ثم يقفز منتصباً أمامها)

الأم : (وهى تتأمله) مظهرك إهانة للأسرة !

الإبن الثانى : إذن ، فليعطنى حصتى إنقاذاً للمظاهر .

الأم : (بخفوت) كيف أحتمل هذا ؟

الإبن الثانى : (بنبرة مشفقة) أماه . . مازلت أتنفس ، فهو لم يحجب الهواء عنى بعد . .

الأم : لا تسخر منه .

الإبن الثانى : أنا لا أسخر . . أليس هو القادر المسيطر ؟

الأم : إنه يعانى من أجلك .

الإبن الثانى : بل يؤرقه إنحسار سطوته عن أحد رعاياه . .

الأم : (بنبرة عاتبة) إنك ولده !

(يدخل الأب)

الأب : لم يعد كذلك . .

الإبن الثانى : (متلفتاً إلى الأب) ولهذا أتيت كشريك .

(يجلس الأب على رأس المائدة)

ثم يشرع فى إشعال بايب كان فى راحته عند دخوله .

الأب : (بعد أن أطلق نفساً عميقاً) ما الذى أتى بك ؟

الإبن الثانى : حصتى فى الشركة . .

الأب : (بنبرة مستخفة) حصتك ! من فى سنك يجمعون بعناء ثمن ما يستر أبدانهم .

الابن الثانى : خذ منها ما تشاء ثمناً لنفوذك . .

الأب : (بوجه شاحب) الإسم الذى منحته لك ، لن يحول بينى وبين تأديبك .

الإبن الثانى : (وهو يدنو من الأب) أعرف مدى سطوتك . . لكن استخدامها معى قد يعنى ضياع كل ما جمعته بها . .

(تقف الأم فى مواجهة الإبن ، فيتوقف عن التقدم)

الأم : لقد ذهبت الصعلكة بعقلك ! (وهى تدفعه فى صدره) إذهب . . اذهب الآن . . .

الإبن الثانى : حصتى وإلاّ سأجعله عاراً على منصبه . .

الأم : ستحصل عليها . .

الأب : لا تعديه بمالا تملكين . .

الإبن الثانى : (للأب من فوق رأس الأم) إنك نظيف لا تملك شيئا (للأم) توقيعك و توقيع أخى يحققان ما أريد . .

الأم : أعرف هذا . . فقط انصرف ، وخلال أيام ستحصل على حصتك . .

الأب : (ببرود) لن يحصل على شىء .

الإبن الثانى : بل سأحصل على ما أريد ، حتى تظل نظيفاً كما تبدو . .

الأم : (بضراعة) إن كنت مازلت أمك ، اذهب الآن . .

(يتأملها الإبن الثانى بتأثر ، ثم يستدير وينصرف . . تتحرك الأم بخطوات متعبة ، ثم تجلس بجوار الأب)

الأب : لا تشغل نفسك به . . أيام ، ويزحف إلى هنا نادما .

الأم : حالته أدمت قلبى .

الأب : إنه يعبث بعواطفك . لقد نفحوه فى سيارته ثمنا ، يمكّنه من أن يعيش كأمير لمدة عام .

الأم : أخشى أن ينفذ تهديده !

الأب : (بابتسامة شاحبة) أشك كثيراً فى هذا . . فتنفيذه يعنى أنه سيخسر هو الآخر كل شىء . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يدخل الإبن الأول ، ويظل واقفا)

الأب : إجلس .

(يجلس فى مواجهة الأم)

الأم : تبدو مهموما . . التقيت بأخيك ؟

الإبن الأول : لا .

الأم : إذن ، ماذا بك ؟

الإبن الأول : لا شيء . .

الأب : وجهك ينبيء بغير هذا !

الإبن الأول : إنها أمور تتعلق بالعمل .

الأم : العمل لا ينتهى ، فلا تجعله يستحوذ عليك .

الأب : أهناك مشاكل مع جهة ما ؟

الإبن الأول : . . .

الأب : (بغلظة) سأنتظر الرد طويلا ؟

الإبن الأول : المحاسب الجديد . . أحياناً يتصرف وكأنى غير موجود .

الأم : ألق به خارج الشركة . .

الأب : الأمر ليس بهذه السهولة ! (ينهض) لقد ترك الصغير فراغاً يصعب على غير المتخصص شغله . .

(ينصرف الأب)

الإبن الأول : (بنبرة متأسية) إنه مصر على أن يجعلنى أبدو عاجزا !

الأم : لا يقصد ذلك . . إنه ، فقط ينظر إلى الأمور بعين المصلحة . .

الإبن الأول : (بخفوت) بل بعينيها . .

الأم : عين من ؟

الإبن الأول : (ناهضا فى ارتباك) لا أحد . . أعنى . .

الأم : (بنبرة آمرة) أجلس .

(يجلس)

الأم : من هى ، تلك التى ينظر إلى الأمور بعينيها ؟

الإبن الأول : . . .

الأم : (بحدة) تكلم .

الإبن الأول : (مطرقا) لقد تزوج .

(برهة صمت تضع الأم خلالها ، رأسها بين راحتيها)

الأم : والمحاسب الجديد ؟

الإبن الأول : شقيقها .

الأم : (بخفوت) لقد دفعته نحو ما يصبو بأكثر مما يجب . .

(ينهض الإبن الأول وينسحب فى هدوء . .

تظل الأم ساكنه برهة ، ثم تنهض وتحمل مقعد الأب وتلقى به من النافذة)

ستار

المشهد الثالث

المنظر : نفس المنظر

(تدخل الإبنة مسرعة وقد سدت أذنيها براحتيها . . يدخل خلفها مباشرة الإبن الأول ، ويبدو كما لو كان يعدو خلفها)

الإبنة : (بنشيج) لم أعد أحتمل المزيد ! . إنه أبى وزوجه وليس الخادم (ملتفتة إليه) ماذا فعل لها ؟ نفس القسوة والإصرار على أنها نزلة برد ! هل أكتشفت فجأة أنه غير جدير بملامستها ؟

الإبن الأول : إنها تبذل ما فى وسعها . .

الإبنة : وهل اندثر الأطباء ؟

الإبن الأول : مدير المستشفى على وشك الوصول . .

الإبنة : على وشك الوصول ، على وشك الوصول . . يومان . . وهى تردد هذا بلا انقطاع . . اعرف أنه سيحضر ولكن ليوقع شهادة الوفاة . .

الإبن الأول : (وهو يدنو منها) شكوك تضاعف ما تعانيه . .

الإبنة : ما تعانيه لا علاقة له بما يعانيه أبى ، أو يعانيه أى مخلوق آخر . . بكل ما تبقى فيه من حياة يستغيث ورغم هذا لا تستجيب إلا لما يدور بداخلها (بذروة انفعالها) القسوة تعربد فيها ، ولم تعد تسمع سواها ، إنها . .

الإبن الأول : (وراحته تهم بصفعها) كفى . .

(برهة صمت)

الإبنة : (بهدوء متحد) ما تبقى منك لن يسمح لك بصفعى أو منعى (وهى تخطو نحو الخارج) لن أعود الا وبرفقتى من يخبرنى ماذا به ، وما الذى يمكننى أن أفعله من أجله . .

(تدخل الأم ساهمة وفى قبضتها كوب . . تتراجع الإبنة وتعابير الفزع تكسو وجهها)

الأم : (بوجه جامد) لم يعد بوسع أحد عمل شيء . .

الإبنة : (بجزع) لا تقولى إنه . .

الأم : وماذا يجدى القول إزاء الأجل ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(برهة صمت ، تتهاوى الإبنة خلالها على أقرب مقعد ، ثم تشرع فى النحيب)

الإبن الأول (وهو مطرق) سأعدّ مسجد الشركة بما يليق به . .

(يدخل الإبن الثانى)

الإبن الثانى : ماذا ألم به ؟ أين هو ؟

(برهة صمت ، يلحظ خلالها الإبن الثانى الكوب القابع فى قبضة الأم)

الإبن الثانى : (وهو ينتزع الكوب من الأم) عصير الخلاص ! (محدقا فى الأم) هل يعنى هذا أن آلامه قد رويت بما يكفى لإسكاتها ؟ (تشيح الأم بوجهها) صمتك يهمس بأنها سكتت إلى الأبد ! . .

(تتحرك الأم مرفوعة الرأس ، ثم تتناول مقعداً وتضعه على رأس المائدة)

الأم : (للإبن الأول ، مشيرة إلى المعقد) إجلس .

(يجلس ، ثم تجلس الأم)

الأم : (للإبنة بنبرة آمرة) اقترب .

(تنهض الإبنة على الفور وتجلس بجوار الأم)

الأم : (للإبن الثانى ، مشيرة إلى المعقد المواجه) إجلس .

الإبن الثانى : (مشيراً إلى حيث يجلس أخوه) إما هنا أولا

الإبن الأول : (دون أن ينظر إليه) خلال ايام ، ستحصل على حصتك .

الإبن الثانى : (بابتسامة شاحبة) لا جدوى إذن من إقامتى هنا . .

(يتحرك متجهاً نحو الخارج ، وفجأة يتوقف ، ثم يستدير ويدنو من الأم ، إلى أن يقف خلفها مباشرة)

الإبن الثانى : (وهو يضع الكوب أمامها ونظرته معلقة بأخيه) قريبا سوف تحتاجين إليه . .

ستـــــــار

القاهرة : أحمد دمرداش حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسن غنيم والبحث عن هويّة

د. نعيم عطية

يحكى حسن غنيم عن تجربته التشكيلية فيقول :

« بدأت التجربة من خلال تأثرى بمشهد بائع برتقال على الطريق الزراعى قرب طوخ سنة ١٩٧٤ فى هذه الفترة كانت أعمالى تتحرك من التشخيص ، فرسمت البرتقال مرصصاً على عربة اليد بالطريقة الواقعية كما وقعت عليه عيناى . ثم تبين لى عام ١٩٧٥ أن التكوينات الكروية حينما تتلاصق تخلف فيما بينها فراغات تومىء إلى تلاحم حبات المشربية . وهو الأمر الذى نتج عنه بعد ذلك تطوير أعمالى فى اتجاه هذه المرحلة ، مرحلة استلهام المشربية »

ويبين من ذلك مدى ارتباط إبداعات الفنان برؤى الواقع المحيط به . فمن الواقع تنبثق حتى أعمال التجريد التى تمضى بالواقع متطورة به إلى مستوى تشكيلى غير ما كان عليه أول الأمر . ونفهم من ذلك أن أعمال التجريد التى جليها حسن غنيم لم تكن نابعة من فراغ . وهو ما يحدث فى كثير من الأحيان بالنسبة لمقلدى الاتجاهات التجريدية التى تنبت فى بيئات أجنبية ، وتستجلب إلى الحلبة التشكيلية استجلابا . ولهذا سنرى أيضا كم كانت إبداعات حسن غنيم اللاحقة فى هذا المجال أصيلة المحتد قومية الطابع دون افتعال أو تشويه لحقائق الفن الجوهرية . فإن العلاقة بين التجريد والواقع علاقة لا تستعصى على الفهم ، ولا تنبوعن إمكان الملاحقة ، لنجد فى الواقع المرئى مفاتيح فعالة فى كشف ما استغلق على الأذهان من إبداعات التجريد مهما أو غلت بعيدا

ويمضى حسن غنيم فى متابعة مغامرته الإبداعية فيرد لنا أنه عمد بعد ذلك ، وعلى وجه التحديد منذ عام ١٩٧٧ إلى التقليل من الأشكال الكروية المجسدة . وأصبحت الدوائر مجردة ومتماثلة تملأ اللوحة بتشكيلات مختلفة غلب عليها طابع هندسى بصرى ، وبخاصة من خلال استخدام للألوان سيطر عليه تناغم موسيقى أقرب إلى التقاسيم المنسابة على آلة القانون .

ثم تحول حسن غنيم بعد ذلك من مرحلة استلهام المشربية إلى أشكال مستوحاة من (وحدة الخرط العربى) بالإضافة إلى الخط العربى كعنصر تبادلى .

وقد كانت وحدات الخرط العربى أول الأمر عند حسن غنيم مجرد وحدات متراصة تميل إلى التجريد نائية عن العمق والبعد المنظورى ثم أخذت هذه الوحدات تتطور فى رجاج أخرى إلى التحرر من القالب السكون الذى بدأت به ، فأصبحت منذ عام ١٩٧٨ إلى المعمار الاسلامى أقرب ومن ثم كان من الممكن أن تومىء بأكثر من شكل كالمسلة أو الشمعة أو المئذنة ، وصار المنظور يشكل فى هذه المرحلة عنصراً رئيسيا فأتت هذه الأشكال نتيجة للعمق على المساحة إلى القالب الميتافيزيقى الذى كانت تفتقده بسبب التسطيح السابق ، كما نحت تلك الأشكال نحو التعبير عن أجواء الشرق وسحره . ولما قدر لهذه الوحدات أن تجتمع مع الأشكال الحانية للبواكى الإسلامية أعطى ذلك كله فى النهاية إيماءات إلى عالم يفوح رحيق الشرق .

وفى كثير من لوحات حسن غنيم الموحية بسحر الشرق نجد العمل يقوم على أساس شكل الخرط العربى ، ذلك الشكل الذى تعددت تطبيقاته . ومن هذه التنويعات استعمال الفنان لهذا الشكل على هيئة أعمدة سامقة ورشيقة ، مع نشرها فى أرجاء المشهد ، فضلاً عن استخدامه اللون الأبيض موحيا بالبخور الذى يعبق أرجاء تلك الأماكن ، بالإضافة إلى ما توصل إليه أشكال الخرط من الإيحاء ببوابات من قصور أو مساحات قديمة تنبىء عن أماكن وافدة من حكايات شهر زاد وألف ليلة ، بل وصل الأمر بتوظيف شكل الخرط العربى إلى الإدلاء أيضا بأشكال عصرية تقترب من ناطحات السحب ، وأحيانا من مدن فضائية ممتدة فى أثير شاسع فتعطى هذه الأشكال فى النهاية إحساسا باللانهائية وبالتسبيح للخالق وتمجيده .

وقد تكررت هذه التكوينات فى معارض متتالية فى الأعوام ٧٨ و ٧٩ و ١٩٨٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بتنويعات مختلفة ممهدة الطريق للمرحلة الصوفية التالية التى حصل حسن غنيم عن أعمالها على الجائزة الثانية فى التصوير الزيتى بينالى الإسكندرية الثالث عشر عام ١٩٨٠ .

وقد مضى حسن غنيم فى هذه المرحلة إلى التخلص من وحدات الخرط العربى ، وأصبحت الرؤية التشكيلية عنده أكثر عمقاً ونضجاً ، من خلال تعامله مع منجزات الفن الإسلامى كالمشكاوات والبيارق والفسيفساء والآنية الخزفية والمآذن والخط العربى ، منظوراً إلى هذه العناصر التراثية كلها نظرة عصرية جديدة ، بالإضافة إلى الاعتداد باقتصاد لونى ارتقى بالألوان مدارج من الشفافية أوصلت إلى درجة ملحوظة من النورانية فى لوحات الأعوام من ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ مهدت لظهور الجانب الصوفى إلى جانب البعد الميتافيزيقى فى أعمال السنوات من ١٩٨١ إلى ١٩٨٥ اللاحقة .

وفى هذه الفترة أقام الفنان معرضين ، الأول . عام ١٩٨٢ بقاعة السلام بالزمالك . والثانى بأتيليه القاهرة عامى ٨٤ ، ١٩٨٥ . وعندما سافر إلى أسبانيا عام ١٩٨٢ زار الأندلس ومدنها قرطبة وغرناطة وأشبيلية ، فانتشت عيناه بالعمارة الإسلامية ، ومضى عقل الفنان يسجل ويختزن الرؤى التراثية حتى تمخض ذلك كله عن المجموعة المستوحاة من التاريخ الأندلسى أو بمعنى أدق من حضارة الأندلس .

ـ ٢ ـ

وقد تدرج حسن غنيم فى استخدامه للون . وقد بدأ بالألوان القاتمة أو إن شئنا الدقة الأميل إلى ذلك . ثم مضى يتدرج إلى الفواتح . تبعاً لمقتضيات تكوين اللوحة إلى أن بلغ فى لوحاته الأخيرة قدراً ملحوظاً من الاقتصاد اللونى . ومن ثم اتسمت بالشفافية التى يغلب عليها الضوء الأبيض المرسوم على سطح اللوحة المرسوم بالألوان الزيتية الشفيفة .

ومن ثم فلئن كان حسن غنيم يرسم اللوحة ويلونها بالفرشاة وبالطريقة المألوفة إلا أنه أقبل على أسلوب « البخ » باللون الأبيض فقط ، وذلك تأكيداً لمطلب الشفافية فتأتى اللوحة سابحة على حد قول الناقد الأديب محمد الحلوفى « بحر من الضوء » قادر على أن يوقظ فى وجدان المتفرج مضامين معينة .

وفى هذا المقام يقول حسن غنيم : أشعر أن قمة السمو أن أتعامل مع شفافية اللون والزهد فيه . وأحرص على أن تقل فى الألوان الموضوعة على اللوحة قبل بخ الرذاذ الأبيض عليها ، الدرجات اللونية الداكنة ، حتى إنه بعد عملية البخ يتحقق الهدف المقصود من الضوء ، وهو تأكيد النورانية فى العمل الفنى ، ويرجع اهتمامى بهذا الهدف إلى ارتباطى بسنوات الطفولة ، وقد اختزنت منها فى ذاكرتى أيام دسوق وقد أوضحت ذلك فى مقدمة أحد كتالوجات معارضى ، فانطلقت الرؤى القديمة على رواسب من طفولتى الباكرة ، وقادتنى تجاربى مع التراث القديم إلى إمكانية هضم ذلك القديم وإفرازه من جديد فى صورة تستحق العشق ومن ثم الوصول إلى لغة جديدة خاصة بى فى تعاملى مع الفن التشكيلى . أو بعبارة أخرى إبداع استلهامات تراثية فى قالب عصرى ، تؤكد ما نحن إليه فى النهاية من أن يكون لنا فى عالم الفن الحديث هوية .

وقد مضى حسن غنيم من منطلقه هذا يتعامل مع مفردات التراث الإسلامى مختذيا فى إقصائه الشكل الإنسان من تشكيلاته على الأخص متوصلا إلى تجريديات لا تقف عند حد شكلها الأصلى الذى هو « شكل تراثى » بل تمتد ضاربة فى أغوار الحداثة مرتقية بذلك إلى مستوى يزود تلك الأشكال بطاقة إيحائية ، وهى إذ توحى فإنها توحى بالعصر الذى نعيش فيه ، وإن كان مصدرها التراثى يؤدى دوره فى توجيه الذهن إلى استيعاب ذلك الذى توحى به . مما يجعل فن حسن غنيم التجريدى غير منبت الصلة بالجذور القومية ، فيكتسى فى الوقت ذاته بسمتين جوهريتين ، أولاهما المعاصرة وثانيتهما الأصالة . وهو مايسميه الفنان بتحقيق الهوية .

وعلى سبيل المثال ، فلنتأمل شكل المشكاوات السابحة فى الفضاء بقوة ذاتية ، إنها تومىء إلى عصر الفضاء الذى نحياه اليوم ، رغم أن المشكاة شكل مستقى من التراث الإسلامى وبذلك يضاف فى فهم اللوحة بعد تراثى ، يومىء إلى تفسير عصر الفضاء تفسيراً شرقياً روحياً بالتوق الإنسانى إلى الانعتاق من ربقة الماديات الأرضية ، والسباحة الأثيرية فى اتجاه الخالق ، وبنفحة منه عز وجل .

ويمكننا أن نقول إن التجريدية نشأت فى أعمال حسن غنيم كنتاج طبيعى ومرحلى شأن سائر المبدعين الجادين من الفنانين حيث تبدأ البداية دائما بالدراسات والرسومات الأكاديمية وتتطور تلقائيا بمرور الوقت . . هكذا كان حسن غنيم فى بداية مراحله إذ بدأ بالتصوير الكلاسيكى ثم استهوته التكعيبية فحقق من خلالها الكثير من الأعمال التشخيصية التى كانت محببة إلى نفسه ثم من التكعيبية تدرج إلى ما يسمى بالتكعيبية التحليلية فحقق أيضا من خلالها مرحلة اتسمت بالغزارة فى الإنتاج سواء فى الأعمال التشخيصية أو بدايات المرحلة الإسلامية فكان التجريد هنا يأخذ مأخذاً طبيعياً دون تكلف . . . ودون محاكاة . . .

ومن ثم كان لابد أن يكون هناك أوجه شبه بين حسن غنيم وبين كل من ينحو نحو التكعيبية فى ذلك الوقت . وقد كان البعض من الفنانين الرواد عاشقين لفن المصور العالمى (بيراك) أبى التكعيبية ومنهم الراحلان ادهم وسيف وانلى وقد كان لهم مكانة كبيرة بالنسبة للفنان الشاب فى أول الطريق إلى أن تلاشت تلك المرحلة تماماً بمرور السنوات وتحول عطاؤه إلى مرحلة تطورية من الاجتهادات فى الفن الإسلامى اشتملت على مسحة من التجريدية فى قالب تعبيرى وإذا كانت التجريدية قد انتشرت اليوم بين معاصرى حسن غنيم فإن الكثيرين منهم بدأوا مباشرة بمحاكاة التجريدية من خلال اطلاعهم على الكتب وأيضا تحت وطأة طرق تدريسية معينة مفروضة من المعلم على تلاميذه وهذا بعد كمينا أما إذا كان التطور إلى التجريدية يأخذ مراحله الطبيعية فهذا أجدى على قدرات الفنان الإبداعية .

وقد وجد حسن غنيم فى التراث ترياقا عصمه من التردى الأجوف فى الاتجاهات الحديثة الوافدة وإن كان لم يحفل عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستفادة من الدروس التى أتت بها التجارب المعاصرة الواعية . وفى ذلك يقول الفنان : إن استفادتى من التراث استفادة لا حدود لها حيث كانت المعين الذى لا ينضب من خلال الرؤية الثاقبة فى محاولة هضم مفردات التراث وإفرازها فيما بعد إلى إبداعات وابتكارات مختلفة . . . تعددت من خلالها المعارض المتتالية . . . ومازال البحث مستمراً ومدى استفادتى من المدارس المعاصرة كانت لا شك استفادة إيجابية سواء من خلال التعبيرية أو التجريدية أو السيريالية أو (الأوب آرت » الذى بدأت به المرحلة الإسلامية فى منتصف السبعينيات . كل ذلك لا شك ظهر فى تجاربى الفنية منذ أن بدأت طريقى عام ١٩٦٩ . وكل مرحلة بالنسبة لى استفادت من تلك المدارس .

ـ ٣ ـ

ويستهوى المتأمل للوحات حسن غنيم الأثيرية تقصى مقدمات السكون ومقومات الحركة فى تكويناته . وتمضى العين تتساءل هل لوحات الفنان أميل إلى السكونية أم إلى الحركة . ثم تمضى فى ساحاته التشكيليةوراء حركة مضمرة تظل عند غياب الحركة الصريحة . وتتأرجح العين العاشقة بين « حركة على وشك أن تحيء » و « سكون على وشك أن ينقضى » .

ومع الحسابات والمعادلات الرياضية يميل التكوين إلى السكون وهو من طبيعة العمائر ويطالعنا فى أشكال « الأعمدة » و « المشربيات » ، ولكن عندما تظل من المشربية الذى يتسم شكلها بالسكون نرى من خلالها البعد الآخر ، من وحدات الخرط العربى فيتحقق ما يمكن أن نسميه بالبعد اللانهائى .

وفى مرحلة من مراحل حسن غنيم كانت درجات اللون تحقق الحركة ، أما بالنسبة لمرحلته الميتافيزيقية فسنجد المجال قد انفسح من وراء المشربيات للفضاء الفسيح والبعد اللا نهائى . وفى وسط هذا السكون نجد البيارق خفيفة الألوان على خلفية سماوية ، وبميل محسوب . . تحقق فى قلب الرائى إحساسا بالحركة فى إطار السكون الشامل الذى يغلف العالم . . وهذا السكون . . قد يكون بإمكانه أن يعادل السكينة التى تنعم بها الارواح التى لقيت الهداية .

وأنك إذا تأملت السماء فى لحظة صفائها . . وأمعنت فيها التأمل فستجد أن أديمها قد انفسح لحركة غير مرئية بالعين العادية وإنما ترى بالبصيرة . . وهذه الحركة المضمرة تتحقق كثيرا فى لوحات حسن غنيم .

وتأتى لدى حسن غنيم بعد ذلك فكرة « التحلق » وعلى الأخص فى المراحل الأخيرة حيث تكاد تكون الأشكال كلها سابحة فى الفضاء ولا تقف على أرض ملموسة مما يحقق فى قلب الرائى إحساسا بالحركة .

كما أن اعتداد غنيم بالمنظور وابعد الثالث يبعث بدوره حركة مضمرة فى لوحاته . ومن خلفياته يند على الدوام إحساس بالسكينة من خلال الرؤية التى تميل إلى الضبابية ، وبالطمأنينة التى تذكيها فى النفوس تلك الشفافية اللونية التى يمارسها الفنان فى خلفيات لوحاته أو جوانبها ، والتى تشتم من خلالها رائحة حيث تشتم فى أثيرها عبق البخور الذى يتصاعد دخانه رهيفا متماوجا كأطياف لا تكاد تلمح . والحق ، أن الفنان عندما يغوص فى بحثه عن الحقيقة المرئية تتكشف له رؤى كان هو أصلا وفى واقع الأمر لا يعيها بوضوح . وهو ما ينطبق على الرؤى التى بدأت عند حسن غنيم منذ عام ١٩٧٩ .

ومن الطبيعى أن تكون ادوات الفنان فى إحداث الحركة وإضفاء الديناميكية على لوحاته هى الأشكال واللون والضوء والتكوين ، وفضلاً عن ذلك ، بل والأهم هو سياسة هذه المفردات وتوجيهها إلى تأكيد المعانى .

فمن ناحية الأشكال ، فإنها تعمل على إحداث الحركة من خلال تتابعها وتكراريتها حتى تصل فى بعض الأحيان إلى ما لانهاية .

كما تنجح هذه الأشكال أو الأشياء فى تدبير الحركة أحيانا بتحقيق ميل أو تصادم ، أو تراشق ، أو تراكم . وقد مالت الأشكال عند حسن غنيم فى مرحلته الأولى إلى نوع من الزخرفية التصويرية . وإن كان قد تلاشى ذلك فيها نتيجة التطور المرحلى إلى تلخيص الأشكال والتقليل فيها فى وسط عندما يخلو نتيجة ذلك تدب فى أرجائه نسمة هواء تنفخ فى الأشياء حركة توقظها من سباتها . . وتجرفها ببطء هامس .

ويفضى التدرج اللونى من القاتم إلى الفاتح مرورا بعشرات الدرجات اللونية فى اللوحة الواحدة إلى تحقيق التنغيم الحركى فى اللوحة . وما أشبه هذه التنغيمات بما يؤديه العازف الماهر على آلتى القانون والعود الشرقيتين ويساعد وضع اللون الأبيض ، والأبيض فقط ، على مساحات محدودة من اللوحة بعد رسم مفرداتها رسما متأنياً تحت هذا اللون الأبيض ، على زيادة السلم اللونى تدرجا من أقصى القاتم إلى أقصى الفاتح . وأنه ليس منكورا على الإطلاق أن لاعمال حسن غنيم موسيقية أقرب إلى الغناء الشرقى .

القاهرة : د. نعيم عطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسَن غنيّم
والبَحث عن هويّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

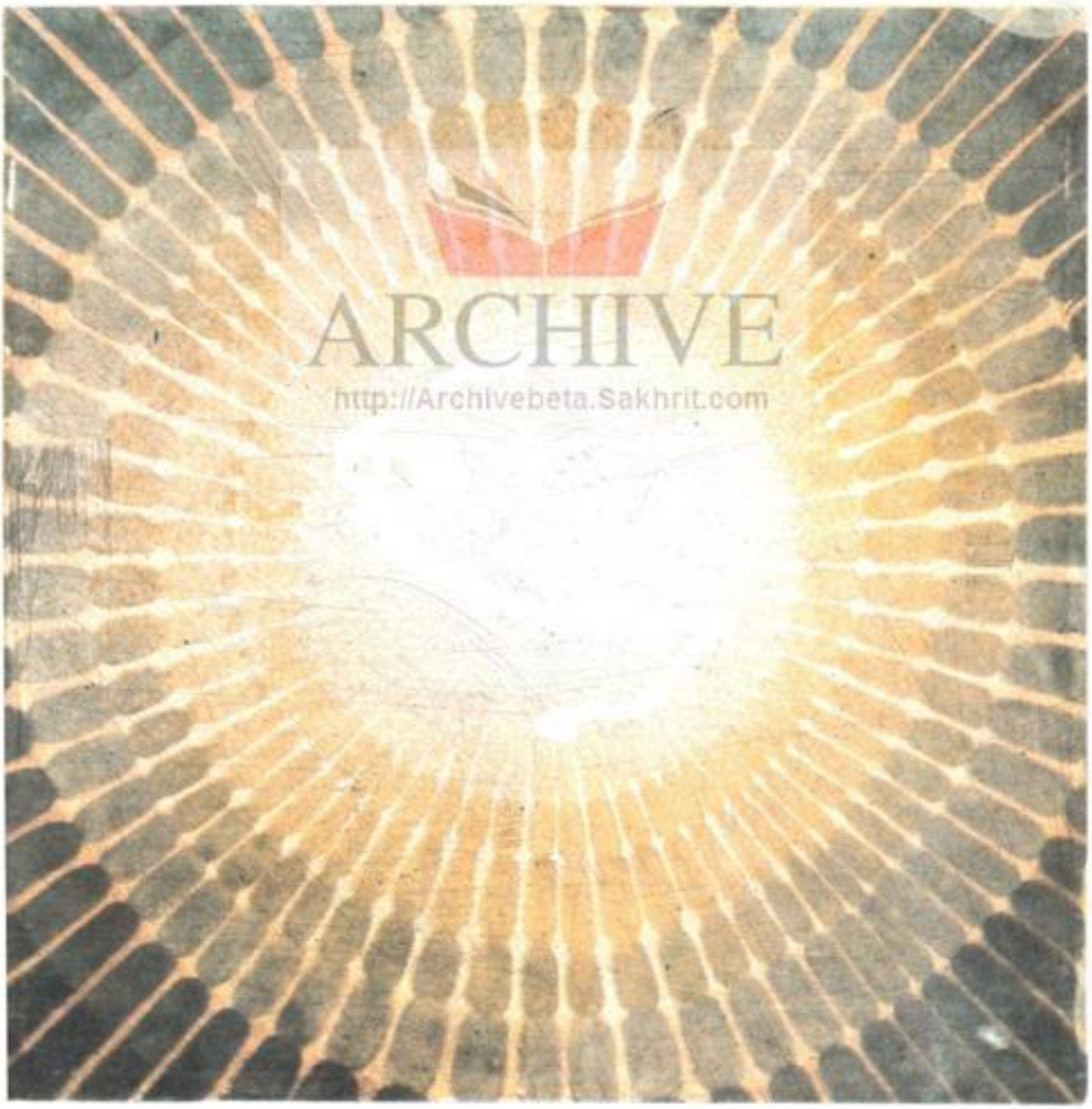
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

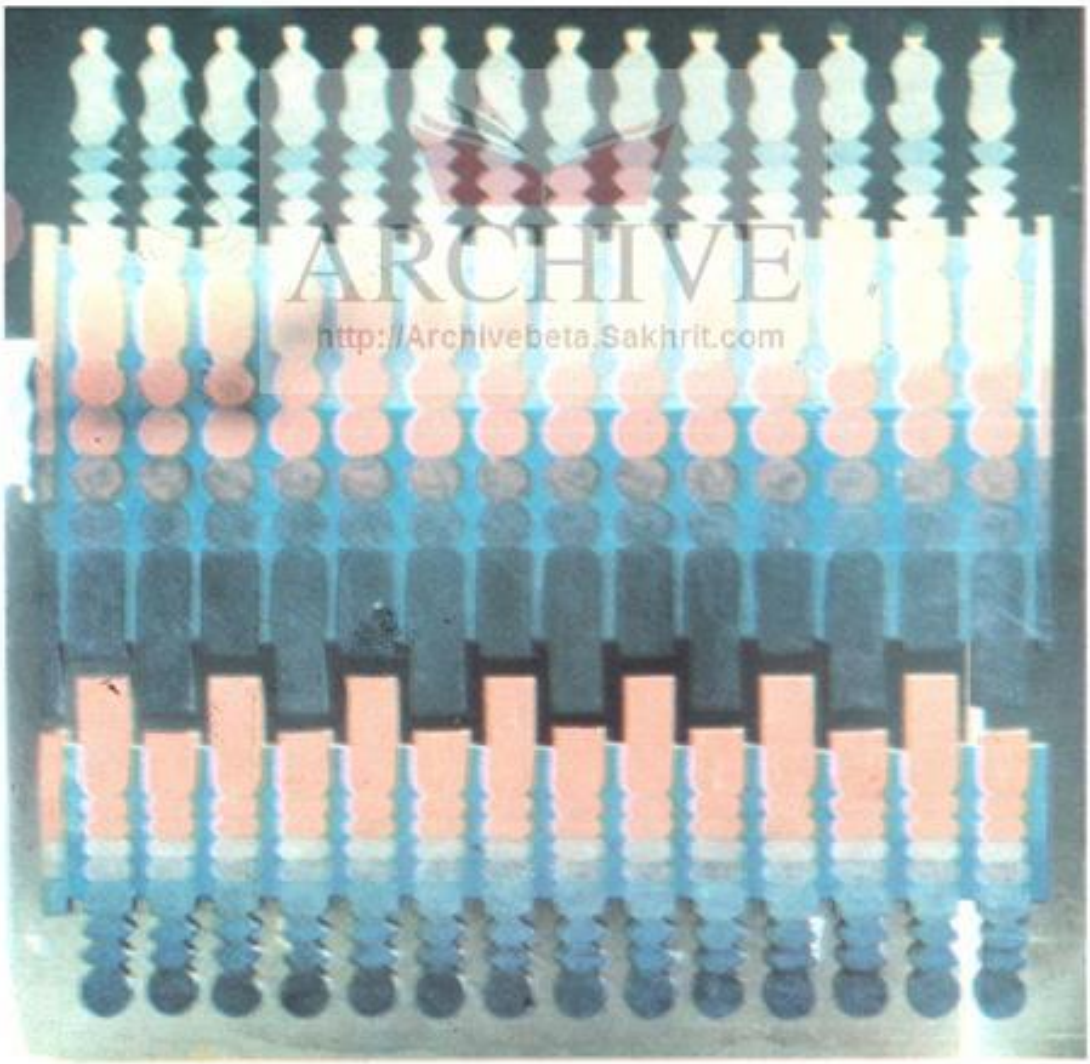
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

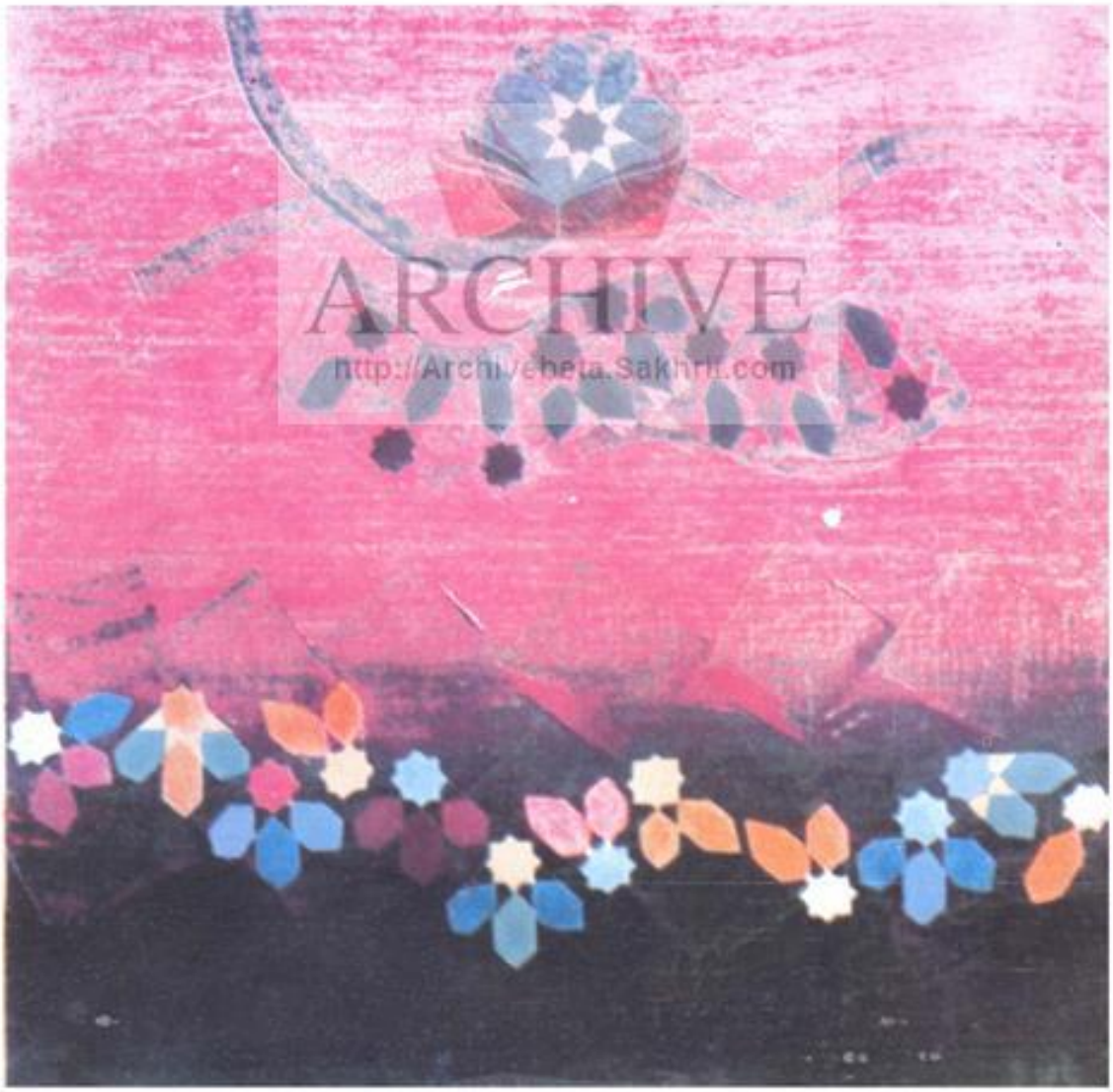
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

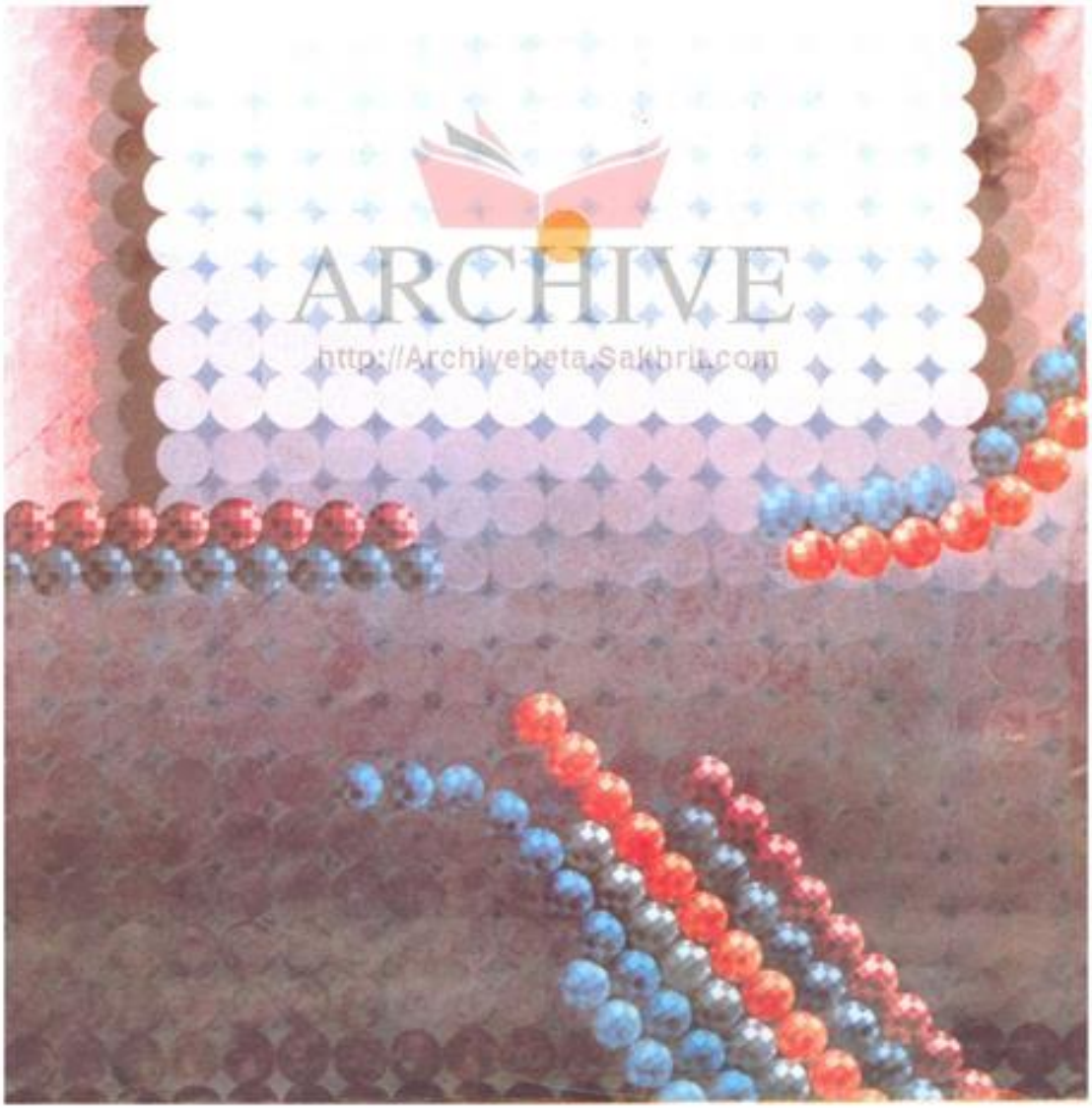
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

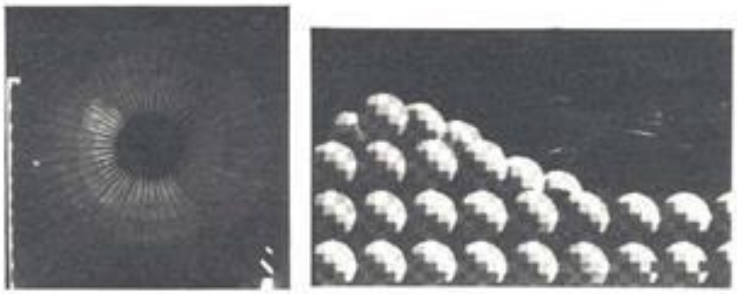

صورتا الغلاف : بقلم حسن عنبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

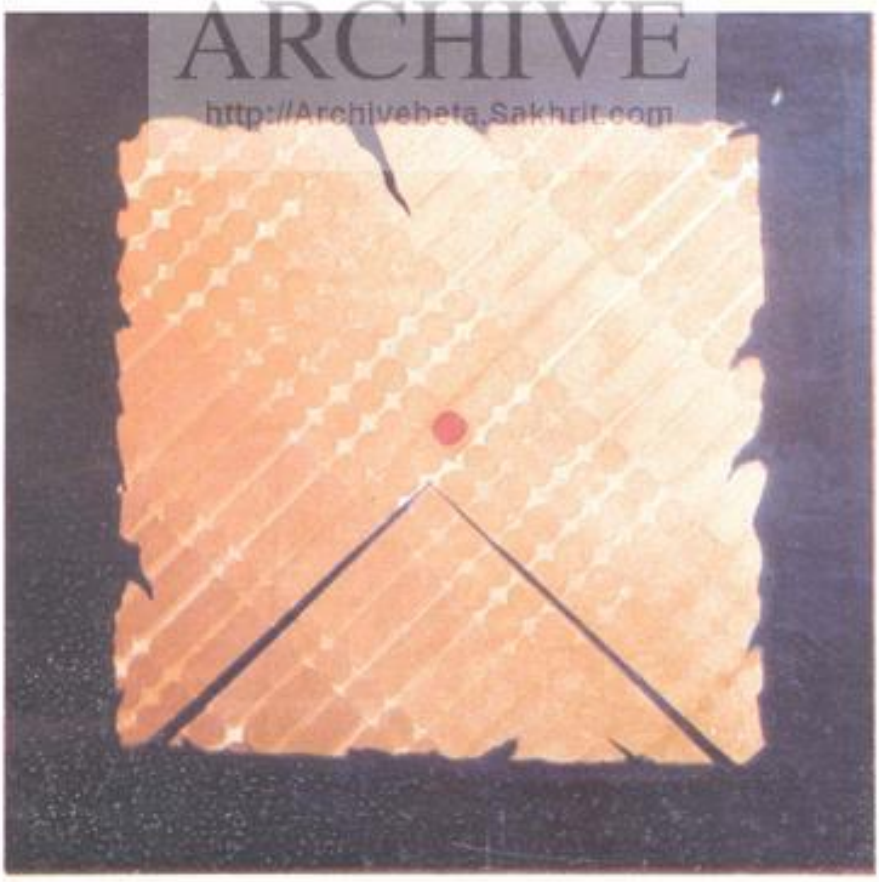

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٧